بـــور

ريتسولي

الأب لويجي جوساني

بذل الحياة من أجل عمل آخـــر

إعداد
الأب يوليان كارون

العنوان الأصلي للكتاب:

Dare la Vita per l’Opera di un Altro

ترجمة: لوقا أسعد ناروز

© ٢٠٢٢ حقوق الطبع محفوظة لأخوية الشراكة والتحرر

استهلال

«المسيح هو حياة حياتي»

ما الذي يحدد الواقع التاريخي الذي نحن منغمسون فيه؟ من هيمنة الأخلاق على علم طبيعة الوجود.[1] هذا هو الحكم الذي صاغه الأب جوساني في نهاية التسعينيات. فبالنسبة له، كان هذا تتويجًا لمسار قد بدأ قبل قرون، بالعصر الحديث وبانتشار التأثير العقلاني الذي شكّل موقف الثقافة والدولة تجاه المسيحية والكنيسة. ومنذ ذلك الحين، أصبحت أولوية الأخلاق على علم طبيعة الوجود عاملاً عامًا. وفي أعقاب الفصل والتصنيف الهرمي للمعرفة الرياضية والعلمية والمعرفة الفلسفية (والدينية)، يتحدد مفهوم الواقع والوجود بشكل متزايد من خلال سلوكيات و"تفضيلات": ليست نابعة من العقل ومن الواقع كما يتضح في الخبرة الحياتية، أي من علم الوجود، ولكن أخلاقياً، من خلال وانطلاقاً من سلوك يتم به استخدام العقل.[2] «وحتى الكنيسة، التي تعرضت لهجوم من أنصار التيار العقلاني، شددت لشعبها وفي لاهوتها على الأخلاق، معطيةً علم الوجود كافتراض مسبق، ومحت منه تقريبًا قوته الأصلية» (أنظر هنا، ص ٢٠).

وعند الاستشعار بالتناقض القائم بين الدولة والنموذج الثقافي الصاعد، استقر جزء كبير من الكنيسة على ما يمكن للآخرين أيضًا – بما في ذلك المنتقدين – أن يفهموه أو يجب أن يعترفوا به: أي الأخلاق الأساسية، والقيم الأخلاقية، تاركين في الخلفية المضمون العقائدي للمسيحية ولعلم طبيعتها الوجودي، أي الإعلان عن أن الله صار إنسانًا وأن هذا الحدث مستمر في التاريخ من خلال واقع إنساني – أي الكنيسة، «جسد المسيح الملموس» (ص ١٧٣) – المكونة من أشخاص يوثقون خبرة الامتلاء التي يثيرها المسيح في حياة أولئك الذين يعترفون به ويتبعونه. ونتيجة لذلك، ركزت العظات في الكنيسة أيضاً على المراجع الأخلاقية في غالب الأحيان: فقد أصبح الأسلوب الذي تم به تقديم المسيحية إلزاماً أكثر من كونها جذابة في المقام الأول. وعندما يحدث هذا يفقد الإيمان منطقه وقدرته على خلق حياة الشعب المسيحي.

---

[1] راجع بنوع خاص الأب جوساني في كتابه، الانسان ومصيره. في مسيرة، ماريبيتي ١٨٢٠، جنوا ١٩٩٩، ص ٦٣ - ٧٤.

[2] راجع نفس الكتاب المذكور أعلاه، صفحة ٦٧.

لقد بدا أمراً بديهياً وسهلاً الإستناد إلى الأخلاق الكاثوليكية من أجل الحفاظ على نوع من السيطرة على الناس. ولم يكن من الضروري تقديم أسباب مناسبة وكافية لاتباع الكنيسة. إذ كانوا يعتقدون أنه سيكون كافياً الإصرار على بعض القواعد الأساسية للسلوك لحمل الناس على اتباعها. وبهذه الطريقة تستمر الكنيسة في ممارسة وظيفتها كمنارة للأخلاق. وطالما كانت البيئة الثقافية متجانسة وكانت الكنيسة هي الفاعل الرئيسي فيها، وظلت الأخلاق التي وُلِدتْ في الوسط المسيحي صامدة، رغم الضعف المتزايد للإجماع الذي حصلت عليه. ولكن تغير كل شيء عندما أصبح السياق الاجتماعي أكثر تنوعًا ومتعددًا للثقافات. وتسارعت عملية التآكل فجأة. وقد أدهشني أن أرى مؤخرًا صور الكنائس التي تحولت إلى مراقص ليلية ودور سينما وملاعب تنس وحمامات سباحة. والتمترس دفاعاً عن الأخلاق – وإن كان صحيحًا في مبادئه – لم يستطيع الصمود أمام انتشار عقلية مضادة سيطرت بشكل متزايد وفرضت قيمًا وحقوقًا جديدة.

ولأنها لم تُقدم نفسها بطبيعة وجودها، كحدث حياة قادر على تلبية الرغبة العميقة للإنسان، بدأت المسيحية، التي تم اختزالها في منظومة أخلاقية، في فقدان جاذبيتها تدريجياً. وهكذا يُولد العديد من معاصرينا ويعيشون غير مبالين بها وبالايمان. ويبدو الأمر كما لو كان هناك غياب للألفة مع ما هو إنساني بسبب سؤال بريء حول «ما الذي يمكنه تحريك وهز أعماق الإنسان في نهاية المطاف»: [3] فبسبب إهمال الحاجات العميقة للإنسان – للحق والجمال والعدالة والسعادة – بدت الكنيسة أكثر بعدًا عن الحياة وبدا الإيمان كشيء غير مفهوم في النهاية.

كيف وصلنا إلى هذا الحد؟ يقدم لنا الأب جوساني إجابة على هذا السؤال تنير حاضرنا وماضينا أيضاً. فهو يؤكد أن العملية تبدأ «بدون ملاحظة من أحد»، بـ «فصل معنى الحياة عن الخبرة الانسانية». وبالتالي نتصور الله منفصلاً عن هذه الخبرة ولا يؤثر في حياة الانسان. «أي أن معنى الحياة لم يعد له أي علاقة أو علاقة يصعب تحديدها بلحظة الوجود التي يسير فيها الانسان». لكن يتوقف هذا – وهنا يخطو الأب جوساني خطوة كبيرة – على شيء حدث بالفعل من قبل: «فقد تم توضيح جوهر القضية في الصراع الذي يتطور حول طريقة فهم العلاقة بين العقل والخبرة الانسانية» (ص ٧٣–٧٤). ففي أصل ذلك الطلاق وفي ذلك الانفصال بين الله والخبرة الانسانية، نجد اختزالاً معرفياً يتعلق بطريقة تصورنا للعلاقة بين العقل والخبرة الانسانية.

---

[3] أنظر البابا بندكتوس السادس عشر، الارشاد الرسولي ما بعد السينودس عن أسرار المحبة، ٢.

ماذا يعني الأب جوساني بالخبرة الانسانية؟ «يعني أن الخبرة هي تجلي الواقع في وعي الإنسان و في نظره. وبالتالي، فإن الواقع هو شيء يصادفه الانسان، فهو حقيقة، والعقل هو ذلك المستوى من الخليقة الذي يصبح فيه واعياً بذاته». لذلك، من خلال الخبرة، يكشف لنا الواقع عن ذاته، ويكشف عن نفسه كشيء أُعطي لنا، وليس من إنتاجنا، ويشير إلى شيء آخر باعتباره أصله النهائي. والعقل هو النظرة المتفرسة التي يحدث لها هذا الوحي، وهو مستوى الواقع الذي يصبح فيه الواقع مدركًا لذاته باعتباره نابع من شيء آخر. ويلاحظ الأب جوساني قائلاً: «إن جان جويتون، الذي يؤكد ضيقنا الذي لا يهدأ، أعطانا الراحة في جعلنا نشعر بصحة موقفنا حول الصلة بين العقل والحياة عندما قال أن «'المعقول' هو إخضاع العقل للخبرة الانسانية» (ص ٧٥). لماذا يعتبر فعل الإخضاع هذا أمراً معقولاً؟ لأنه إذا كانت الخبرة هي شفافية الواقع، فإن العقل هو في خدمة تلك الشفافية ويكون آداة لها.

وبعد الوصول إلى هذه النقطة، لا تثير دهشتنا الفقرة الاضافية للأب جوساني. «للدفاع عن الله في حقيقته وللدفاع عن حاجة الإنسان لتصور الحياة على أنها ملكه، وبالتالي في كل شيء يسعى إلى إرضاء هذا الخالق الأعلى ومدبر كل ما هو موجود، يطلب الأنسان أولاً وقبل كل شيء الاستعادة الودية لكلمة ''عقل''» (ص٧٦). فإذا تم، في الواقع، «إساءة استخدام العقل»، وإذا تم تصوره كـ «مقياس» للواقع، فإن معرفة الإنسان الكاملة ومغامرته البشرية بأكملها تكون منقوصة.

«وإذا تحول العقل إلى '' مقياس '' للواقع – وهذا يشير دائماً إلى العقل باعتباره تصورًا مسبقًا [...] – فهناك ثلاثة اختزالات خطيرة محتملة تؤثر على جميع سلوكيات حياتنا" (ص ٧٦). إنها لا تتعلق بالماضي فحسب، بل بموقفنا الحالي. لنراها معاً.

أ) «الاختزال الأول – أنا أصف نشأة سلوكنا بجانبه الدرامي والمتناقض –: المذهب الفكري بدلاً من الحدث الواقعي». ماذا يعني هذا البديل؟ يمكن للإنسان التواصل مع الواقع بمبادرة يحركها ما يحدث، وبما يدركه في ذاته بسبب المردود الذي يثيره الحدث، أو بمبادرة تحجب أو تسعى إلى تجنب ما يحدث بإطاعة شيء «لا ينبع من طريقته الخاصة في التعامل مع الأشياء التي يلتقيها أو يصادفها بل ينبع من أفكار مسبقة». عندئذ تصبح نقطة البداية «انطباعًا وتقييمًا معينًا للأشياء وموقفًا معينًا يتخذه المرء ''قبل'' مواجهة الأشياء وفوق كل شيء قبل الحكم عليها». لنفترض، كما يوضح لنا الأب جوساني بمثال، أن هناك كارثة في منجم أو في السكك الحديدية: فمواجهة هذه الأحداث التي تستدعي تدخل الإنسان سوف تسعى إذن «في ألا تُولد من الصدى

الإنساني ومما يشعر به الإنسان كإنسان أمام هذه الأحداث». يبدو الأمر كما لو أن خطابًا سمعناه بالفعل، أو تصورًا مسبقًا، تم إدخاله في حكمه على الأشياء: «إننا ننطلق من فكرة مسبقة، بحيث تعطي صحيفة الجمهوريين أو الليبراليين نغمة معينة وعلى العكس من ذلك، ستقوم صحيفة الحزب الحاكم بالهجوم على جريدة أخرى». والآن، يجب تطوير التصور المسبق، أي نقطة الانطلاق التي يبدأ منها الانسان، إذا أراد أن يدخل التاريخ ويصمد أمام اختبار الزمن، «ليشق طريقه وسط أفكار الناس وأحكام المجتمع عليه أن يكون متطوراً. إذ أن تطوره هو منطق الخطاب الذي يتحول إلى مذهب فكري. إن منطق الخطاب الذي يبدأ من تصور مسبق ويريد أن يدعمه ويفرضه يُسمى مذهب فكري» (ص ٧٧-٧٨).

وهذا هو الصراع الذي يخوضه كل منا كل يوم، بوعي أكبر أو أقل. كما يعيش المسيحي، مثل أي شخص آخر، في هذا السياق التاريخي، ولا يمكنه الهروب من ذلك البديل، أي من ذلك الصراع: «فحياتنا المسيحية، وإيماننا وأخلاقنا الملموسة، ومنهاج حياتنا تحدده المذاهب الفكرية الحالية أو الحقائق أو سيادة وجودنا، أو الأشياء وقت حدوثها والأشياء التي نصادفها، والأشياء التي نتفاعل معها بطريقة معينة ومع الحقائق: كأحداث «(ص ٧٨-٧٩). فمثلاً عندما يُولد الطفل: إنه يفرض نفسه على الجميع بقوة نفس حضوره الأعزل؛ فهو لم يكن موجود من قبل والآن هو موجود. إنه حدث بالتحديد.

ولكن كيف يمكن أن نعيش بطريقة مستقرة وكتطلع متواصل، علاقة كاملة مع الواقع يتم تحديدها «بسيادة [...] الأشياء عند حدوثها»؟ كما يقول الأب جوساني: «هناك أحداث عظيمة وأحداث صغيرة جدًا في معناها». وحتى «نعيش الواقع بشكل مكثف»، يجب أن يصلنا حدث عظيم، أصل حاضر، «هو المبدأ الأساسي لكل خبرة إنسانية». إذ لا يمكن لماضي أن يكون مؤسساً للخبرة الإنسانية. وتجعلنا هذه الملاحظة ندرك البعد الحاسم في فهمنا لطبيعة المسيحية والتي يمكن اختزالها باستمرار إلى مذهب فكري (أيديولوجية)، أي إلى نقيضها تمامًا. «فالمسيحية هي حدث وبالتالي هي حاضرة وحاضرة الآن، وميزتها أنها حاضرة كذاكرة؛ حيث لا تتطابق الذاكرة المسيحية مع التذكر، فهي في الواقع ليست ذكرى، بل هي تكرار للحضور ذاته». فقط إذا كانت المسيحية حدثًا وتم الاعتراف بها واتباعها على هذا النحو، يمكن أن تكون حاسمة بالنسبة للإنسان الذي يعيش ويمكنها تغيير الطريقة التي يتم بها التعامل مع كل شيء. «إن الاعتراف بهذا الحدث

هو فقط الذي يمنع الانسان من أن يكون خادماً لأيديولوجية (لمذهب فكري)» (ص ٧٨-٧٩).

ب) وبعد هذا الإيضاح الأول، يحدد لنا الأب جوساني الاختزال الثاني الذي يؤثر على سلوكنا. «إذا استسلم الإنسان للمذاهب الفكرية السائدة والناجمة عن العقلية الشائعة، يحدث [...] انفصال بين العلامة والمظهر؛ وينتج عنه اختزال العلامة إلى مظهر. فكلما زاد إدراكنا لماهية العلامة كلما زاد فهمنا لقذارة وكارثة علامة تم اختزالها في مظهر» (ص ٨٠).

لكن ما هي العلامة؟ يقول لنا الأب جوساني أن العلامة هي «الخبرة بعامل حاضر في الواقع يحيلني إلى شيء آخر. والعلامة هي واقع قابل للاختبار ومعناه هو واقع آخر؛ إنها تكشف عن معناها بإقتيادنا إلى واقع آخر». وهنا مرة أخرى، يكون الاستخدام الملائم للعقل على المحك: «إذ أن استخلاص خبرة العلامة في جانبها الذي ندركه بشكل فوري أو المظهر» هو أمر غير معقول، لأن ذلك المظهر «لا يخبرنا بكامل الخبرة التي لدينا عن الأشياء». ومع ذلك، فهذه غواية نستسلم لها بسهولة، تقريبًا بدون أن ندركها: «إذ أن موقف روحي معين يفعل الشيء نفسه إلى حد ما مع واقع العالم والوجود (الظروف والعلاقة مع الأشياء وبناء أسرة وتربية الأبناء ...): إنه يتحمل وطأة الضربة، لكنه يوقف قدرة الانسان على الخوض في البحث عن-المعنى الذي يحث الذكاء البشري على ذلك- بلا شك بناءً على حقيقة علاقتنا بالواقع». وعندما يتم الحد من قدرة الذكاء على الخوض في البحث عن المعنى، هناك، على حد تعبير فينكيلكراوت، «استبعاد»[4] المرئي، «وإفراغ ما نراه ونلمسه وندركه» بالتأكيد على «أن ما يحدث ''يحدث لأنه يحدث''، وبالتالي بتجنب التأثير والحاجة إلى النظر إلى الحاضر [...] في علاقته بالشمولية» (ص ٨٠-٨١).

وعلى العكس من ذلك، يؤكد الأب جوساني بشدة أن «فكرة العلامة [...] تجعل معنى الأشياء يدخل الحياة بطريقة عملية» وتقود العقل إلى العمق النهائي للواقع. وهنا يقدم الأب جوساني تعبيرًا شجاعًا للغاية: «السر (أي الله) والعلامة (أي الواقع العرضي بقدر ما يشير دائمًا إلى شيء آخر؛ فحتى الحجر الصغير جدًا، من أجل أن يكون هو نفسه، يشير إلى مصدر الوجود)، [...] فبمعنى ما، يلتقيان». ما الذي يعنيه بهذا؟ «أن السر هو عمق العلامة، فالعلامة تدل على وجود السر العميق، أي على الله الخالق والفادي، الله الآب. وتشير العلامة لأعيننا إلى حضور كائن آخر، أي إلى السر العميق لكل شيء، إذ يشير بهذا الحضور لأعيننا

---

[4] ألان فينكيلكراوت، الانسانية الضائعة. تحليل للقرن العشرين، ليبيرالي، روما ١٩٩٧، ص ٨٨؛ هانا أريند، أصول النظام الشمولي، منشورات الكومونيتاه، ميلانو ١٩٩٦، صفحات ٦٤٥، ٦٤٩.

وآذاننا وأيدينا». وهذا يعني: «أن السر يجعل من ذاته خبرة من خلال العلامة» (ص ٨١-٨٢).

فالتعرف على الأشياء كعلامات للسر، وإدراك قيمة كل شيء يحيل إلى الآخر (الله)، هو من طبيعة العقل. بينما يقدم المذهب الفكري نفسه كنزعة للتأكيد على اعتبار ما هو ظاهر فقط وما نراه وما نسمعه ونلمسه أنه شيء ملموس: ويظل هذا هو الموقف قائماً حتى في ظل الانهيار المدوي للمذاهب الفكرية الكبرى للقرن العشرين.

ج) وهنا يظهر الاختزال الثالث: «إن إلغاء قيمة العلامة يعني من جهة كسبب ومن جهة أخرى كنتيجة اختزال القلب في عاطفة». فلم يعد القلب هو المحرك النهائي، والدافع العميق للفعل الانساني، ومعيار حكم العقل ومكان الدهشة والطاقة العاطفية التي تشكل نسيج العلاقة المعرفية الأصلية مع الواقع؛ فقد حل مكانه العاطفة. «وتصبح مسؤوليتنا عبثًا على وجه التحديد باستسلامنا لاستخدام العاطفة باعتبارها هي السيد على القلب»، والعكس من ذلك هو «العامل الأساسي للشخصية الانسانية؛ وليست العاطفة، لأنه إذا أخذنا المشاعر فقط فإنها تعمل بمثابة رد فعل حيواني في حقيقة الأمر» (ص ٨٤-٨٥). وكتب تشيزاري بافيزي: «لم أفهم بعد ما هي مأساة الوجود [...]. ومع ذلك فإن الأمر واضح للغاية: يجب على الانسان التغلب على الاستسلام الشهواني، والتوقف عن اعتبار الحالات المزاجية غايات في حد ذاتها». [5]

بالنسبة للأب جوساني، «يشير القلب إلى وحدة العاطفة والعقل. فهو ينطوي على مفهوم مفتوح للعقل، أي عقل وفق كامل اتساع نطاق إمكاناته: إذ لا يمكن للعقل أن يعمل بدون ما يسمى بالعاطفة. إنه القلب - كعقل وعاطفة - هذا هو الشرط للتحقق السليم للعقل. والشرط كي يكون العقل عقلاً هو أن تغلفه العاطفة وبالتالي تحرك الانسان كله. العقل والمشاعر، والعقل والعاطفة: هذا هو قلب الإنسان» (ص ٨٥). يا لها من نظرة شاملة لجميع عوامل الإنسان التي يشهد لنا بها الأب جوساني باستمرار! إنني أندهش في كل مرة أقرأه، لأنني دائمًا ما ألتقي بذكاءً وفهم للواقع لا يتوقف عند السطح، بل يتغلغل إلى الأعماق. ولا توجد مناسبة لا يجابه فيها ديناميات علاقة الذات بالعالم الذي توجد فيه.

كيف نخرج من هذه الاختزالات؟ هل بمجرد مناقشتها؟ أم بالاجتهاد لتغيير هذا الاتجاه الفكري؟ لا - كانت إجابة الأب جوساني التي تعيدنا إلى مستوى الخبرة الانسانية التي هي في متناول الجميع - إنها مسألة

---

[5] تشيزاري بافيزي، حرفة العيش، يوميات ١٩٣٥ - ١٩٥٠. بالمفكرة السرية، بور، ميلانو ٢٠٢١، ص ٦٦.

الالتقاء بإنسانية غير قابلة للاختزال وبحضور يحرر الأنا من القفص الذي بنته حول نفسها، والذي يكسر مقياس المظهر ويحرر نفسه من قانون رد الفعل و «يعيش الواقع بشكل مكثف»، كي نستخدم مرة أخرى التعبير الوارد في الفصل العاشر من كتاب الحس الديني.[6]

وهنا تبرز طبيعة المسيحية، كما اتضحت في البداية: «لقد كان يسوع إنساناً مثل باقي البشر، وكان إنساناً بلا إمكانيات استثنائية بالنسبة لتعريف الإنسان؛ لكن ذلك الانسان قال عن نفسه أشياء لم يقلها الآخرون وتحدث وتصرف بطريقة مختلفة عن الجميع. فهو علامة كل علامات. إذ بمجرد معرفة حقيقته شعر به أولئك الذين نظروا إليه وتعاملوا معه وصدمهم ادعائه باعتباره علامة على آخر، تشير إلى آخر. كما هو واضح في إنجيل يوحنا، لم يتصور يسوع انجذابه للآخرين على أنه مرجعية نهائية إلى ذاته، بل إلى الآب: وإلى ذاته حتى يمكن أن يقود الآخرين إلى الآب، كمعرفة وطاعة» (ص ٩٦). فالمعنى النهائي الذي تشير إليه كل حقيقة (وكل علامة) صار إنسانًا، «علامة كل العلامات»؛ إنسان كان يسير في الطرق وكان يمكن لأي أحد تناول الطعام معه والتحدث إليه واتباعه: هذا هو الحدث المسيحي، مضمون الإعلان الموجه إلى قلب الإنسان.

وهنا نجد صفحات في هذا الكتاب يدعونا فيها الأب جوساني إلى التماثل مع بداية إيمان المسيحيين الأوائل الذين التقوا بهذا الرجل الشاب المختلف تمامًا عن الآخرين: «إن الإيمان بالمسيح، كما يتضح من بداية الحدث المسيحي، هو معرفة حضور باعتباره أمراً إستثنائياً وحدث يثير دهشتنا، وبالتالي، إتباع ما يقوله عن ذاته. إنه حدث حقيقي: فهو حدث حقيقي جعل الظهور المسيحي في العالم ممكنًا. والآن، نحن لا نريد شيئًا آخر سوى أن نعرف ونعيش ما حدث» (ص ٩٧).

فالإيمان هو الاعتراف بحضور استثنائي، والاعتراف بحضور الله في واقع إنساني معين. لذلك هو «فعل ينطلق من العقل، [...]، والعقل بقدر ما يؤكد أن السر هو واقع قائم، وبدونه لا يمكن للإنسان أن ينظر بشكل معقول إلى الواقع. وبعبارة أخرى، إن نقطة البداية للإيمان هو العقل كوعي بالواقع، أي الحس الديني للإنسان «(ص ٩٧).

فالإيمان ليس عاطفة، «وليس شعورًا متغيرًا يحدد وجود الله كما يشاء ويعيش التدين كما يحلو له. إنه حكم يؤكد على واقع، السر الحاضر». ويصف الأب جوساني طبيعة الإيمان بكلمات فريدة: «إن الإيمان هو فعل عقلاني، لأنه يزدهر عند الحد الأقصى لدينامية العقل

---

6 الأب لويجي جوساني، الحس الديني، ريتسولي، ميلانو ٢٠١٠، ص ١٥٠.

كزهرة نعمة يتبعها الإنسان بحريته». ولكن كيف تتبع حريتنا هذه الزهرة «الغير مفهومة كأصل وكطبيعة»؟ باتباعنا «ببساطة لما يدركه العقل كشئ استثنائي بتلك الفورية اليقينية، كما يحدث مع الدليل الثابت وغير القابل للتدمير لعوامل ولحظات الواقع، هكذا كما تدخل في أفق الشخص ذاته» (ص ٩٨).

علينا أن نضع في اعتبارنا اقتراح الأب جوساني هذا: فحدث المسيح هو شيء استثنائي وخارق، «لكن حتى نفهمه في اختلافه، على العقل أن يقبل ببساطة وبفورية يقينية ويعترف بما يحدث وبما حدث بنفس الفورية اليقينية أمام كل دليل للواقع». ويقدم المسيح نفسه لحريتنا، ولا يفرض نفسه عليها. وهذا ما حدث في البداية: «أولاً وقبل كل شيء، وقبل الحكم الذي يعطيه يوحنا و بطرس عن ذلك الإنسان وقبل اتباعهم له، كانت هناك هذه البساطة وهذا القلب البسيط، وهذه العيون البسيطة، وهذا التوتر، وهذه الرغبة البسيطة المنفتحة على القبول، والتي هي في إمكانية إدراك ما التقى به بوضوح، أي وجه الواقع الذي صادفه»(ص ٩٨). ولمواجهة وللاعتراف واتباع الحقيقة التي تجعل نفسها حاضرة في علامة اختلاف انساني مليء بالجاذبية، لا يحتاج إلى وجود قدرات ومهارات خاصة، لكن بساطة القلب فقط.

وقد تساءل الكاردينال راتسينجر آنذاك (الذي أصبح فيما بعد البابا بندكتوس السادس عشر)، في إشارة إلى السياق الاجتماعي الحالي – المتنوع والمتعدد الثقافات الذي، كما قلت، أن العديد من الكنائس قد تحولت إلى مراقص ليلية ودور سينما وملاعب تنس وحمامات سباحة –: «كيف للإيمان الاستمرار في النجاح؟». فقد كان يفكر في شباب مؤمنين أذكياء ثقافياً. وكان الجواب: «أود القول بأن ذلك يتفق مع طبيعة الإنسان [...]. إذ أن داخل الإنسان رغبة في اللامحدود لا تهدأ. ولا تكفي أي من الإجابات التي تم البحث عنها. إن الله الذي جعل نفسه محدودًا كي يكسر محدوديتنا وقيادتها إلى بُعده اللامتناهي، هو فقط القادر على تلبية احتياجات كياننا».[7] إن الأمر يتعلق فقط باللقاء بالحدث المسيحي، أي بالمسيحية في طبيعتها الأصلية: إنها حدث معاصر في شكل لقاء إنساني. إذن اختزاله في أخلاقيات أو حتى بالتكرار الشفهي للبشارة لا يجعلها قادرة على تلبية احتياجاتنا الأصلية. ولا أيضاً اختزاله – العقلاني – إلى واحد من التعبيرات المتعددة للحس الديني، أي إلى واحد من أشكال التدين المتعددة.

والآن، « المذهب العقلاني في العصر الحديث، بفقدان الطبيعة الحقيقية للعقل، يجعل الخلط بين الحس الديني والإيمان أمراً معتاداً،

---

[7] الكاردينال ج. راتسينجر، «الإيمان واللاهوت في أيامنا»، في موسوعة المسيحية، دي أجوسطيني، نوفارا ١٩٩٧، ص ٣٠.

وبالتالي يقوم بإخلاء الإيمان من طبيعته الحقيقية». ولم يحدث هذا بدون عواقب سلبية على الإنسان المعاصر، وليس على المسيحيين فقط. «فالخلط بين الحس الديني والإيمان يجعل كل شيء مشوشًا. وأدى انهيار الإيمان بطبيعته الحقيقية، كما هو الحال في التقليد، أي في حياة الكنيسة، وانهيار الإيمان كاعتراف بأن «المسيح هو كل شيء في كل شيء»، وكتوافق مع المسيح وإقتداءً به، إلى ظهور حالة من الحيرة المعاصرة التي تكشف عن نفسها في جوانب مختلفة ويمكن التعرف عليها» (ص ٩٩-١٠٠).

وفي عام ١٩٩٨، يصف لنا الأب جوساني جوانب هذه الحيرة المعاصرة التي يمكن أن نتتبعها في وجودنا ذاته وفي وجود الآخرين من حولنا. إذ يمكن إختزال الحدث المسيحي، أي حضور الله الذي يعترف به الإيمان وإفراغه من تاريخيته وواقعيته. ثم يتحول الإيمان المسيحي بعد ذلك إلى صورة كاريكاتورية لذاته: أي أنه يصبح غير معقول وغير مفهوم لأنه خالي من أساسه القائم على الواقع. وهذا هو نتاج ما يسميه الأب جوساني الخمسة «بدون» للمذهب العقلاني الحديث. دعونا نستعرضها بإيجاز.

أ) «يمكننا إيجاز التَبِعة الأولى للمذهب العقلاني في صيغة: الله بدون المسيح. وهو إنكار حقيقة أنه من خلال المسيح فقط يمكن لله، السر، أن يكشف لنا عن حقيقة ذاته» (ص ١٠٠). لكن بدون المسيح يفقد الإيمان منطقه العقلاني ويصبح «إيمان بدون العقل»: ويضيع أساس الخبرة المسيحية ويفتقر الالتزام الأخلاقي إلى الدافع المناسب والكافي. ويعود الله إلى كونه موضوع البناء الخيالي للانسان وفكره وفقاً للتأثيرات العرقية والثقافية المختلفة.

ب) والتَبِعة الثانية للمذهب العقلاني هي: «المسيح بدون الكنيسة»، أي المسيح بدون جسده. وبالتالي يتعلق الأمر بالمعرفة الروحية «الغنوصية»، أي «بمذهب الغنوصية» بكافة أنواعها. «فإذا ألغينا في المسيح حقيقة كونه إنسانًا، وإنسانًا حقيقيًا وتاريخيًا، سنلغي إمكانية وجود أي خبرة مسيحية». فالمسيحية هي خبرة إنسانية، «ولذلك هي مكونة من الزمان والمكان مثل كل واقع، حتى الواقع المادي. وبدون هذا الجانب المادي، فإن اختبار الإنسان للمسيح يفتقر إلى إمكانية التحقق والتأكد من معاصرته، أي حقيقة ما قاله عن نفسه». إذ لا يعترف الموقف العقلاني بأن واقع معين، مكون من الزمان والمكان، يمكن أن يكون «منبع خبرة الإنسان للمعنى النهائي: حيث لا يدخل المعنى النهائي للإنسان في خبرة حياته اليومية» (ص ١٠١).

ويؤكد الأب جوساني باستمرار على أن المسيح ليس فكرة، بل حضور حقيقي ومسموع ومرئي وملموس. أين؟ في ظاهرة تاريخية: أي في حياة الكنيسة. «إذ لا يمكن للانسان أن يفكر في المسيح بدون واقع مثل هذا؛ وإلا كان ذلك اختزالاً وتحولاً لما قاله المسيح عن ذاته وما هو المسيح ككاشف للوحي بين يدي الله. ويؤكد ترتوليانوس: Caro cardo salutis (''الجسد هو محور الخلاص'')» (ص ١٠١).

ج) والتَبِعة الثالثة لتأثير الفكر العقلاني على الحياة الكنسية والشخصية والجماعية هي «كنيسة بدون عالم» وما ترتب على ذلك من وجود «المذهب الكنسي والمذهب الروحاني كإختزال مزدوج لقيمة الكنيسة باعتبارها جسد المسيح» (ص ١٠٣).

د) ثم يأخذ الأب جوساني خطوة أخرى بتقديمه للرابع «بدون»: «إذا كانت الكنيسة بدون عالم، فإن هذا العالم يسعى إلى أن يكون بدون الأنا: أي، يكون اغتراب. ولدى هذا العالم كخاصية وكنتيجة – متوقعة أو غير متوقعة، مرغوبة أو غير مرغوبة، مرغوبة عادة من السلطة ومن أولئك الذين لديهم سلطة ثقافية في لحظة معينة – هو الاغتراب» (ص ١٠٨).

والنتيجة النهائية لذلك الاغتراب الناجم عن السلطة هي «فقدان الحرية وتجاهلها أو إلغائها، وهو إلغاء لم يتم الاعلان عنه نظريًا، بل تم تنفيذه فعلياً». لكن، بما أن الحرية، أو كيفما يريدون تعريفها، هي «وجه الذات الانسانية، يتعلق الأمر بفقدان الشخصية الانسانية» (ص ١٠٩).

هـ) وبعد وصولها إلى نهاية المثل التنازلي، «تصير هذه الأنا، الأنا المغتربة، أنا بدون الله». لكن الأنا بدون الله «لا يمكنها تجنب الملل والغثيان. لذلك تسمح الأنا لنفسها بالعيش: ويمكنها أن تشعر أنها جزء من الكل (وحدة الوجود) أو تقع فريسة لليأس (بسبب انتشار الشر والعدم: العدمية)» (ص ١١٠).

فهل من الممكن، هنا أيضاً، الذهاب عكس الاتجاه؟ كيف يمكننا منع هؤلاء الخمسة «بدون»، كالاختزالات الثلاثة الموصوفة أعلاه، من الاستمرار في تفريغ حياة الإيمان من الداخل ومن إمكانية تحقيق الذات وملء الإنسان؟ هناك طريق واحد فقط: وهو استعادة المسيحية بطبيعتها الحقيقية كحدث.

«فحضور يسوع المسيح الآن هو حدث ندركه بفضل الكاريزما التي أعطانا الله إياها (والتي نحن مقتنعون بها!)، فهو حدث نلتقيه في الوقت الحاضر وفي هذه الساعة وفي هذه الظروف، [...] كظهور لسرّ الكنيسة، جسد المسيح السرّي». ويؤكد الأب جوساني: «أن الأمر الفائق

الطبيعة [...] هو واقع إنساني يوجد فيه سر المسيح، وهو حقيقة طبيعية – بمعنى أنه يظهر ويتحدد بوجه إنساني – ويكون فيه سر المسيح حاضرًا. إنه الكنيسة التي تظهر بجانبي». ثم يعطي الأب جوساني المزيد من التفاصيل بالرجوع إلى حياته الشخصية: «لقد ظهرت بجانبي في ظروف معينة، مع أبي وأمي، ثم في المعهد الإكليريكي، ثم مرة أخرى عندما بدأت في العثور على أشخاص أحاطوني باهتمامهم وصداقتهم لأنني كنت أقول أشياء معينة، وفي النهاية، كنت كما لو كنت موجهاً إلى صحبة ورفقة جعل ويجعل سر الكنيسة آني بالنسبة لي؛ إنها رفقة «الدعوة الكهنوتية»، أي الرفقة التي تضمنا داخلها، بقدر ما تُوَلِدْ الخبرة وتتولد من الخبرة التي لمستنا فيها الكاريزما» (ص ٦١-٦٢).

وباستحضار كلمات القديس أغسطينوس – «In manibus nostris sunt codices، in oculis nostris facta»[8] (الكتب في أيدينا والحقائق أمام أعيننا) –، يوضح الأب جوساني طبيعة ظاهرة الكاريزما: «In manibus nostris sunt codices» (الكتب في أيدينا) أي الأناجيل التي يجب قراءتها والكتاب المقدس الذي يجب قراءته؛ لكننا لن نعرف كيف نقرأها، بدون الفقرة الأخرى: in oculis nostris facta (والحقائق أمام أعيننا). فحضور يسوع يغذينا ويعزينا ويظهر لنا من خلال قراءة الأناجيل والكتاب المقدس، ولكنه يتأكد ويصبح واضحًا بيننا من خلال حدث واقع، ومن خلال وقائع باعتبارها حضور». فالوقائع لها تأثير خاص جدًا على من حدثت لهم ولمستهم وملكت وجدانهم: «فلكل واحد هناك حدث أو واقعة لها معنى وحضور أثَر في حياته كلها: وأنارت طريقة تصوره وشعوره وقيامه بالاشياء. وهذا يسمى حدث. وما التقينا به يظل حياً حقاً، ويتحقق كل يوم». وكل هذا يجب أن يصبح ملكنا أكثر فأكثر: «لذلك علينا كل يوم [...] أن ندرك ونعي الحدث كما حدث لنا، واللقاء الذي حدث معنا» (ص ٦٢-٦٣).

إن إختبار المسيحية بتواصل تام مع إيمان البدايات هو وحده القادر على إبهار وجذب الانسان مرة أخرى، إلى درجة أن من يلتقي بحدث المسيح، وفق الظروف الانسانية التي يواجهها، يمكن أن «يشعر بالانجذاب» مثل ما حدث مع يوحنا وأندراوس قبل ألفي عام. والأب جوساني هو الشهادة الواضحة على هذه الامكانية اليوم، والتي يصفها على النحو التالي: «إن المسيح هو هذا الاسم الذي يشير إلى ويحدد واقع التقيت به في حياتي. فقد التقيت به: وسمعت من يتحدثون عنه عندما كنت طفلاً وصبياً، إلخ. ويمكن للانسان أن يكبر وتبقى هذه الكلمة معروفة جيدًا، ولكن بالنسبة للعديد من الناس، لا يتم اللقاء بها ولم يتم

---

8 القديس أغسطينوس، العظة ٣٦٠ / ب، ٢٠: عظته إلى الوثنيين العابرين إلى المسيحية.

اختبارها حقًا كحضور؛ بينما صادف المسيح حياتي، وصادفت حياتي المسيح حتى أستطيع أن أتعلم وأفهم كيف أنه هو المركز العصبي لكل شيء ولحياتي بأكملها. إن المسيح هو حياة حياتي. إذ يتلخص فيه كل ما أريد وكل ما أسعى إليه وكل ما أضحي به وكل ما ينمو ويتطور بداخلي بدافع الحب للأشخاص الذين وضعني معهم» (ص ٦٣).

ومن هنا ينبع كل شيء جديد وكل نتيجة عملية: «فالمسيح، حياة الحياة واليقين بالمصير الصالح ورفقة الحياة اليومية ورفقة مألوفة وتحول إلى خير: وهذا يمثل فاعليته في حياتي. ولا تنبع الأخلاق من هنا فقط، بل هنا فقط يتم الشهادة لمسار الأخلاق وحفظه». ولإظهار كيف تولد الأخلاق من الانتماء للمسيح، يشير الأب جوساني إلى كلمة «نعم» لبطرس: «لم يضع القديس بطرس، كسبب لحبه للمسيح، حقيقة غفران المسيح للكثير من عيوبه والكثير من أخطائه والكثير من خياناته؛ ولم يعد قائمة بأخطائه. فلما وجد بطرس نفسه أمامه بعد قيامته وجهًا لوجه مع المسيح و عندما سأله المسيح: «أتحبني يا سمعان؟» فقال له: ''نعم''. إنها العلاقة بكلمة المسيح هذه، التي هي العلاقة الأكثر إنسانية والأكثر إلهية والتي تجعلنا نحتضن كل شيء في حياتنا اليومية» (ص ٦٣-٦٤).

وكما كان بالنسبة لبطرس، هكذا يجب أن يكون المسيح بالنسبة لنا كل يوم « ذاكرة ودافع يصبح به مألوفًا بالنسبة لنا، وتصير الصحبة معه سعيدة، و تتركنا ذكراه سعداء، في أي ظرف من الظروف، وفي أي موقف من المواقف، لأنه فيك يا رب يتجسد الخير الذي يريده لي السر (الله). وهكذا يكون لدينا اليقين في بلوغ المصير السعيد والرجاء طوال مسيرة حياتنا». يا له من شعور رائع بالتحرر! ويا لها من راحة! إنه تفجر لمقياس بلا حدود، يتركنا في حالة ذهول ودهشة تجعل الأب جوساني يقول: «نعم، يا رب، أنت تعلم أنني أحبك». وإن كنت قد أخطأت وخُنت ألف مرة في ثلاثين يومًا، يبقى ويجب أن يبقى (هذا الحب)! ويبدو لي أن هذا ليس إدعاءً، بل نعمة مدهشة، لا يمكن تصورها. ولا يمكن وصفها، كما قال الفنان العظيم مايكل أنجلو بوناروتي: «ولكن ماذا عساي أن أفعل يا رب، إن لم تأتي إليَ / بلطفك الذي لا يوصف؟» (ص ٦٤).

إن الحياة المسيحية بسيطة ويجب علينا أن نكون بسطاء حتى نعتنقها: «فالمسيح وقبولنا له: هذا، للمفارقة، هو الجانب الإنساني الأسهل - أقول هذا بقليل من الإدعاء وبقليل من الحماس - أو على أي حال، الجانب الأكثر قبولًا من بين كل الواجبات الأخلاقية الذي لدينا في العالم. لأن المسيح هو الكلمة التي تكشف كل شيء: فالمسيح هو انسان

عاش قبل ألفي عام مثل كل الآخرين، لكنه قام من بين الأموات بتدخل قوة السر (الله) فيه والذي يشاركه في طبيعته، يصادفنا يومًا بعد يوم وساعة بساعة وبفعل وراء فعل» (ص ٦٤-٦٥).

إنها بساطة تسمح لنا بأن نخاطب السر (الله) بأنت والاعتراف به كحضور مألوف في وجودنا اليومي: «إن شمولية حضور السر (الله) وأحقيته في حياتنا (''فالله هو كل شيء في كل شيء'') وحضور المسيح، يسوع الناصري، الرجل الشاب من الناصرة، يسوع، الذي هو السر الذي صار المسيح، مسيحه، وشمولية الشخصية العظيمة والإشارة العظيمة إلى أن الله، كلمة الله هي في قلوبنا وعلى شفاهنا وشمولية هذا الحضور المألوف واليومي والفعال لهذه الصحبة الغريبة بقدر ما هو واضح أنه لا يفوقها أي شيء وتفسر هذه الشمولية قولنا «أنت»: إذ يجب أن نقول لله «أنت» وللمسيح «أنت، أيها المسيح» ليسوع الناصري الانسان» (ص ٦٥).

وتنبثق من العلاقة مع هذا ''الأنت'' المتجسِّد إمكانية إقامة علاقة جديدة أكثر إنسانية، وفي النهاية علاقة إنسانية مع كل شيء: «إذا نظرت إلى كل الأشخاص الذين تحدثت معهم أو الذين أجابوا عليك أو الذين لم يكن هناك حوار معهم - حتى بيلاطس ورؤساء الكهنة -، وإذا كانت العلاقة التي تربطك بهم، والتي، كما أظهرت في كل مسيرة آلامك، كانت علاقة مليئة بالحب لمصيرهم ومصير أشخاصهم وممتلئة بالحب لهم، ولو كانوا قد قبلوا هذا الحب، ووافقوا وتواصلوا معك، لكانت كلمة الصداقة هي الكلمة الوحيدة التي يمكنهم استخدامها للعلاقة معك». والتي تصلح اليوم أيضًا: «إن كلمة الصداقة هي الكلمة الوحيدة التي يمكننا استخدامها في العلاقة بيننا وبينه» (ص ٦٥).

لقد مر هذا الحضور الفريد من نوعه عبر التاريخ ووصلنا حتى اليوم، باستمرارية لم تنقطع أبدًا: «إن إنسانية يسوع الناصري التي دُعِيتْ للمشاركة في سر الطبيعة الإلهية تمتد كي تتحقق الطريقة التي وضعها الآب في واقع محسوس ومرئي وملموس: أي في شعب له جانب عاقل ووجداني. إنه جسد المسيح السري، أي جسد المسيح الملموس الذي تنتشر في أرجائه الطبيعة الإلهية الغير مرئية التي يعطيها الآب للابن: ويُوَلِد هذا الانتشار بشر ذو عقلية جديدة وخصوبة جديدة».

ويؤكد الأب جوساني على الحالة «التاريخية» و «الواقعية» لهذا الامتداد للمسيح الذي يصلنا ويجذبنا: إنها «الكاريزما». «فالكاريزما هي تدخل روح المسيح حتى ينمو انتمائنا للمسيح في العالم: إنها حقيقة من حقائق التاريخ التي نولد فيها والتي يفاجئنا فيها الروح والذي وضعنا فيه الآب. فقد وضعنا مخطط سر الآب الأصلي في مسار محدد وعلى

طريق محدد داخل الكنيسة وأدخلنا وأشركنا في حدث المسيح بجعلنا خاصته معرفياً وعاطفياً». الكاريزما هي هبة، وهي «محبة المسيح لنا التي تجعلنا خاصته: كوعي ومحبة، أي كعقلية وطريقة للتعامل مع العواطف الانسانية وتحقيقها» (ص ١٧٣-١٧٤).

وهو ممتلئ بهذا الحضور القائم في نهاية الرياضة الروحية الأخيرة التي وعظنا فيها في عام ١٩٩٩، خاطب الأب جوساني جميع الحاضرين بهذه الكلمات: «أود أن أترك لكم أمنية التي يمكن أن يُساء فهمها بعد كل ما سمعتموه، ومع ذلك أتركها لكم، لأنني لا أعرف أن أقول لكم شيئًا آخر أفضل من هذا. [...] بسبب النعمة التي أُعطيت لنا من هذا اللقاء، هناك في الواقع إمكانية [...] التي وضعها الروح فيكم، بطريقة خفية أو علنية، وفقًا لقصة كل واحد، أي القدرة التي وضعها الروح فيكم حتى تُعطوا شهادة للمسيح، الذي هو الشيء الوحيد الذي ينتظره العالم، لأنه حيث يوجد المسيح، توجد علاقات سلام ووحدة وسلام». ثم قال: «أتمنى لكم أن يكون في هذا الشيء العظيم ومن أجل هذا الشيء العظيم الذي أعطاكم إياه الرب، إذا أصبح شخصيًا أكثر فأكثر، أي طاعة أكثر فأكثر (لأن التخصيص هو أيضًا طاعة يتم تنفيذها بذكاء)، عليكم الالتقاء بأب وعيشوا خبرة الأب. [...] وعلى كل واحد منكم أن يعيد حقاً اكتشاف عظمة هذا الدور، الذي ليس دورًا، بل هو الحالة التي ينظر فيها الإنسان، ويرى الله الذي يعهد له بما يريد؛ أب ثم أم، لأنه نفس الدور، فهما ليسا وظيفتين مختلفتين من الناحية الروحية؛ لأن الأشياء تتغير ماديًا فقط، عندما يكون لأحدهما حد والآخر حد آخر. [...]، أتمنى أن تعيشوا خبرة الأب؛ خبرة الأب والأم: وأتمنى هذا لجميع القادة، ولجميع مسئولي جماعاتكم، ولكن أيضًا لكل واحد منكم، لأنه يجب على كل واحد أن يكون أبًا للأصدقاء الذين عنده هناك، ويجب أن يكون أُماً لكل الذين عنده هناك؛ بدون استعلاء، ولكن بمحبة حقيقية. ففي الواقع، لا يمكن لأحد أن يكون محظوظًا وسعيدًا كرجل وامرأة يشعران أن الرب جعل منهم آباء وأمهات. آباء وأمهات لكل من يلتقون بهم» (١٩١-١٩٢).

«صنع منكم الرب آباء وأمهات ...». إنه إشتياق نراه ينمو فينا ويمتد إلى كل من نلتقي بهم وإلى جميع إخواننا البشر، المجروحين، مثلنا، والممتلئين برغبة في سعادة لا يمكن اختزالها. إن الامتنان والعرفان للقاء أب أدخلنا في علاقة مع الآب مثلما عاشها المسيح يجعلنا نرغب في مشاركة النعمة التي نلناها مع الجميع ببذل حياتنا من أجل عمل آخر.

الأب يوليان كارون

سبتمبر ٢٠٢١

بذل الحياة من أجل عمل آخر

ملاحظات تحريرية

قام الأب لويجي جوساني طوال حياته بنشاط تعليمي لم يكل. وقد تم نقل جزء كبير من أفكاره من خلال ثراء وإيقاع خطاب شفهي تم إيصاله إلينا في هذا الشكل (من خلال التسجيلات السمعية والبصرية المحفوظة في أرشيف أخوية الشراكة والتحرر في ميلانو).
تم تحرير المجلد الحالي بدءًا من نسخ بعض هذه التسجيلات. وتم العمل على النص المقدم وفقًا للمعايير التي صاغها الأب جوساني نفسه في ذلك الوقت.
١) الأمانة للخُطَبْ بالشكل الذي أُلقيت به. وقد تمت تسجيلات النص المُقدم بهدف التقيد إلى أقصى حد بالمسار ولهجة الخطاب الشفوي وطابعه النموذجي، كتعبير ملموس عن مضمون ونية المؤلف.
٢) احترام طبيعة الخُطَب. فقد تحدث الأب جوساني في مناسبات مختلفة تمامًا فيما بينها - في مؤتمرات ومحاضرات جامعية واجتماعات لمسئولي الحركة أو إجتماعات أخرى ورياضات الروحية وعظات - وهو دائم الحرص على احترام سجلاتها المختلفة. وتجنبنا في كتابة تلك المداخلات، توحيد أو إعادة ترتيب مضمونها وفقًا لمعايير شكلية أو هيكلية.
إلى جانب ذلك، ونظراً لكون المحاورون، بطريقة صريحة أو ضمنية، جزءًا أساسيًا من دينامية بناء وتعبير خطاب الأب جوساني، تم الحفاظ على مداخلاتهم - في حالة الحوارات والمحادثات - كما هي.
٣) لم نقصد من الانتقال من الشكل الشفهي إلى الشكل المكتوب أن يكون تحولا للأشكال التعبيرية، ولكن ببساطة كتابة الأفكار التي بلغتنا بطريقة شفهية. ومع ذلك، عند الضرورة، ومن أجل تجنب مضايقات القراءة الشخصية الناجمة عن النسخ الآلي للنص الشفوي، تم التخلص من تكرار الكلمات أو التعبيرات، والتعليقات العرضية غير متصلة بالمحتوى، ومن الادخالات الزائدة عن الحاجة، كما تم تحسين التوافق النحوي لجعل النص أسهل عند قراءته.
٤) تم توضيح الإشارات - الضمنية أو الصريحة - إلى أشخاص وأحداث وأعمال حيثما أمكن ذلك داخل النص أو، بخلاف ذلك، تم حذفها بعد توضيحها بشكل صريح في الملاحظات أو، بعد التأكد من الحفاظ على معناها. كما تم حذف الإشارة الصريحة إلى المحاورين الحاضرين في الحدث أو إلى شخصيات عامة، إذا لم تكن جوهرية لعرض وفهم الموضوع المطروح.

وقد قام الأب يوليان كارون باختيار وإعداد نصوص هذا المجلد.
ويجمع المجلد النصوص التي سبق نشرها، والتي قام كارمينه دي مارتينو وأونوراتو جراسي بمراجعتها. كما قام ألبرتو سافورانا بالتنسيق التحريري لهذا المجلد.

أنت أم عن الصداقة
(١٩٩٧)*

ترددت كلمات جان بابتيست ماسيون («الله فقط هو العظيم يا إخوتي»)، التي نطقها بصوت حاسم في جوانب القاعة الكبرى للمعرض وأعطت البداية والنبرة، دون أي ديباجة، للرياضة الروحية ذلك العام. وقد استخدمها الأب جوساني أمام آلاف المشاركين، حتى قبل تناول الموضوع الكبير عن الآخر («أنت أم عن الصداقة»). جاء من شهور مضطربة أضعفته وفي حالة إنسانية غير عادية بالنسبة له، تميزت بثقل المرض وبالزمن الذي يمر. إذ صرّح لبعض المقربين له: «إن الشيخوخة تجتاحني»؛[1] وكانت تضعه معاناته الجسدية يوميًا أمام التفكير في الأمور التي تمر وتغرب وتنتهي. ولكن بدلاً من التراجع أو الاستقالة أو المعاناة، جاء رد فعله بحركة استعادة لقدراته متغلباً على المظاهر ومتمسكاً بالتزامه وبذكائه باحثاً عن حقيقة معروفة بالفعل، ولكن لا يزال يتعين اكتشافها في عمقها الداخلي. لقد كانت فترة تفكير مليئة بالالهامات الفكرية والتأملات والتحليلات النقدية والتي حاول دائمًا أن يعطيها شكلاً واكتمالاً، في ذلك «التطور الخطابي» الذي كان، بالتحديد، في تأملات حول الأخوية والذي كان أحد محاوره الرئيسية.

حتى أنه اعتبر درسين من الرياضة الروحية لتلك السنة نوعاً من «الاستنارة الإلهية الحقيقية»، والتي أظهرت الوعي الذاتي لانسان أمام الحضور العظيم (حضور الله)، كما تشهد الصفحات التالية.

فقد ارتبطت دراسة السياق الفكري الحديث والمعاصر، والعقلية المنبثقة عنه والتي يتعامل معها إنسان اليوم، إرتباطاً وثيقاً بتعميق مضمون الخبرة الإيمانية. «فـ "دراسة" تاريخ الإنسانية»، بهدف إظهار إيجابية مطلقة للوجود، ستكون الدعوة التي سيوجهها الأب جوساني، في تحيته الأخيرة في عام ٢٠٠٤ لأصدقاء الأخوية. وهي مهمة قام بها وقدم فيها الدليل والشهادة في صفحاته الثاقبة حول العقلانية الحديثة والعدمية ومفاهيم «الأنا» وحرية الإنسان.

أعدّ الأب جوساني بنفسه كل خطبه ومداخلاته بكل دقة: فقد كتب الملاحظات، و ''الملخص''، والتي كان يوثقها نفسه باقتباسات مكتوبة على بطاقات أو على صفحات ورقية صغيرة. ثم تحدث، وفي أثناء حديثه ''كان يبدع'' خطابه على الهواء مباشرةً تقريباً، بقوة تواصل شارك فيه جمهور سامعيه. ومع ذلك، تغيرت الأمور منذ الرياضة الروحية في عام ١٩٩٧. فقد خشي أن محدودية قدراته

---

* الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، ١٦ – ١٨ مايو ١٩٩٧، ريميني

[1] راجع ألبرتو سافورانا، حياة الأب جوساني، بور، ميلانو ٢٠١٤، صفحة ٩٧٥.

الجسدية، حتى في الالقاء، قد تجعل من الصعب فهم حديثه، مما دفعه إلى استخدام شكل جديد – بالنسبة له – للتواصل، والذي أتاحته له التكنولوجيا. لذلك تم تسجيل الدرسين الرئيسيين قبل أيام قليلة، أمام مجموعة صغيرة من الأشخاص، ثم عُرضا على شاشات كبيرة في القاعات التي اجتمع فيها المشاركون في الرياضة الروحية. فالشكل لم يغير الجوهر، والخبرة ''الحية'' لم تَضعُف.

فقد كان الأب جوساني حاضرا في تلك الأيام في ريميني، وتابع بنفسه الدروس من صالة صغيرة في الجزء الخلفي من المنصة، وفي صباح يوم الأحد، شارك في الاجتماع العام وأجاب «بطريقة تلقائية» على الأسئلة التي طُرِحتْ عليه.

وقد كشفت طريقة الاتصال الجديدة هذه، منذ تلك اللحظة وصاعداً، أنها حل من العناية الإلهية. ففي الأشهر و السنوات التالية، كان استخدام تسجيلات الفيديو والاتصالات الحية عن بعد يسمح للأب جوساني بمداخلات في العديد من اجتماعات الحركة ومتابعة حياة الحركة بطريقة مباشرة، رغم عدم إمكانية تواجده جسدياً فيها. إذ أن «اقتحاماته الفكرية»، كما سماها، لمست النفوس وكانت أحجار زاوية لمسيرة كان يواصل السير فيها مع أصدقائه بشغف وولع، حتى «مع من أعرفهم قليلاً أو مع من لا أعرفهم على الاطلاق، ولكني أشعر أنني متحد معهم بعمق».

المقـدمـة

«إن الله فقط هو العظيم يا إخوتي»: هكذا بدأ الخطيب الشهير جان بابتيست ماسيون خطبته لتأبين ملك الشمس (في كاتدرائية نوتردام).

إذ تعتبر وفاة لويس الرابع عشر ملك فرنسا علامة للحقبة التي ادعى فيها العقل أنه يحتل كامل مساحة تدخل الله في حياة الإنسان، بكل معنى الكلمة. ولهذا السبب تحصنت الكنيسة، التي هي المصدر النهائي للنور حول الخبرة الإنسانية، على المستوى الرعوي للدفاع عن مبادئ الناس الأخلاقية، بإعطاء الانسان المؤمن برهان المضمون العقائدي كأمر مُسَلَمْ به. لذلك تم تفضيل عدم الدفاع عن إيمان شعب الله وتغذيته به، لأنه من خلال النشاط الثقافي تتعمق حياة الشعب وتصبح خلاقة تاريخيًا، سواء في صالح أو ضد التقاليد المسيحية التي أسست وأنشأت الحضارة الغربية.

ونبدو نحن الآن كما لو أننا أُصِبنَا بأقسى عواقب التمرد العقلاني تجاه الله الحي الذي كشف ذاته للإنسان. «الله الحي»: هكذا دعاهُ يسوع، لأنه الإله الذي أظهر نفسه للإنسان، هو الإله الحاضر في التاريخ.

لهذا السبب يجب أن نطلب من أبينا الذي في السموات أن يُعمِق وعي إيماننا: «من أنت يا رب بالنسبة لي ولنا ولعالم البشر بأسره؟» إنها خطوة، نأمل في مساعدته لنا في التغلب على جفاء القلب الذي تفضله العقلية السائدة.

فمحاولة التأمل التي أقترِحُها بناءً على انشغالي الفكري بهذه الأزمنة تتركز في موضوعين.

الأول يحدده هذا السؤال: ما هو الله بالنسبة للإنسان؟ يقول القديس بولس: «الله هو الكل في الكل» (١كور: ١٥، ٢٨). من منا يختبر وعيًا متزايدًا باستمرار بأن «الله هو الكل في الكل» ؟ وماذا يعني هذا؟

والثاني هو كيف لنا أن نتعرف عليه؟ وقال يسوع: «لا أحد يعرف الآب إلا الابن» (لو ١٠: ٢٢). إذن أنا أفهم لماذا يقول القديس بولس مرة أخرى في رسالته إلى أهل كولوسي، في الفصل الثالث، الآية ١١: «المسيح هو كل شيء في كل شيء».

«الله هو الكل في الكل»

١) انطلاقة جديدة: علم طبيعة الوجود

إن موضوع هذا التأمل الأول هو مقولة القديس بولس: «الله هو الكل في الكل». [2] ويقول ميلوش في مسرحيته «ميجيل مانيارا» على لسان البطل: «هو وحده الكائن». [3]

وتقول الرسالة إلى العبرانيين: «فما لنا هُنا في الأرضِ مدينةٌ باقِيَةٌ». [4] إن الوجود هذا الذي في داخلي أو في المجتمع الانساني، كما يبدو هكذا، مليئًا بالمزاعم، وفي تطور الحياة التي أنتجها الإنسان بتعايشه الدرامي وفي أشكال طبيعته الاجتماعية، ليس وجود دائم: بل هو وجود عابر وزائل.

كما يقول لنا المزمور الثامن: «أرى السَّماواتِ صُنْعَ أصابِعِكَ والقمرَ والنُّجومَ التي كوَّنْتَها، فأقولُ: ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ؟ و اَبنُ آدمَ حتى تَفتَقِدَهُ؟». [5] ومع ذلك نحن ذاك المستوى المذهل للطبيعة التي تختبر فيه وعيها بذاتها؛ والواقع، كما يظهر في بعده الكوني، له كمكان مُفارِق، نقطة لا يمكن الامساك بها تحوي كل شيء في إمكانية وعيها وينعكس فيها كل شيء: وهي الذات.

وتذكرنا عبارة القديس بولس بصيغة مماثلة من سفر يشوع بن سيراخ: «سأذكر الآنَ بِأَعْمالِ الرَّبّ وأُخبِرُ بِما رَأَيتُ بأَقْوالِ الرَّبَ كانَت أَعْمالُه والخَليقَةُ تُطيعُ مَشيئَتَه. [...] رَتَّبَ عَظائِمَ حِكمَتِه وهو الكائِنُ مُنذُ الأزلِ وإلى الأبد ولم يُضَف إليه شَيءٌ ولم يُحذَفْ منه شَيء ولا يَحتاجُ إلى مَشورَةِ أَحَد. [...] ما أَشْهى جَميعَ أَعْمالِهَ وهم مِثلُ شَرارةٍ يشاهِدُها الإنْسان. [...]. في إمْكانِنا أَن نُكثِرَ الكَلام دونَ اْستيعابِ المَوضوع وغايَةُ ما يُقالُ ''أنّه كُلّ شيء''». [6]

وأمام هذا الرب تشعر الذات الانسانية بالظمأ إليه. فالنفس البشرية تشعر بالعطش إلى هذا الإله، أي - كما يقول يسوع - «تشعر بالعطش إلى الحياة الأبدية». وبدون هذا العطش، يصير كل شيء معتماً أو مظلماً أو عدمية لا يمكن استساغتها: فكلما زادت

---

[2] ١ كور ١٥، ٢٨.

[3] راجع أ. ڤ. ميلوش، ميجيل مانيارا، ميفيبوسيت، شاول الطرسوسي. مسرح، ياكابوك، ميلانو ٢٠١٠، الصفحات ٤٩، ٦٣.

[4] عبر ١٣: ١٤.

[5] مز ٨: ٤ - ٥.

[6] يشوع بن سيراخ ٤٢: ١٥، ٢١ - ٢٢ ؛ ٤٣: ٢٧.

إنسانية المرء وكلما ازدادت الأنا في وعيها وحبها المندفع، كلما ازداد شعورها بأنه بدون اللامحدود يصير كل شيء خانقًا وغير محتمل. فالأنا متعطشة إلى الأبدية، وهي علاقة مع اللامحدود، أي مع واقع يتجاوز كل الحدود. هو وحده: فالله هو الكل في الكل.

«الله هو كل شيء». إنه كل شيء على وجه التحديد بسبب هذا العطش الذي يميز الظاهرة الإنسانية. فالله هو الوجود. والآن، ماذا يعني أن الله هو الوجود؟ هذا يعني أنه الكل في الكل. وكل شيء موجود. فإذا كان الله هو الوجود، فذلك لأنه الكل في الكل، وكل ما هو موجود هو من صنْع الله.

٢) اثنين من الاغراءات: العدمية ووحدة الوجود

ولكن إذا كان الله هو كل شيء، فماذا أنا؟ ومن أنت؟ وما هو الشخص الذي أحبه؟ وما هو الوطن؟ وما هو المال؟ وما هي البحار والجبال والزهور والنجوم والأرض والسماوات؟.

الجواب هو ليس حل لمسائل أخلاقية، بل هو اكتشاف وجودي: وجود الواقع. لكن الواقع في جوهره وكما يظهر في الخبرة الانسانية، أي كما يظهر للعقل البشري، كيف له أن يوجد ومما يتكون؟ إن الواقع كما يظهر للإنسان هو صُنْع الله و «من» الله. فالكائن يَخْلِقُ من العدم، أي يُشرِك ذاته (في عملية الخلق). وبإدراكنا بعرضية الواقع، أي بحقيقة أن الواقع لا يصنع نفسه بنفسه.

ومن إدراكنا المذهل للمظهر الزائل للأشياء، يتنامى، كإستسلام وإنكار كاذب، الإغراء بالاعتقاد بأن الأشياء هي وهْم وعدم. فإذا كان الله هو كل شيء، فهذا يعني أن الأشياء التي لديك والأشخاص الذين تعيش معهم إما أنهم لا شيء (عدمية) أو أنهم جزء مبهم – وبالتالي أنت أيضًا جزء غامض – من الكائن، أي أجزاء من الله (وحدة الوجود). لذلك، إما العدمية أو وحدة الوجود. اليوم، هذه المواقف هي الجواب النهائي الذي يستسلم به ويعتنقه الجميع في غياب سند قوي وواضح.

قبل أي شيء، تُعتبر العدمية هي النتيجة الحتمية للزعم المتمركز حول الانسان، والذي به يصبح الإنسان قادرًا على إنقاذ نفسه بنفسه. وهذا غير صحيح لدرجة أن كل أولئك الذين يعيشون وهم يدافعون عن مثل هذا الموقف، يشعرون في النهاية، حتى علانية، بالانحلال في ازدواجية يحاولون تبديد مرارتها بتخيلات مستعارة من العالم الشرقي أو من مناطق معينة بطرق روحية مختلفة من العالم الغربي، تحقق

دائـمًا في الـنهايـة أحـد مُـثُلْ وحـدة الـوجـود (مـثل الـعصر الجـديـد في الولايات المتحدة على سبيل المثال).

ويـوجـد مـثال مـثالي أيـضًا لـدى تـومـاس مـان، في كـتابـه «عـائـلة بـادينبروك» عـنـدمـا يـصف آخـر انـسان قـادر عـلى الـدفـاع عـن الثروة والثقافة الهائلة لعائلة بادنبروك – قصة درامية تصير فيه مأساةً. ففي يوم حافل بالعمل والانهاك للحفاظ على كل ميراث والده وجده، لا يمكنه أن يسمح لنفسه إلا بعشر دقائق، أي ربع ساعة راحة. وعندما يرتمي بجسده على الكرسي يشعر بالراحة – كما يقول توماس مان – ويفكر دائمًا في تلك اللحظة الأخيرة التي سيمتص فيها "بحر الوجود العظيم" قطرة عرقه، وبالتالي يختفي كقطرة وكفرد بانغماسه في عالم المجاراة المسالم.[7]

تُملي هاتان النظريتان والمواقف (العدمية والحلولية) جميع السلوكيات اليوم؛ فهي التفسيرات الوحيدة (حتى العملية، بل والعملية بشكل خاص) التي تقدمها العقلية الشائعة التي تسود وتعيق عقول وقلوب الجميع، وحتى نحن المسيحيين وحتى العديد من اللاهوتيين. فكليهما، بكل ما يترتب عليهما من عواقب، لديه لعبة مشتركة ونقطة تجمع مشتركة: الثقة في السلطة والطمع فيها، مهما كان تصورها، وبأي نسخة.

وبغض النظر عن تصورنا لها وبأي نسخة كانت، فإن السلطة تميل إلى الديكتاتورية؛ فهي ترسخ نفسها كمصدر وشكل وحيد للنظام، وإن كان سريع الزوال، ولكنه ممكن. لكن أقل قدر من النظام وأي احتياج إلى النظام في وضع اجتماعي معين لا يمكن أن يكون مصدره الوحيد واليقيني هو السلطة. هي في نهاية الأمر مفهوم لوثر أيضاً الذي يؤدي إلى الدولة المطلقة: بما أن جميع الناس أشرار، فمن الأفضل أن تكون السلطة في يد قائد واحد فقط أو في يد القليل من القادة. ويمكننا القول بأن لينين وهتلر وموسوليني متطابقون من وجهة النظر هذه. لكن من خلال وساطة كالفينية متشددة يتطابق هؤلاء أيضًا مع الدول الديمقراطية ، سواء كانت أمريكية أم لا، و – باستثناء الشكل – هي متطابقة مع روسيا في عهد يلتسين، أو ربما، كما يمكننا القول للحكومات الإيطالية اليوم. ففي هذه الثقافة، لا يمكن إرساء دعائم الدولة إلا كنظام شمولي ثقافي، إذا لم يجتاح جوهرها أفكار وممارسات مسيحية تضع فيها الدولة كل حكمتها.

ولكن كيف يمكن للانسان الانتقال من العدمية والحلولية إلى أن يكون هدفه هو القوة؟ فإذا كان الإنسان، في نهاية المطاف، يختزل نفسه

---

[7] راجع توماس مان، عائلة بادينبروك، الجزء ١٠، الفصل الخامس، إيناوادي، تورينو ١٩٩٢، الصفحات ٥٩٦-٥٩٩.

إلى عدم أو كذبة أو مجرد خدعة، فهو يشعر بأنه كائن مصطنع ومظهر غير حقيقي للوجود؛ وإذا وُلِدتْ ذاته بالكامل كجزء من التحول العظيم كمجرد عاقبة لأسلافه الجسديين والبيولوجيين، فلن يكون لديه اتساق أصلي: والمعيار الوحيد الذي يمكن أن يمتلكه بعد ذلك هو التكيف، مع ما تأتي به الأمور، ومع التأثير الميكانيكي للظروف، وكلما ازدادت قوته فيها، كلما زاد اتساقه، الذي هو مظهر، وبالتالي يزداد الوهم، بل الكذب في واقع الأمر.

٣) وجود الأنا

يقوم كل من مذهب وحدة الوجود والعدمية بتدمير أعظم ما في الإنسان؛ فهما يدمران الإنسان كشخص، ويقول باسكال، إن أصغر أفكاره تساوي أكثر من الكون كله، لأنه ينتمي إلى واقع أسمى بلا حدود: «فكل الأجسام والسماء والنجوم والأرض ممالكها لا تساوي الأدنى من بين الأرواح؛ لأنه يعرف كل هذا ويعرف ذاته. والأجساد لا شيء. فكل الأجساد وكل الأرواح معًا وكل إنتاجهم لا يستحقون أدنى حركة محبة. فهذا نظام أعلى بلا حدود. ومن بين جميع الأجساد مجتمعة، لا يمكن أن تنبثق أي فكر: فهذا مستحيل، ومن نظام آخر. ولا يمكن الإتيان بعمل محبة حقيقية من كل الأجساد والأرواح: فذلك مستحيل ومن نظام آخر خارق للطبيعة».[8]

الأنا هي ذلك المستوى من الواقع الذي يهتز فيه الواقع كاحتياج لعلاقة مع اللانهائي. والاحتياج إلى علاقة شاملة تسمو فوق هشاشة جميع العلاقات الممكنة يُسمَّى «نفس» في القاموس التقليدي أو «روح». فالعدمية ومذهب وحدة الوجود يقضيان على هذه "الأنا" التي تحدد كرامة الإنسان ويهبطان بها إلى شكل من الحيوانية؛ ويتم اختزال قانون كل فعل وكل عمل في السلوك الغريزي: «فالأشرار هُم كالأسدِ الكامنِ للافتراسِ، وكالشِّبلِ المُتَوَثِّبِ في مكْمَنِهِ».[9]

حتى القوة، كدليل أكثر كرامة على القدرة الأكبر التي يتمتع بها الإنسان فوق كل المخلوقات الأخرى، تتحقق كامتلاك حازه بغريزة أكثر دهاءً من غريزة الأسد والنمر، ولكنها مطابقة كديناميه: الكبرياء والعنف والجنس (أو «الربا والشهوة والسلطة»،[10] كما يقول إليوت بكورال مسرحيته «الصخرة»).

---

[8] بليز باسكال، «نظام المحبة وسر الحب الإلهي. ٨٢٩ (٧٩٣)»، أفكار، إعداد أدريانو باوسولا، بومبياني، ميلانو ٢٠٠٠، صفحة ٤٦٣.

[9] راجع مز ١٧، ١٢.

[10] ت. س. إليوت، «النشيد السادس»، الكورال من مسرحية «الصخرة»، بور، ميلانو ٢٠١٠، ص ١٠١.

إن الإجابة على السؤال المطروح (إذا كان الله هو كل شيء، فما أنا؟) أي مشكلة كيان الإنسان، كيف يمكن حلها؟ إنها ليست مشكلة فلسفية فقط، بل هي في المقام الأول مشكلة الوعي بالذات، أي مشكلة «الأنا»، مشكلة الشخص: فماهيته تُوضع على المحك، كما توضع على المحك في كل فعل انساني وفي كل خبرة يبرز فيها الواقع أمام العقل. لكن إذا قام الإنسان بحرق مضمون الخبرة، قائلاً إما أنه لا شيء أو أنه جزء غير مميز من الوجود الشامل، فلا يوجد إذن شيء خارجه، فهو سيد نفسه الوحيد. ومع ذلك، إذا لم يكن لديه سلطة وإذا لم يكن هو السيد فيصير عبداً لسلطة الآخرين: وبالتالي قد يكون الابن عبدًا لأبيه وأمه والمرأة للرجل والمواطن للدولة أو الإقليم أو المحافظة أو البلدية، وكلما ازداد الانتماء إلى مجتمع صغير ومحدود، كلما ازداد الاعتماد على من بيده السلطة فيه.

لنعود إذن إلى السؤال: «إذا كان هو كل شيء، فماذا أنا؟». أي، إذا كان الكائن هو الله، فماذا يعني؟ «أنا أكون» وماذا يعني «أنت تكون»؟ من الصعوبة الواضحة التي يتركها هذا السؤال كنتيجة فورية، يبدو أن العدمية والحلولية هي إجابات على العقل الغير المدرك بشكل صحيح: العدمية والحلولية والسلطة في نهاية الأمر. إذ يمكن لأي علاقة أن تصير سلطة وعنف، وحتى أرقْ العلاقات فيها خيط من الصلابة. ربما باستثناء الأطفال؛ لكنها كذلك بين كل البالغين.

وحتى نبدأ في محاولة الإجابة الصحيحة، لنرى ما يقوله الله لموسى في الكتاب المقدس: «أنا هوَ الذي هوَ. هكذا تُجيبُ بَني إسرائيلَ: هوَ الذي هوَ أرسلَني إليكُم».[11] «هو وحده» (ميلوش في مسرحية ميغيل مانيارا، فهم ذلك بشكل صحيح)، وهذا يعرّف الله على أنه السر. لكن إلى جانب هذا، «أنا الكائن»، ويبقى هذا هو السر الحقيقي الوحيد بالنسبة لعقل الانسان؛ فبدون هذا السر، لا يعقِلْ العقل لأنه وعي للواقع وفقًا لمجموع عوامله. لذلك، فإن العدمية والحلولية هي اختزال وإنكار للعقل إذ أنها تبسيطات اختزالية، ومناقضة للعقل وتخضعان للصورة الكمية للأشياء: أي الصورة الكمية للوجود المستمدة من خبرة الحياة اليومية ومن الحياة الغير خالدة على هذه الأرض.

لذا فإن السر الحقيقي الوحيد هو: لماذا أنا موجود؟ كيف أتكون؟ كيف يتكون الشيء الذي هو امامي؟ كيف يتكون الحجر وكيف يتكون البحر؟ يحدد هذا السؤال المستوى الوجودي – غير الأخلاقي – للقضية. وبالعكس، غالت العقلانية العدمية أو وحدة الوجود في التأثير الأخلاقي للمشكلة، باختزال كل شيء في تأكيد الإنسان؛

---

[11] راجع خر ٣، ١٤.

وتأكيد الإنسان هو غطرسة وعنف تجاه نفسه وتجاه سر العالم. و الكنيسة، التي تعرضت لهجوم العقلانية، شددت أيضاً على الأخلاق للناس وفي لاهوتها بتقديم علم الوجود كافتراض مسبق، مما أدى ذلك إلى محو قوتها الخلاقة تقريبًا.

وبعد قول كل هذا، لا يمكننا أن لا نأخذ بعين الاعتبار بطريقة عقلانية أن السر (الله) بالنسبة للعقل يجب أن يكون، إذا جاز التعبير، «مختزلاً» قدر الامكان. وإلى أي مدى، إذن، يمكن أن يصل العقل، و أين يكون السر (الله) غير قابل للهجوم عليه؟ وأين يضطر العقل إلى الاعتراف بوجود واقع نهائي لا يمكنه اختراقه؟ فماذا يمكن تصوره في الانسان بطريقة ما – ولو بطريقة متناقضة – كأنه «محروم» من تبعيته إلى الله خالقه؟ وأين «يتجنب» كيانه حتمية كونه مشاركاً (وليس «جزءً») في الكائن؟ وأين يمكن للأنا أن تعي نفسها مستقلة عن (الله) الكائن الذي تنبثق منه؟ أين؟ في الحرية! فكل شيء آخر «يمكن الهجوم عليه» وفهمه بالعقل. ولأن شعر الرأس لم يصنع نفسه بنفسه فهذا واضح للعقل، وأن الزهرة لم تصنع نفسها بنفسها، وأنني لم أصنع نفسي بنفسي، فهذا واضح للعقل. لكن كيف يتصرف السر (الله) الذي يصنع الزهرة؟ وكيف يصنعني؟.

وبشكل أكثر جذرية، كيف يمكن للسر (الله) خلق شيئًا لا يتطابق مع ذاته؟ هذا هو اللغز الحقيقي!

لذلك يمكن فهم كل شيء، باستثناء شيء واحد لا يزال خارجًا عنا، وهو بالنسبة للعقل خارج الله: وهو الحرية. فالحرية هي الشيء الوحيد التي تبدو للعقل أنها خارج الله. ولا شيء يمكن إضافته أو إزالته من الوجود كما هو: ومع ذلك، يبدو أن الحرية تأخذ شيئًا ما بعيدًا عن سر الوجود، من الله.

لكن ما هي الحرية؟ لنبدأ من الخبرة، كما اعتدنا أن نفعل. فالحرية هي إشباع رغبة. والظاهرة التي تجعلني أقول "أنا حر" هي الرضا والاشباع. والظاهرة التي تحدد الحرية هي، إذن، رضاي الكامل، وارتواء لعطشي. فالحرية هي الحاجة إلى الرضا والاشباع الكامل. ولهذا السبب هي تكيف مع الوجود، أي التمسك به. فإذا كان الوجود، الله، هو كل شيء، فإن الحرية هي الاعتراف بأن الله هو كل شيء. وأراد السر (الله) أن نعترف به بحريتنا، أراد أن يولد الاعتراف به.

ولكن في الله نفسه، يتم الاعتراف به من قِبَلْ الابن ومن خلال ما «أُملي» علينا ككلمة الله. فبالنسبة ليسوع المسيح، الله هو الآب، وبالنسبة للآب، يسوع المسيح هو الابن، لذلك هو شريك كلمة الله، كما يقول لنا اللاهوت عن الثالوث الأقدس. وفي شخصه وفي سلوكه

تجاه الآب يكشف السر عن ذاته كثالوث. وقبول الحب يخلق المعاملة بالمثل، ويولد المعاملة بالمثل. هذه هي الطبيعة في السر (الله). إن طبيعة الكائن (الله) قد كشفت عن ذاتها في يسوع الناصري كمحبة في الصداقة، أي محبة معترف بها. وهكذا فإن مرآة الآب هي الابن، الكلمة الأبدية، وفي الكمال اللامتناهي السري لهذا الاعتراف، حيث يهتزمن أجلنا الجمال اللامتناهي السري لأصل الوجود والآب (روعة الله الآب) وتنبثق القوة الخلاقة والسرية للروح القدس.

والآن، الأنا، أي ذات الانسان، المخلوقة على صورة الله ومثاله تعكس بطريقة أصيلة سر الكائن الواحد الثالوث في دينامية الحرية، التي سيكون قانونها بالتالي هو الحب والدينامية التي لا يمكن فيها لهذا الحب إلا أن يكون صداقة.

ومع ذلك، تبقى هناك نقطة هي سر غامض بالنسبة لعقلي: لماذا رغب الله في الكائن المُشارِكْ، وكيف لا يقوم هذا الأخير بحصر الكائن وضمه داخله ولا يختلس منه شيئًا ؟

هذه هي النقطة المركزية للسر (الله): كيف لا يختلس الكائن المشارك شيئًا من الكائن بذاته (الله).

٤) الطلب بأن أكون

وحيث أنها حرية، تُعَبرِطبيعة الكائن المشارك عن ذاتها كصلاة وهي الكلمة العظيمة التي نستخدمها على الفور هنا.

فإذا كانت الحرية هي الاعتراف بالكائن على أنه سر، فإن علاقة الكائن المشارك مع الله هي الصلاة وحسب. ويقوم الله بباقي الأشياء.

إذ في الصلاة يظل السر (الله) حاضراً، ويقاوم باعتباره هو التفسير النهائي؛ وهي في الصلاة وفي السؤال؛ لأن الصلاة هي طلب "طلب أن أكون". إذ يريد الله أن يكون هناك من يطلب أن يكون، وأن يقول الكثير، وبصدق أنه (أي الله) هو كل شيء إلى درجة أن يطلب منه ما أعطاه إياه بالفعل: وهو المشاركة في وجود الله ذاته.

وإذا كان الكائن المخلوق هو الكائن المشارك فالحرية تضع الصلاة كظهور فريد لهذا الكائن: وكل ما يفعله الكائن المشارك هو، في حد ذاته، صلاة، أي سؤال. وتعبد الأنا العقلانية السر (الله)، حتى فيما تفهمه وتشعر به، ثم تجد نفسها أمام هذا السر (الله). ليس "أمام" بل "داخل" السر (الله). فإذا كانت صلاة وسؤال، فالحرية هي أيضاً داخل السر (الله).

ماذا يطلب إذن؟ يطلب أن يكون؛ ويسأل الكائن بذاته، السر (الله). وتعبر طبيعة الكائن المشارك عن نفسها كصلاة، والتي هي من الناحية الوجودية سؤال وطلب أن يكون. لكن ما الذي يمكنه أن يطلبه؟ أن يصير الكيان فيه كاملاً وفي كل ما يفعل. في الوجود، أي في قدر الكيان التي يتم إبلاغه به، والذي يشكِله، في كل ما يفعله (لأن كيان الأنا يتحقق في الفعل: «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعاً مَعَهُ»)،[12] فإن الكائن المشارك يعترف بأن الله هو كل شيء، وأن كل شيء هو من صُنْع الله: لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ.[13] وكل شيء هو الله. والله هو كل شيء.

من وجهة النظر الإيجابية، «الله هو كل شيء»، والحرية هي الاعتراف بأن الله هو كل شيء. ومن وجهة النظر السلبية، إذا جاز التعبير، من جانب العدم، «كل شيء هو الله». هذه هي منظومة الأخلاق المسيحية. وتتوافق الأخلاق المسيحية مع هذا الاعتراف الذي يقف حقًا عند النقطة التي- يصبح فيها السر- (الله) أكثر- سرية-، لا يمكن تعويضه حتى من خلال تصور الإنسان وخياله.

٥) إختيار الغُربة

إن عكس ما هو حقيقي وعادل وصالح هو الخطيئة.

فهي-، في كل- عمل وفي كل- علاقة، على أي مستوى ومهما كان، لا تعترف بأن الله هو كل شيء، كهدف وكمنهج. ففي العلاقة، لا تعني الخطيئة أن تعيش كل شيء كتأكيد لله. فالخطيئة لا تعترف بأن الله هو أصل كل شيء، الذي ينبثق منه هدف ومنهج كل فعل. «هو وحده الكائن». وبالتالي ليس هناك شيء نملكه.

وإذا تحول هذا إلى اعتراض، فهذا بسبب السُمْ الذي وضعه "أبو الكذب": وهذا الاعتراض هو عبادة الذات.

ففي الواقع، في الكتاب المقدس، تُعَدُ عبادة الأصنام مرادف نهائي للخطيئة. ويعمل "أبو الكذب" (كما سيقول يسوع عن الشيطان) لنشر الإمكانية العقلانية لعبادة الأصنام.

لا يسعنا سوى القول: أن الخطيئة هي أي فعل يصبح فيه اعتراضًا على إمكانية القول بأن «الله هو كل شيء»، وأن أي جانب من جوانب فعلها قد لا يتوافق مع كون «الله هو كل شيء».

---

[12] راجع ١كور ١٠: ٣١؛ ١تسا ٥: ١٠.

[13] ١ تيمو ٤: ٤.

لذلك يحاول الإنسان الهروب والاختباء أمام حضور الكائن (مثل أول اثنين في البداية، آدم وحواء) أو في النهاية يرتمي في أحضان اليأس: «فيقولونَ لِلجبالِ غَطِّينا، ولِلتِّلالِ اَسقُطي علَينا»[14]، في آخر الأيام.

بدلًا من الألفة مع الله الذي يسير مع آدم وحواء في نسيم المساء، يختار الانسان الغُربة. فبدلاً من السير معه، اتبع آدم وحواء كائنًا غريبًا، شيئًا غريبًا عن خبرتهما الخاصة، والغريب، والد الكذب، الشيطان الذي تعريفه الوحيد هو «الكائن المضاد». وتصير حريته موجودة كـ «مضاد»: وهذا لا يعد برهاناً أن الله ليس كل شيء، بل هو ضد الدليل والبرهان على أن الله هو كل شيء. هذه هي طبيعته ومثل طبيعة كل خطيئة. وعلى عكس الأدلة، وعلى عكس ما تظهره الخبرة، يحاول الشيطان، بطريقة مغرية، إظهار الكائن (الله) كمصدر للكذب والشر. وهكذا يفصح أبو الكذب عن كذبه. لذلك تبرز الخبرة الانسانية كشيء مضاد للحقيقة ولخير الانسان: كغريب، لأن آدم وحواء لم يعرفا أن الشيطان، المتخفي في صورة حية، كان غريباً، وغريب على خبرتهم.

ويقوم الانسان في تمرده باتباع واقع غريب عن كيانه وباتباع «العالم»، كما يقول يسوع، أي قمة السلطة والهيمنة، التي لها شكل عادي (مثل حية آدم وحواء التي كان لها شكل حيوان)، لكن داخله ليس كما يقول أنه كذلك، و ما يظهره «ليس» ما في داخله. وحتى إبليس هو كائن قام الله بخلقه (قبل تمرده وسقوطه)، وبالتالي هو من الله؛ وبسبب رفضه وعدم اعترافه بهذا (أن الله خالقه)، يتعس نفسه، وبالتالي يتعس الانسان الخاطيء.

وهذا من جانب، يفسر السبب وراء سرور هؤلاء الذين يسيرون بمنظومة أخلاقية يفهمونها كاعتراف بأن الله هو كل شيء؛ ويجدون الفرح أيضاً، وبالتالي يجدون السلام حتى في أكثر الظروف حزناً. ومن الجانب الآخر، هناك هؤلاء الذين يتبعون و يخضعون لأبو الكذب، للشيطان، الذي لا يعترف بأن الله هو كل شيء ورغم أنه أحد مخلوقاته، وهؤلاء الذين يخضعون لكائن غريب هم ضحايا، عبيد وضحايا، لمبدأ يكرههم ولا يحبهم وهو العالم: فهُم يصيرون عبيداً للعالم، وكلما عاشوا ذلك طوال حياتهم، كلما أصبحت هذه العبودية أكثر وضوحاً. كما قال القديس أمبروزيوس: «أُنظر كم عدد السادة الذين لا يريدون أن يكون لهم رب واحد»[15].

---

[14] هوشع ١٠: ٨

[15] «كم عدد السادة الذين لا يريدون أن يكون لهم رب واحد» (القديس أمبروزيوس، الرسائل الخارجة عن مجموعة كتاباته، ١٤، ٩٦، في كل أعمال القديس أمبروزيوس - خطب ورسائل ٢ / ٣. الرسائل (٧٠-٧٧)، المكتبة الأمبروزية - المدينة الجديدة للنشر، ميلانو - روما ١٩٨٨، ص ٣١٢-٣١٣).

«المسيح هو كل شيء في كل شيء»

١) طبيعة الإنسان ومصيره

«المسيح هو كل شيء في كل شيء».[16] تستحق عبارة القديس بولس التي اقتبسها عنه القديس مكسيموس المُعرِفْ في تلقينه لأسرار الدين.

«إذ يقول المسيح أنه [...] كل شيء في كل شيء، فهو يحوي في ذاته كل شيء، بقوته الفريدة وصلاحه الغير المحدود والفائق الحكمة – كمركز تتلاقى فيه [جميع] الخطوط – حتى لا تظل مخلوقات الله غريبة ومعادية لبعضها البعض، وحتى يكون لها مكان مشترك حيث يمكنها إظهار صداقتهم وسلامهم».[17] إنه خلاصة جذور وأصول كل ما نفكر فيه ونشعر به في اقتناعنا الإيماني.

قبل أي شيء، عبارة القديس بولس. إذا كان «الله هو كل شيء في كل شيء»، فماذا تعني عبارة «المسيح هو كل شيء في كل شيء»؟ يحاول اللاهوت غالبًا تحديد هاتين الشهادتين باستبدال كلمة «الكل» بالمفرد في الشهادة الأولى بكلمة «الكل» بالجمع (في الشهادة الأخرى). لكن الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ٢٨) تقول: «ومتى خضَعَ كُلُّ شيءٍ للابنِ، يَخضَعُ هوَ نَفسُهُ للهِ الّذي أخضَعَ لَه كُلَّ شيءٍ، فيكونُ اللهُ كُلَّ شيءٍ في كُلِّ شيءٍ». (hína ê (i) ho theós pánta en pâsin).[18] فالكلمة اليونانية en pâsin هي مصطلح مذكر ومحايد في الآن ذاته. ولكن، نظراً إلى سياق صياغة القديس بولس في هذه الحالة، لا يمكن ترجمة المصطلح إلا بصيغة المحايد: «كل شيء سيخضع له [...] وأخضع له كل شيء، فيكون الله كل شيء (pánta) في كل شيء (en pâsin). فعبارة «الله كل شيء في كل شيء» هي ليست النسخة المكنة فحسب، بل والضرورية أيضًا، نظرًا للسياق النهائي والأكثر شمولية لصياغتها.

وتظهر صياغة أخرى في رسالة القديس بولس إلى أهل كولوسي (٣: ١١): «فلا يَبقى هُناكَ يَهودِيٌّ أو غَيرُ يَهودِيٍّ، ولا مَختونٌ أو غَيرُ مَختونٍ، ولا أعجَمِيٌّ أو بَربَرِيٌّ، ولا عَبدٌ أو حُرٌّ، بَلْ المَسيحُ الّذي هوَ كُلُّ شيءٍ وفي كُلِّ شيءٍ» (allá tá pánta kái en pâsin Christós). فكلمة en

---

[16] كولوسي ٣: ١١.

[17] القديس مكسيموس المعرف، تلقين أسرار الدين، الجزء الأول.

[18] ١ كور ١٥: ٢٨.

pâsin هنا هي جمع مذكر؛ فالسياق يبرز ذلك ويحفزه، وبالتالي، الترجمة السليمة هي «كل شيء في كل شيء».

فالاختلاف له دلالة جوهرية.

قبل أي شيء، إن «المسيح هو كل شيء في كل شيء» هو في قيمته الوجودية التي تربط بين سر شخص المسيح وطبيعة ومصير شخص كل إنسان: فهذه هي القيمة الوجودية الحقيقية لعبارة «المسيح هو شيء في كل شيء». لذلك يقول يسوع ، في خطابه الأخير قبل موته، في العلية ، مخاطبًا الآب: «بِما أعطيتَهُ مِنْ سُلطانٍ على جميعِ البَشَرِ [حرفياً:" كل جسد "] حتّى يهَبَ الحياةَ الأبديَّةَ لِمَنْ وهَبتَهُم لَه».[19]

ولكن، ثانيًا، «المسيح كل شيء في كل شيء» يعني أن المسيح، ليس فقط من الناحية الوجودية، بل أيضًا بالنسبة لوعي الإنسان بذاته، هو المصدر الأصلي، والمثال النهائي والكافي للإنسان كي يفهم ويعيش علاقته مع الله (الخالق) ومع الانسان الآخر (المخلوق)، علاقته بالكون والمجتمع والتاريخ.

٢) الاقتداء بالمسيح

لماذا العلاقة مع الله هي علاقة مع يسوع؟ لأن يسوع هو كشف النقاب عن الله كسِرْ وعن الثالوث كسر. لذلك فإن «الأخلاق» بالنسبة للإنسان هي الاقتداء بسلوك يسوع المسيح، أي بيسوع الانسان وبيسوع الإنسان والإله وبالانسان الذي فيه الله.

إنه بالنسبة للجميع هو المعلم (Magister adest: «المعلم هنا».[20] «أمَّا أنتُم فلا تَسمَحوا بأنْ يَدْعُوَكُم أحدٌ: يا مُعلِّمُ، لأنّكُم كُلَّكُم إخوَةٌ ولكُم مُعلِّمٌ واحدٌ».[21])، ويجب اكتشاف هذا المعلم والاصغاء إليه وإتباعه: «بل هَنيئًا لِمَنْ يَسمعُ كلامَ اللهِ ويَعمَلُ بِهِ».[22] فالاقتداء بالمسيح بالنسبة لكل البشر هو معرفة الحق وممارسته.

ويستمر يسوع المسيح في التاريخ وفي كل العصور وفي سر الكنيسة، جسده، الذي يتكون من كل أولئك الذين أعطاهم الآب في يديه، كما يقول هو نفسه، والذي وحَّدهم به كأعضاء بجسده في المعمودية بقوة روحه. وبالتالي يتفق تعليم المسيح مع تعليم الكنيسة التي تقرأه وتسمعه بشكل صحيح.

---

[19] راجع يو ١٧: ٢.
[20] يو ١١: ٢٨.
[21] مت ٢٣: ٨ و١٠.
[22] لو ١١: ٢٨.

وهنا أود أن أبدي ملاحظة. إن ما قلناه سابقًا عن السلطة ينطبق على السلطة كما يمكن أن تُعاش في الكنيسة. فإذا لم تكن أبوية، وبالتالي أُمومة، يمكن أن تصبح مصدرًا كبيراً للغموض والالتباس وأداة خادعة ومدمرة في أيدي الكذب أي في أيدي الشيطان، أبو الكذب.[23] بينما يجب في النهاية إطاعة سلطة الكنيسة على الدوام بشكل صادم ومُفارق.

فمن وجهة نظر مؤسسية، إن ما يقوله يعتبر أداة ناقلة للتقليد، بقدر ما هو تقليد قويم رسمي للإيمان وأمينًا في الممارسة لسلطة البابا. لذلك، من وجهة النظر المؤسسية، السلطة هي الشكل العرَضي الذي يستخدمه حضور يسوع القائم من بين الأموات كتعبير عملي عن صداقته مع الإنسان، معي ومعك ومع كل واحد منا. هذا هو الجانب الأكثر إثارة للإعجاب في سر الكنيسة، والذي يؤثر بشكل كبير على حب الإنسان لذاته وعقله نفسه.

فمعنى الاقتداء بالمسيح هو لكل البشر، ولكن في البداية وقبل أي شيء هو للمعمدين والمؤمنين، كما تشير إليه الكنيسة بشكل أصيل وصحيح. الكنيسة إذن هي الينبوع الذي تُقارن به كل الأخلاق وتعريف المنظومة الأخلاقية للحياة على أنها وعي بالواجب والتطلع لتنفيذه، في ضوء الوعي بالمسيح، المعلم الوحيد للبشرية (Unus best denim Magister vester). [24] ففي المعمودية، التي هي فعل أساسي في حياة الكنيسة، يدخل الإنسان في سر المسيح ويولد «خليقة جديدة».[25] هذه هي الوجودية الجديدة، الكائن الجديد، المشاركة الجديدة في الكائن (الله) كسر، التي تفوق تصورنا. من هنا تنبثق الأخلاق الجديدة.

ولكن كيف يمكن الاقتداء بالمسيح، يسوع الناصري الانسان، في الاختلاف اللامتناهي للهوية السرية لكل إنسان يؤمن به؟ يا لها من هوية سرية تعيش في كل انسان يؤمن به!

فيسوع هو الانسان الذي ولَده روح الله – مثل كل انسان – من إمرأة ليعيش ويموت كإبن لأم؛ وتتطابق ذاته وشخصيته مع نفس طبيعة السر، ولذلك أمكننا و يمكننا معرفة ما كشفه لنا في الحال عن السر (الله)!.

وهكذا عرفنا أن يسوع الإنسان هو في جوهر كلمة الله، ابن الآب. لذلك، يمكن الاقتداء بالمسيح إذا اعتبر الإنسان نفسه «ابنًا بالتبني» لله كآب، ومشاركًا بطريقة سرية في طبيعة الله، الذي اختاره يسوع،

---

[23] يو ٨: ٤٤.

[24] مت ٢٣: ٨

[25] غلا ٦: ١٥؛ ٢ كور ٥: ١٧؛ أفس ٤: ٢٣؛ كو ٣: ٩ -١٠؛ يع ١: ١٨؛ ١بط ١: ٢٣.

الإنسان – الإله، ليكون جزءًا منه في سر المعمودية وعضواً في جسده السري.

ولكل هذا تستخدم الكنيسة تعريف «الابن بالتبني» هذا الذي أيقظه روح يسوع الذي يقول إن بنوتنا هي «بالتبني». « فلمَّا تمَّ الزَّمانُ، أرسَلَ اللهُ ابنَه مَولودًا لامرَأةٍ، وعاشَ في حُكمِ الشَّريعَةِ، ليفتَدِيَ الّذين هُم في حُكمِ الشَّريعَةِ، حتّى نَصيرَ نَحنُ أبناءَ اللهِ. والدَّليلُ على أنَّكُم أبناؤُهُ هوَ أنَّهُ أرسَلَ رُوحَ ابنِهِ إلى قُلوبِنا هاتِفًا: ''أبي، يا أبي''. فَما أنتَ بَعدَ الآنَ عَبدٌ، بَلْ ابنٌ، وإذا كُنتَ ابنًا فأنتَ وارِثٌ بِفَضلِ اللهِ».[26] لذلك يقول سفر الرؤيا في نهايته: «مَنْ غَلَبَ [أي من اتبع المسيح على الصليب وفي ذلك الصليب الذي يقوده إلى القيامة وإلى السيادة على العالم بأسره] يَرِثُ كُلَّ هذا، وأكونُ لَه إلهًا ويكونُ لِيَ ابنًا».[27] وهنا يتحدث عن الإنسان، الانسان المدعو والأمين لدعوته.[28]

إذا كانت الأخلاق بالنسبة للإنسان هي الاقتداء بالمسيح، فلنسأل أنفسنا الآن: ما هو سلوك المسيح تجاه الله وتجاه الإنسان كقريب، أي تجاه الآخر الذي خلقه الآب، وتجاه المجتمع ، وبالتالي تجاه التاريخ، وتاريخ الانسانية كلها؟

٣) الله هو آب

قبل أي شيء، يتسم سلوك يسوع، الإنسان – الإله تجاه الله، بالاعتراف بأن الله، السر، هو الأبوة. ويعيش في وعي يسوع كل حضور الآب، أي حضور «الله الذي هو كل شيء في كل شيء». «الحقَّ الحقَّ أقولُ لكُم: لا يَقدِرُ الابنُ أنْ يَعمَلَ شَيئًا مِنْ عِندِهِ، بل يَعمَلُ ما رأى الآبَ يَعمَلُهُ. فما يَعمَلُهُ الآبُ يَعمَلُ مِثلَهُ الابنُ. فالآبُ يُحِبُّ الابنَ ويُرِيهِ كُلَّ ما يَعمَلُ، وسَيُرِيهِ ما هوَ أعظَمُ، فتَتَعَجَّبونَ».[29]

يقود يسوع الإنسان إلى إدراك هذه الأبوة والألفة العظمى بالسر الذي يشكله، والذي يخلق كل الأشياء. «وعند الصلاة، إذن» – كما يقول يسوع – «لا تُرَدِّدوا الكلامَ تَردادًا في صَلواتِكُم مِثْلَ الوَثنيِّينَ، يَظُنُّونَ أنَّ اللهَ يَستَجيبُ لهُم لِكَثرةِ كلامِهِم. لا تكونوا مِثلَهُم، لأنَّ اللهَ أباكُم يَعرِفُ ما تَحتاجونَ إلَيهِ قَبلَ أنْ تسألوهُ. فصلُّوا أنتُم هذِهِ الصَّلاةَ: ''أبانا الّذي في السَّماواتِ....'' [أي في العمق الجذري المُوَلِّد للأشياء]».[30]

---

[26] غلا ٤: ٤-٧؛ روم ٨: ١٤-١٧ و ١٩-٢٣؛ غلا ٣: ٢٦.

[27] رؤ ٢١: ٧.

[28] أفس ١: ٥؛ عبر ٢: ١٠ و ١٢: ٥-٨.

[29] يو ٥: ١٩-٢٠؛ لو ٢: ٤٩.

[30] مت ٦: ٧ والآيات التالية.

«أجابَهُ يَسوعُ: ''أنا هوَ الطَّريقُ والحقُّ والحياةُ، لا يَجيءُ أحَدٌ إلى الآبِ إلاَّ بي. لَو كُنتُم عَرَفْتُموني لَعَرَفْتُم أبي أيضًا. ومِنَ الآنَ أنتُم تَعرِفونَهُ، ورأَيتُموهُ''. فقالَ لَه فيلبُّسُ: ''يا سيِّدُ، أرِنا الآبَ وكَفانا''. فقالَ لَه يَسوعُ: ''أنا مَعكُم كُلَّ هذا الوَقتِ، وما عَرَفتَني بَعدُ يا فيلبُّسُ؟ مَنْ رآني رأى الآبَ''».[31]

إن الرب الوحيد، السر الذي يصنع كل الأشياء وكل الزمن والذي توجد فيه الأشياء، يصبح مألوفًا لنا من خلال يسوع (انسان اختاره وجعله مشاركاً، أي مشارك آني في طبيعته الإلهية، أي في طبيعة السر نفسه). فمن الناحية الانسانية، نرى محدداً في هذا الانسان ما يمكن أن يكون تحديده افتراضاً (إذ يمكن أن يكون تعبيرًا عن ذروة الرغبة، أي عن الرغبة الأصلية للوجدان الشخصي، ولكن إلى أي مدى تكون هذه الرغبة غير مؤكدة ونادرة ومبهمة ومليئة بالأخطاء والدوافع أو نموذج شارد لفكر الانسان!): فالله هو آب، والسر هو أبوي. وماذا هناك أكثر أُلفة من الإيجابية الجذرية التي يكون فيها الآب مصدر الخبرة الانسانية؟

٤) سلوك يسوع تجاه الآب

ما هو إذن سلوك يسوع تجاه الآب؟ فإذا كشف لنا قبل أي شيء أن الله هو آب، فكيف قام بهذا السلوك تجاهه؟

أ) ويبرز يسوع القوة الخلاقة لهذا الآب، لهذا السر كآب: إنه السلوك تجاه آب هو الخالق. فهو خالق الوجود الإنساني الذي هو مسيرة إلى الكمال وحياة الإنسان التي هي ضعف وهشاشة وعدم اتساق ودُوار، وإلى جانب كل هذا هو أيضًا الفادي لخليقته الذي يعيش في هذه الظروف.

ويخاطب المسيح إلى الآب كخالق.

إنه أول إنسان لديه وعي سليم وكامل فكل محتواه البشري هو حضور الآب. وبالتأمل في بعض فصول إنجيل القديس يوحنا (مثل الفصل الخامس والسادس والسابع والثامن) نجد في كلمات المسيح فكرة سائدة: وهي أنه يفعل ما يريده الآب. فهو يرى الآب، ولا يفعل شيئًا آخر سوى ما يرى الآب يفعله. عندما شاهد العصفور يسقط وعندما نظر إلى زنابق الحقل والحصاد وشعر رأس الإنسان، فماذا أعطاه اليقين لاستخلاص إشارة من كل شيء للوصول إلى معنى العالم

[31] يو ١٤: ٦-٩.

ومعنى حياته ؟ فالذي جعل ذلك اليقين يزدهر هو علاقته بالآب ورفقته له.[32]

إذن، الاقتداء بيسوع بالنسبة لنا هو أن نعيش أولاً وقبل كل شيء التدين والتقوى في كل عمل نقوم به. فهذا المنعطف الأول وهذا البند الأول من الأخلاق واضح لنا: أي أن نعيش التدين والتقوى في كل فعل نقوم به. كما يقول القديس بولس عدة مرات: «الّذي ماتَ مِنْ أجلِنا لنَحيا كلُّنا معَهُ، سواءٌ كُنَّا في يقظَةِ الحياةِ أو في رقدةِ المَوت»؛[33] «فإذا أكَلتُم أو شَرِبتُم، أو مَهما عَمِلتُم، فاعمَلوا كُلَّ شيءٍ لِمَجدِ اللهِ»،[34] أو لمجد المسيح، لأن الله يتواصل معنا بكلمة يسوع وفي شخص يسوع.

فبالنسبة للمسيح، القانون الديناميكي للوجود هو الطاعة (عيش كل شيء من أجل آخر)؛ وبالنسبة لنا يجد هذا أعظم تعبير له في تقدمة (الحياة). فالتقدمة هي الاعتراف بأن المسيح، مثل الله، هو أساس كل حياة، أي أنه الاتساق والمعنى، أي قيمة العلاقة بين الإنسان وأي واقع في الحياة. إذ أن قيمة العلاقة بين الإنسان وأي واقع في الحياة هي المسيح، مهما كانت العلاقة. فالمعنى هو المسيح: إذن الطاعة والتقدمة هي أن نعيش بمنطق ما تنقله لنا كلمة المسيح، مثلما يعيش المسيح بمنطق الآب. ومن هنا، إذن، يأتي تدين وتقوى كل فعل وكل عمل وكل علاقة.

ب) وثانيًا، إن سلوك يسوع هو تجاه الله الآب باعتباره الكمال الأسمى، وهذا يميز الحياة كتطلع مستمر له: «فكونوا أنتُم كاملينَ، كما أنَّ أباكُمُ السَّماويَّ كامِلٌ».[35] وطريق الكمال هو معنى وجود الإنسان. فالهدف من الوجود هو أن يعيش المخلوق الحياة قدر الإمكان باعتبارها تطلعاً إلى كمال السر (الله).

وهكذا لا نعيش الأخلاق كتعريف لمقياس أو لقوانين، بل كتطلع للاقتداء المسيح وتبعات ذلك: «الحقَّ أقولُ لكُم: إلى أنْ تَزولَ السَّماءُ والأرضُ لا يَزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ مِنَ الشَّريعةِ حتّى يتِمَّ كُلُّ شيءٍ».[36] «لا تَظُنُّوا أنّي جِئتُ لأُبطِلَ الشَّريعَةَ وتَعاليمَ الأنبياءِ: ما جِئتُ لأُبطِلَ، بل لأُكمِّلَ»[37]، أي في هذا التطلع، لجعل ذلك ممكناً. «ومَنْ كانَ لَه هذا الرَّجاءُ في المَسيحِ طهَّرَ نَفسَهُ كما أنَّ المَسيحَ

---

32 الأب لويجي جوساني، في البحث عن الوجه الانساني، بور، ميلانو ٢٠٠٧، الصفحات ٥٩ و ٧٩.
33 ١ تسا ٥: ١٠.
34 ١كور ١٠: ٣١.
35 مت ٥: ٤٨؛ لو ٦: ٣٦.
36 مت ٥: ١٨.
37 مت ٥: ١٧.

طاهِرٌ»:[38] فالأخلاق كتطلع متواصل للاقتداء بالمسيح في طاعته للآب.

بأي معنى «ما جِئتُ لأُبطِلَ، بل لأُكمِّلَ»، أي لجعل ذلك ممكناً؟ فالتطلع هو بمثابة التعبير النهائي والدائم لحرية الانسان أمام «الله الذي هو كل شيء في كل شيء». ففي الواقع، أن يصير هذا التطلع إلتزاماً في الإنسان هو نعمة. لذلك، مسار الأخلاق هو مطلب صادق لهذه النعمة. إذ أن الطلب الصادق هو الشكل الأساسي للصلاة: التي هي توسل وتضرع. مثل ذلك من العشار. «صَعِدَ رَجُلانِ إلى الهَيكَلِ لِيُصَلِّيا، واحدٌ فَرِّيسيٌّ والآخرُ مِنْ جُباةِ الضَّرائبِ. فوقَفَ الفَرِّيسيُّ يُصلِّي في نَفسِهِ فيقولُ: شُكرًا لكَ يا اللهُ، فما أنا مِثلُ سائِرِ الناسِ الطَّامعينَ الظَّالِمينَ الزُّناةِ، ولا مِثلُ هذا الجابي!. فأنا أصومُ في الأُسبوعِ مَرَّتَينِ، وأوفي عُشْرَ دَخلي كُلِّهِ. وأمَّا الجابي، فوقَفَ بَعيدًا لا يَجْرُؤُ أنْ يَرفَعَ عَينَيهِ نحوَ السَّماءِ، بل كانَ يَدُقُّ على صَدْرِهِ ويقولُ: إرحَمْني يا اللهُ، أنا الخاطئُ!. أقولُ لكُم: هذا الجابي، لا ذاكَ الفَرِّيسيُّ، نزَلَ إلى بَيتِهِ مَقبولاً عِندَ اللهِ. فمَنْ يرفَعْ نَفسَهُ يَنخَفِضْ، ومَنْ يخْفِضْ نَفسَهُ يَرتَفِعْ».[39]

من يقول «أنا قادر»، «أنا لدي السلطة»، «أنا لدي القوة»، سيجد دليلاً على أن ذلك ليس نابعاً من ذاته، بل من آخر (الله) فقط الذي بسؤاله يمكن الحصول على كل ذلك.

باختصار، يكمن في الأخلاق، هيمنة السؤال والتوسل والتضرع لنجاح الهدف: إذ يعتبر زعماً وليس هدفاً، إذا لم يكن سؤالًا. يا لها من حقيقة عظيمة يعيد طرحها علينا مَثَل الإنجيل هذا!

ج) أخيرًا، نرى سلوك يسوع تجاه الله الآب باعتباره الفادي، وبالتالي باعتباره رحمة.

«هكذا أحبَّ اللهُ العالَمَ حتّى وهَبَ اَبنَهُ الأوحَدَ، فَلا يَهلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤمِنُ بِه، بل تكونُ لَه الحياةُ الأبدِيَّةُ».[40] لذلك فإن معنى هذا الابن، هذه الكلمة التي صارت جسدًا، عرفناه كانسان مولود من امرأة، هو الكشف تمامًا عن حب السر (الله)، أي عن الحب الذي يحمله السر تجاه خليقته: وهو الكشف الكامل عن محبة الله الآب.

إن المسيح، هذا الانسان المولود في بيت لحم وعاش في الناصرة، هو في تلك اللحظة المحددة والعابرة من التاريخ، مصيرنا الذي صار حضوراً ورفقة، إنه سر الله الذي صار حضوراً ورفقة دائمة، على مر كل

---

[38] ١يو ٣ : ٣.
[39] لو ١٨: ١٠-١٤.
[40] يو ٣: ١٦.

عصور خليقته. «وها أنا مَعكُم طَوالَ الأيّامِ، إلى اَنقِضاءِ الدَّهرِ»؛[41] التأكيد الأعظم على محبة الخالق.

ففي يسوع تنكشف علاقة الله بخليقته كمحبة وبالتالي كرحمة.

من الصعب فهم ما تضيفه كلمة رحمة إلى كلمة محبة أو مغفرة، لأنه لا يوجد شيء يمكن إضافته إلى كلمة محبة؛ لكن بالنسبة لإدراكنا لمعنى هذه الكلمة، فإن كلمة رحمة تضيف اعتبار السر (الله)، لذلك تفشل جميع مقاييسنا وخيالاتنا. فالرحمة هي موقف السر (الله)، فهي تدل على موقف السر (الله) تجاه أي ضعف وخطأ ونسيان بشري: إذ يواجه الله أي جريمة يرتكبها الانسان بمحبته له.

فقبول هذه الرحمة والاعتراف بها هو قمة الأخلاق؛ وذلك القبول هو عمق صحة الاعتراف بأن الإنسان وحريته، يدرك السر (الله) كمصدر كل شيء وأن «الله كل شيء في كل شيء».

لا يمكننا التوسل والتضرع إلى الله الآب إن لم يكن ذلك استسلاماً لرحمته.

٥) من الصداقة، الأخلاق

بإيجاز، إن سلوك يسوع مع الله الآب هو الاعتراف والقبول بالسر باعتباره رحمة. لذلك تمثل علاقته بالآب التطبيق الأسمى للصداقة.

ويعترف يسوع ويقبل كإنسان أنه رحمة الآب. وهكذا يقبل أن يموت: «إغفِرْ لهُم يا أبي، لأنَّهُم لا يَعرِفونَ ما يَعمَلونَ».[42]

تمامًا كما هو الحال بالنسبة ليسوع الانسان، فإن طاعة الآب هي ينبوع وقمة الفضيلة، وكذلك بالنسبة للانسان تُولدْ الأخلاق بإعجاب سائد لا يقاوم بالنسبة لشخص حاضر: ليسوع. وبعيداً عن كل شيء – عن الانجذاب والألم والجريمة – يسود التعلق بيسوع. وهكذا تُولد أخلاق الإنسان كصداقة مع الله كسر، وبالتالي مع يسوع، الذي من خلاله يقوم السر بالكشف والاعلان عن ذاته وبالتواصل بها.

والصداقة الحقيقية هي أي علاقة يتم فيها مشاركة الاحتياج إلى الآخر بمعناه النهائي، أي في ذلك المصير الذي يوقظه كل احتياج والذي يشكل نهاية عطش الإنسان وجوعه. فبالنسبة للإنسان، قبول الحب المُعبَّر عنه في إرادة الله، السرّ، والذي بتجسده كانسان في يسوع يقبل الموت، وموته من أجل جميع أبنائه، هو ينبوع الأخلاق، التي تُولد في الواقع كصداقة مع الله. وكما هو الحال بالنسبة ليسوع، فالأخلاق تنشأ من قبوله أن يكون الموضوع الخاص لرحمة الأب – فهو يقبل

---

[41] مت ٢٨: ٢٠.

[42] لو ٢٣: ٣٤.

هذا السر (الله) الذي يتواصل معه، ويقبله بموته من أجل جميع البشر – وهكذا بالنسبة للإنسان، ولكل إنسان، تُولد الأخلاق كصداقة معه، أي مع الله في شخص يسوع.

تُولد الأخلاق كصداقة مع الله باعتباره سر، وبالتالي مع يسوع. وتبدأ علاقة الإنسان مع الله باعتباره سر، وبالتالي مع يسوع وتكتمل بكل عظمتها وبساطتها وحقيقتها وأمانها بكلمة «نعم» التي نطق بها القديس بطرس ليسوع الذي سأله: «يا سمعان، أتحبني؟».

وبسبب كلمة نعم التي نطق بها بطرس، تكون الأخلاق مفاجأة حضور يجب التمسك به إلى درجة يميل فيها الانسان إلى إدراك حياته كلها بتفاصيلها وفي مجملها لإرضاء وجه ذلك الحضور (الالهي). لذلك فإن الأخلاق بالنسبة للمسيحي هي تمسك والتزام نابع من الحب.

٦) نور وقوة وعون للانسان

دعونا الآن نرى بمزيد من التفصيل سلوك يسوع تجاه الآخر، أي تجاه الإنسان كقريب.

باختصار، هذا السلوك هو مشاركة حياة الإنسان بتقديم ذاته كمصدر للنور، أي للوضوح والحقيقة والقوة والعون.

أ) كمصدر للنور: «الكَلِمَةُ هوَ النُّورُ الحَقُّ، جاءَ إلى العالَمِ لِيُنيرَ كُلَّ إنسانٍ»[43] أو، كما سيقول يسوع في حديثه في العشاء الأخير: «أظهَرتُ اَسمَكَ لِمَنْ وهَبتَهُم لي مِنَ العالَمِ. كانوا لكَ، فوَهَبتَهُم لي وعَمِلوا بِكلامِكَ. والآنَ هُم يَعرِفونَ أنَّ كُلَّ ما أعطَيتَني هوَ مِنكَ. بَلَّغتُهُمُ الكلامَ الَّذي بَلَّغتَني فقَبِلوهُ وعَرَفوا حقَّ المعرِفَةِ أنِّي جِئتُ مِنْ عِندِكَ وآمنوا أنَّكَ أنتَ أرسَلتَني».[44]

لذلك، بالنسبة لنا وبالنسبة للإنسان الذي يختاره، فإن القيم التي نحكم على أساسها هي تلك التي تهتم بكلمة اللوغوس باعتباره حضور يسوع: لكونه حضوراً الآن. لكن هذه هي جماعة الكنيسة التي ينتمي إليها الانسان. وهي وجه هذا الحضور، أو الذي يصبح فيه وجه هذا الحضور حساسًا ويصير علامة، ولكنه علامة تحتوي على ما هي علامة له. فجماعة الكنيسة هي المكان الذي يتجدد فيه حدث حضور المسيح ويكون فيه جديد وفيه يولد من جديد.

فالمنهج الذي استخدمه السر (الله) ليهب ويكشف ذاته لخليقته، هو منهج الأسرار: التي هي علامة تحوي السر التي هي علامة

---

[43] يو ١: ٩.

[44] يو ١٧: ٦-٨.

له. وجماعة الكنيسة هي مظهر هذه العلامة والمظهر المرئي لذلك الوجه. فهي ثوب ذلك الحضور، مثل ثوب يسوع للأطفال الصغار الذين كانوا قريبين منه. فالصغار، الذين تتراوح أعمارهم بين أربع وخمس سنوات، الذين أحاطوا به وتعلقوا بساقيه ووضعوا أنوفهم بين ثيابه وهم لم يروا الوجه ولم يمسكون به وربما لم يروه. لكنهم كانوا هناك معه، حتى أن الثوب، القميص غير المقطوع الذي كان يرتديه يسوع، ظل ماثلاً في أعينهم أكثر من وجهه. وبالمثل، يجعل يسوع نفسه حساسًا تجاهنا، ويجعل نفسه محسوسًا في المجتمع الكنسي كما لو كانت الثوب الذي من خلاله نقيم بضألتنا علاقة مع حضوره الحقيقي.

فالاستماع لصوت السلطة، أي إلى قداسة البابا وإلى الوثائق الرسمية للكنيسة، هو مثل ترياق ضد الانسياق وراء شعارات وسائل الإعلام.

«ولا تتَشَبَّهوا بِما في هذِهِ الدُّنيا، بل تَغَيَّروا بِتَجديدِ عُقولِكُم لِتَعرِفوا مَشيئَةَ اللهِ: ما هوَ صالِحٌ، وما هوَ مَرضِيٌّ، وما هوَ كامِلٌ».[45] كان جوزيف زفيرينا،[46] أحد كبار الرهبان المُضَطَهدينْ من تشيكوسلوفاكيا منذ بضعة عقود من الزمن، هو الذي استشهد لنا في رسالته لمسيحيي الغرب [47] بهذه الفقرة من رسالة القديس بولس إلى أهل رومية.

إن الحكم الذي يقرر فعل الإنسان ويومه هو معرفة الحقيقة من خلال الكنيسة لكونها حضور الحقيقة. إنها ليست كنيسة «اللاهوتيين»، بل كنيسة الأسرار، وكلمة البابا والأساقفة المتحدين معه وكنيسة أولئك الذين يعترفون في تواضع ومعاناة بالتطلع الكبير (الذي ينتصر على الألم بفرح الرجاء)، وكلمات البابا والأساقفة الذين يقودون واقع الكنيسة الحقيقية هذه.

ربما قالت امرأة تقية أو قال تلميذ حساس وناضج إنسانياً في لحظات معينة من حياة يسوع: «كم هو مسكين يسوع!». وبالمقارنة يمكننا القول بنفس التقوى ولنفس الدافع ولنفس الأسباب: «كم هي مسكينة الكنيسة!». ليس كحكم سلبي، بل كملاحظة كئيبة، ومع ذلك زاخرة بيقين القيامة في حياة الكنيسة اليوم.

ب) يسوع كينبوع القوة: «أمَّا بِدوني فلا تَقدِرونَ على شَيءٍ».[48] من يدري كيف سمع الرسل، في العشاء الأخير ذلك المساء المليء بالخوف

---

[45] روم ١٢: ٢.

[46] جوزيف زفيرينا (١٩١٣ - ١٩٩٠)، كاهن ولاهوتي ومؤرخ للفن التشيكي.

[47] جوزيف زفيرينا، «رسالة إلى مسيحيي الغرب»، في كتاباته من أجل «كنيسة الرحمة»، إعداد م. جويديتي، ياكا بوك، ميلانو ١٩٧١، ص ١٧٧ـ١٧٨.

[48] يو ١٥: ٥.

والرهبة، هذه الجملة: «أمَّا بِدوني فلا تَقدِرونَ على شَيءٍ». لذلك نحن متوسلون، وشكل التوسل الذي ينيره لنا المسيح هو الأسرار. فالسر المقدس، باعتباره الشكل الأسمى للصلاة، «هو الطلب، حتى لو كان مدفونًا في مآسيه، الذي يوجهه الانسان إلى الله كما لو من خلال فجوة صغيرة من الرغبة في التحرر».[49]

ج) وفي النهاية، كينبوع العون والمساعدة: «وأنا بَينَكُم مِثلُ الذي يَخدُمُ».[50] «هكذا اَبنُ الإنسانِ جاءَ لا ليَخدِمَهُ النّاسُ، بلْ ليخدِمَهُم ويَفدي بحياتِهِ كثيرًا منهُم».[51] فهو يصبح خادمًا للجميع، وبالتحديد لأنه يُنشِط الإنسان في مسيرته نحو مصيره، أي نحوه (أي نحو المسيح).

وهكذا تصبح كل العلاقات مع الآخرين في يسوع هي مشاركة. ولا توجد علاقة سليمة إن لم تكن من أجل المصير: ففي الواقع، يتطلع إلى هناك كل احتياج للكائن البشري، أي للكائن المُشارِكْ الذي نسميه الإنسان. وعندما يعيش الإنسان هذا ويقبله، يبحث عن مصير الآخر في جميع العلاقات، وبالتالي تكون كل العلاقات جيدة وفيها يقبل الإنسان المساعدة التي تأتي له من السر (الله) بواسطة الآخر، سواء بالقدر اليسير أو الكثير؛ لأن السر (الله) يساعد الإنسان من خلال الآخر، عندما يعيش الإنسان العلاقات – أي العلاقة مع رفيقه ومع الآخر – بالوعي بمصيره.

إذ في أي علاقة نبدأ بفرضية إيجابية. والروح السرية لكل علاقة هي الصداقة: والرغبة في مصير الآخر وقبول أن الآخر يريد مصيري. فإذا اعترفت وقبلت أن الآخر يعمل من أجل مصيري، فهذه هي الصداقة.

فالصداقة، بالوصف المسيحي، هي صداقة أخوية وهي الصداقة الأكثر أُلفة. ويعطينا القديس برناردوس وصفاً جميلاً لها: «المحبة تلد الصداقة، فهي مثل أمها [المحبة هي حب الآخر كتأكيد على مصيره الحسن وكرغبة في التأكيد على تحقق مصيره العادل لأن المسيح هو السر الذي هو جزء منه ومشارك فيه]. إنها هبة من الله، تأتي منه، لأننا جسديون. هو يجعل رغبتنا ومحبتنا يبدآن من الجسد. إذ ينقش الله في قلوبنا حبًا لأصدقائنا لا يستطيعون قراءته، لكننا نستطيع إظهاره لهم. والنتيجة هي مودة وفي أغلب الأحيان تعلق وارتباط عميق

---

49 الأب لويجي جوساني، لماذا الكنيسة، المجلد ٢: العلامة الفعالة للحضور الإلهي في التاريخ، ياكا بوك، ميلانو ١٩٩٣، صفحة ٩٢؛ الآن في كتاب الأب جوساني، لماذا الكنيسة، ريتسولي، ميلانو ٢٠١٤، صفحة ٢٥٠).

50 لو ٢٢: ٢٧.

51 مت ٢٠: ٢٨.

لا يمكن وصفه، وهو من واقع الخبرة ويحدد للصداقة حقوقها وواجباتها».[52]

هذه هي صداقة القديس بطرس، سمعان بن يوحنا، مع يسوع، عندما كان لا يزال يجهل ولم يدرك ولم يعي تمامًا ما أراد يسوع أن يقوله عن ذاته.

«المحبة هي التي تلد الصداقة، فهي بمثابة أمها». فالمحبة هي العلاقة التي يتم فيها البحث عن مصير الآخر مع إدراك من دعي إليه بيقين الإدراك أن مصير الآخر هو يسوع، الله الذي صار إنساناً، لأنه من خلال ذلك الإنسان يقيم الله علاقته بنا.

٧) داخل تاريخ العالم: المسكونية والسلام

في النهاية، سلوك يسوع تجاه المجتمع كمؤسسة بالتحديد.

أ) نرى، قبل أي شيء، سلوك يسوع تجاه المكان المؤسسي الذي يُدعى الدولة أو الأمة أو بالأحرى، الوطن، الشعب أصلاً أي الشعب في ذلك الوطن. فمن وجهة النظر هذه، هناك استشهادات رائعة.

«ما أرسلَني اللهُ إلاَّ إلى الخِرافِ الضّالَّةِ مِنْ بَني إسرائيلَ».[53] ويتم التأكيد هنا على قيمة الوطن الأم أو المجتمع الذي يعبر عن الشعب بخصائصه وحدوده أيضاً. لكن هذا الحب للوطن له مصير لفائدة العالم أجمع: «وتُعلَنُ باسمِهِ بِشارَةُ التَّوبَةِ لغُفرانِ الخطايا إلى جميعِ الشُّعوبِ، اَبتداءً مِنْ أُورُشليمَ».[54]

ذات مساء، رأى يسوع مدينته من التل وبكى عليها مفكرًا في خرابها: «أُورُشليمُ، أُورُشليمُ! يا قاتِلَةَ الأنبِياءِ وراجِمَةَ المُرسَلينَ إلَيها! كم مرَّةٍ أرَدتُ أنْ أجمَعَ أبناءَكِ، مِثلَما تَجمَعُ الدَّجاجَةُ فِراخَها تَحتَ جَناحَيها، فما أرَدْتُم. وها هوَ بَيتُكُم مَتروكٌ لكُم. أقولُ لكُم: لا تَرَوني حتّى يَجيءَ يومٌ تَهتِفونَ فيهِ: ''تَبارَكَ الآتي باسمِ الرَّبِّ''».[55] ستقتله تلك المدينة بعد بضعة أسابيع. لكن هذا لم يهمه، أي أنه لا يعتبر تعريفاً. وفي مساء آخر، قبل إنجذابه مباشرة بروعة ذهب المعبد الذي أضاءته الشمس في غروبها، يقول النص اليوناني، Edákruse، بكى يسوع أمام

---

[52] القديس برناردوس من كيارافاله، «الرسالة ١١: ٢، ٨ إلى الرهبان الكرتوزيين المنعزلين وإلى جويجوني، رئيس الدير»، الرسائل. الجزء الأول ١ - ٢١٠، من أعمال القديس برناردوس VI/1، كتابات القديس من كيارافاله - مؤسسة الدراسات الكرتوزية، ميلانو ١٩٨٦، الصفحات ١٠٣ و١٠٧ و١١١.

[53] مت ١٥: ٢٤.

[54] لو ٢٤: ٤٧.

[55] لو ١٣: ٣٤ والآيات التالية.

مصير مدينته. كرحمة تلك الأم التي تحتضن ابنها حتى لا تتركه يسير في الخطر المميت الذي هو فيه.[56]

حب الوطن هو دِلالة عميقة للرحمة المسيحية. وهذا صحيح إذا كان الوطن يعمل على الرفاهية الأرضية والخير الأبدي للبشرية جمعاء.

ب) ثانياً، موقف يسوع تجاه المجتمع كسلطة سياسية، مثل السلطة السياسية الرومانية واليهودية في ذلك الوقت.

«فعادَ بِيلاطُسُ إلى قَصرِ الحاكِمِ ودَعا يَسوعَ وقالَ لَه: ''أأنتَ مَلِكُ اليَهودِ؟''. فأجابَهُ يَسوعُ: ''أتَقولُ هذا مِنْ عِندِكَ، أمْ قالَهُ لكَ آخَرونَ؟''. فقالَ بِيلاطُسُ: ''أيهودِيٌّ أنا؟ شَعبُكَ ورُؤساءُ الكَهنَةِ أسلَموكَ إليَّ. فماذا فعَلْتَ؟''. أجابَهُ يَسوعُ: ''ما مَملكَتي مِنْ هذا العالَمِ. لَو كانَت مَملكَتي مِنْ هذا العالَمِ، لَدافَعَ عنِّي أتباعي حتّى لا أُسلَّمَ إلى اليَهودِ. لا! ما مَملكَتي مِنْ هُنا''. وُلِدْتُ وجِئتُ إلى العالَمِ حتّى أشهَدَ لِلحَقِّ. فمَنْ كانَ مِنْ أبناءِ الحَقِّ يَستَمِعُ إلى صَوتي'' [...]. فدخَلَ القَصرَ وقالَ ليَسوعَ: ''مِنْ أينَ أنتَ؟'' فما أجابَهُ يَسوعُ بِشيءٍ. فقالَ لَه بِيلاطُسُ: ''ألا تُجيبُني؟ ألا تَعرِفُ أنَّ لي سُلطةً أنْ أُخلِيَ سبيلَكَ، وسُلطةٌ أنْ أصلِبَكَ؟''. فأجابَه يَسوعُ: ''ما كانَ لكَ سُلطةٌ عليَّ، لَو لا أنَّكَ نِلتَها مِنَ اللهِ. أمَّا الّذي أسلَمَني إليكَ، فخَطيئَتُهُ أعظَمُ [أعظم من خطيئتك]''».[57] تستمد السلطة السياسية أيضًا إيجابيتها الأرضية المحتملة فقط من أجل كون ومن أجل الجميع في العالم. فإذا لم يكن الأمر كذلك، فعندئذ «أمَّا الّذي أسلَمَني إليكَ، فخَطيئَتُهُ أعظَمُ».

ويتحدث إلينا يوحنا في مقطع آخر عن علاقة يسوع بالسلطة السياسية اليهودية: «فقالَ واحدٌ مِنهُم، وهوَ قَيافا الّذي كانَ رَئيسَ الكَهنَةِ في تِلكَ السَّنةِ: ''أنتُم لا تَعرِفونَ شيئًا، ولا تَفهَمونَ أنَّ مَوتَ رَجُلٍ واحدٍ فِدًى الشَّعبِ خَيرٌ لكُم مِنْ أنْ تَهلِكَ الأمَّةُ كُلُّها؟''. وما قالَ قيافا هذا الكلامَ مِنْ عِندِه، بل قالَهُ لأنَّهُ رَئيسُ الكَهنَةِ في تِلكَ السَّنةِ، فتَنَبَّأَ أنَّ يَسوعَ سيَموتُ فِدًى الأُمَّةِ. ولكِنْ لا فِدًى الأُمَّةِ فقط، بل يَموتُ لِيجمَعَ شَمْلَ أبناءِ اللهِ».[58]

ج) وأخيرًا، موقف وسلوك يسوع تجاه التاريخ.

علينا أن نقتدي بيسوع في سلوكه تجاه التاريخ، لأننا نعترف بالمجد البشري للمسيح على أنه معنى التاريخ ووجودنا الشخصي وسياقه الشامل الذي نسميه التاريخ: «يا أبي جاءَتِ السّاعةُ: مَجِّدِ ابنَكَ ليُمَجِّدَكَ ابنُكَ. بِما أعطيتَهُ مِنْ سُلطانٍ على جميعِ البَشَرِ حتّى

---

56 الأب لويجي جوساني، هل يمكن العيش هكذا؟، بور، ميلانو ٢٠٠٩، صفحة ٢٧٦ وما بعدها.

57 يو ١٨: ٣٣-٣٧؛ ١٩: ٩-١١.

58 يو ١١: ٤٩-٥٢.

يهَبَ الحياةَ الأبديَّةَ لِمَنْ وهَبتَهُم لَه». [59] فمعنى التاريخ بالنسبة ليسوع هو تحقيق مشيئة الآب («والحياةُ الأبديَّةُ هيَ أنْ يَعرِفوكَ أنتَ الإلهَ الحَقَّ وحدَكَ ويَعرِفوا يَسوعَ المَسيحَ الّذي أرْسَلْتَهُ»)، [60] أما معنى التاريخ بالنسبة للإنسان فهو المسيح، المجد الانساني للمسيح؛ لذا فإن الاقتداء بيسوع هو أن نعيش الهدف من كل عمل كتأكيد لمعنى التاريخ، وهو يسوع المسيح نفسه، أي المجد الانساني للمسيح.

إن العيش من أجل مجد المسيح البشري نسميه شهادة حياة. إنها الظاهرة التي يدرك بها الناس – بنعمة قوية وهبة قوية – ما الذي يصنع نسيج الواقع والبشر والأشياء: إنه المسيح، ويصرخون به للجميع، ويظهرونه بوجودهم الشخصي وبالطريقة المتغيرة لوجودهم. فستكون نهاية التاريخ هي اليوم الذي سيضطر فيه العالم البشري بأكمله إلى الاعتراف به. [61]

يُعد كل عصر في التاريخ وكل مقياس للزمن «جديراً»، أي يتوافق مع الأبدية، بقدر ما يعيش ذكرى المسيح. لذلك فإن الأخلاق المسيحية تعني أن الالتزام الاجتماعي والثقافي والسياسي يجب أن يكون متعلماً ومتحضراً وبالتالي ناضجاً بالمثل الأعلى الملموس للتذكير والمساعدة في ذكرى المسيح، وبالتالي كمعنى للتاريخ باعتباره معنى الزمن والعلاقات.

ولا يمكن أن تكون أخلاقاً مسيحية تلك التي لا تجعل كل فعل هو أمر مُعاش – بداية من غسل الصحون وانتهاءً بالتواجد في البرلمان – ببُعدها الكوني كتقدمة للمسيح. فالتقدمة هي الاعتراف بأن الجوهر واتساق الكيان، الذي يعيش ويعبر عن نفسه في علاقة، هو المسيح؛ الاعتراف الذي لا يمكن أن تدل عليه إلا الصلاة التي يُظهرها ويعرِضها ويُثبتها بنفسه.

لذلك، تعيش المعايشة الانسانية كمثلها الأعلى الذي عبرت عنه الرسالة إلى العبرانيين: «بَلْ لِيُشَجِّعْ بَعضُكُم بَعضًا كُلَّ يومٍ، ما دامَت لكُم كَلِمَةُ اليومِ الّتي في الكِتاب، لِئَلاَّ تُغرِيَ الخَطيئَةُ أحَدكُم فيَقسوَ قلبُه». شجعوا بعضكم بعضاً كل يوم: واسترجعوا ذكرى المسيح كل يوم وتذكروها. «فنَحنُ كُلَّنا شُركاءُ المَسيحِ إذا تَمَسَّكنا إلى المُنتَهى بِالثِّقَةِ الّتي كانَت لنا في البَدءِ». [62]

ومن هنا، تقوم الطاعة بحفظ النظام في المجتمع.

---

[59] يو ١٧: ١-٢.

[60] يو ١٧: ٣.

[61] الأب لويجي جوساني، هل يمكن (حقاً) العيش هكذا؟، بور، ميلانو ٢٠٢٠، الصفحة ٢٧٥ وما يليها.

[62] عبر ٣: ١٣-١٤.

ولكن من يحفظ النظام في المجتمع هو السلطة: «على كُلِّ إنسانٍ أنْ يَخضَعَ لأصحابِ السُّلطَةِ، فلا سُلطَةَ إلاَّ مِنْ عِندِ الله، والسُّلطةُ القائِمَةُ هوَ الّذي أقامَها [...] ولا يَخافُ الحُكّامَ مَنْ يَعمَلُ الخَيرَ»؛[63] «إخضَعوا، إكرامًا لِلرَّبِّ، لِكُلِّ سُلطَةٍ بَشَرِيَّةٍ: لِلمَلِكِ فهوَ الحاكِمُ الأعلى».[64] إن ما يعيشه الانسان لا يمكن أن يكون متناقضًا.

وهكذا يولد الالتزام بخدمة المجتمع الانساني والثقافة والاقتصاد وحتى السياسة، بكل قدراتنا المجانية، ليس في وقت الفراغ فقط، بل في العمل قبل أي شيء.

إن المسكونية والسلام هما الثمرة المفضلة لكل هذا. ففيهما يتم التأكيد على أنهما مبدأ كل علاقة وباعتبارهما إسهام عظيم لكل تعايش وإقامة لصداقة تميل الى العالمية حيث يجد فيها التاريخ الانساني أفضل مساعدة.

وهذا يدل على أن الصداقة المسيحية تشارك في إيلاد الواقع الاجتماعي كشعب. ومن إقامة تلك الصداقة، يولد شعب، لأنه فقط في المعاملة بالمثل يصبح الرجل أبًا ويكتسب الأبوة، أي أنه يُنجب. فالأبوة في ذلك المستوى حيث تكون الطبيعة واعية بذاتها، هي المستوى الانساني. إذ أن الحيوان هو مُنجب ومُنتِج من جديد، وليس أبًا. فالأب هو أسمى مساعدة لوضوح معنى الحياة والرفقة في مسيرتها.

إن أي علاقة، بقدر ما تتحقق بالحب المتبادل، أي أنها صداقة تُنجب شيئًا إنسانيًا. وهذا هو إسهامنا، أي إسهام أخلاق الكنيسة في السلام هنا وفي كل مكان. بينما المحتوى الدُنيوي للعلاقة هو عنف، فهو يحض على العنف ويلمح له، حتى في أكثر التكوينات المختفية والمستترة بطريقة غير واعية في كثير من الأحيان، باستثناء العلاقات والبدايات التي تحدث في نقطة الارتكاز الأصلية وفي الطبيعة الأصلية: في الأب والأم والابن. ومع ذلك، نختزل هذه البدايات الانسانية إلى مجرد ارهاصات بلا قدرة كبيرة، والتي لا تستطيع فعل شيء في نهر (الأحداث) وفي المد الدنيوي الساحق وبالتالي في العنف والغطرسة التي تتدخل حتمًا عندما يصبح الله غريبًا عن العالم وعن مفهوم وبناء العلاقة الانسانية.

وبدلاً من ذلك، يولد شعب من حدث الصداقة المسيحية الذي نعيشه كمسكونية وسلام: إنه حدوث تصور للحياة وشعور بالواقع وصدق في مواجهة الظروف ورد فعل قوي على استفزاز برؤية ووفقًا لتصور الانسان لمصير الحقيقة والسعادة. فلا يوجد فرد واحد فقط، عندما يكبر، يُكوِنْ أسرة يولد فيها طفلان أو ستة أطفال. فلنتخيل

---

63 روم ١٣: ١-٣.

64 بطر ٢: ١٣.

مئات الراهبات في هيلدغارد من بينغن، وفي نفس الوقت، رهبان بطرس المبجل في كلوني. وجميع الناس الذين ذهبوا هناك. كانت هذه هي الطريقة التي خرجت بها الأسرة المسيحية ببطء من البربرية التي سادت القرنين الخامس والسادس، برقة المشاعر، مع الانتباه ووضوح الأوامر والقوانين التي تميزها؛ «فالأسرة المسيحية كخلية حية وبيت، وكبيت حقيقي للإنسان: أي مساعدة ومأوى وضيافة وغناء».[65]

والتناقض مع كل هذا يكمن في تحديد المُثُل المُجمَّعة في الكلمات المسكونية والسلام في سلطة دنيوية. إذ تحول السلطة هذه المُثُل نفسها إلى عنف: فتصبح المسكونية تأكيدًا للموقف الفردي المنغلق والعنيف أو إنكارًا مفرطاً لكل معنى ولكل أهمية ولكل تقدير؛ ويصبح السلام صيغة يتم وضعها كشعار لكسب الحرب الشخصية.

وينطوي العنف دائمًا على محاولة تدمير شعب: بعنف الجيوش أو القضاة أو حتى الواقع الديني الذي لا يجد فيه التدين قبولًا مفتوحًا واتباع حقيقي.

وتقوم السلطة بكل تعليمها بتوجيه فعل الإنسان إلى العنف ومفهوم الأسرة والتعايش الاجتماعي وأسلوب العلاقة بالآخرين. كما تؤيد السلطة جميع أشكال الاغتراب المطلق والتي هي بداية العنف في العالم.

على العكس من ذلك، فليس هناك حضور يصبح غريباً على الانسان الذي يتبع المسيح. «إذا أصبحتم ما يجب أن تكونوا عليه، ستشعلون النار في كل إيطاليا».[66] «ولا تكتفوا بالأشياء الصغيرة: لأن الله يريدها كبيرة».[67] هكذا كتبت كاتيرينا، الشابة الأمية من مدينة سيينا.

لكن السر (الله) كرحمة يظل هو الكلمة الأخيرة حتى في كل الاحتمالات السيئة للتاريخ.. السر كرحمة. هذا هو العناق الذي لا يقاوم في التقوى الواضحة للكائن، الذي هو المنبع والهدف، وطبيعة الكيان كله هي علاقة الكائن (الله) بي وبعدميتي، التي أشركني بها مع ذاته. هذا هو الاحتضان النهائي للسر، والذي لا يستطيع الإنسان ضده – حتى الأبعد والأكثر انحرافًا أو الأكثر غموضًا والأكثر ظلمة – معارضة أي شيء ولا يمكنه الاعتراض: إذ يمكنه أن يتخلى عنه، ولكن بالتخلي عن ذاته وعن خيره الشخصي في الآن ذاته. إن السر كرحمة يظل هو الكلمة الأخيرة حتى في كل الاحتمالات السيئة للتاريخ.

---

65 الأب لويجي جوساني، هل يمكن (حقاً) العيش هكذا؟، عمل سبق الاستشهاد به، صفحة ٤٢٠.

66 القديسة كاتيرينا السيانية، رسالة إلى ستيفانو دي كورادو ماكوني، رقم ٣٦٨.

67 القديسة كاتيرينا السيانية، رسالة إلى الراهب بارتولوميو دومينيتشي والراهب توماز دانطونيو، رقم ١٢٧.

الاجتماع العام

ستيفانو ألبرتو (دون پينو): إن بداية كل يوم وكل بادرة وكل عمل بالنسبة لتلك الشابة كانت تحمل علامة و مرً فيها وملأ وعيها ذلك الحضور الإنساني لذلك الطفل، أولاً، ثم لذلك الرجل: رفقة السر لمصير السيدة العذراء، ورفقة السر الانسانية لمسيرة حياتنا.

صلاة التبشير الملائكي [68]

صلاة التسابيح الصباحية [69]

جان كارلو تشيزانا: لقد وصلت الأسئلة بالمئات، كما أصبح تقليداً الآن. فمن الأسئلة نفهم شيئًا واحدًا، وهو أننا وجدنا أنفسنا أمام اقتراح جديد، وأيضاً بمعنى أننا أمام شيء غير متوقع يجب أن نعمل عليه وأن نفكر فيه، وهذا لا ينبغي أن يدهشنا، لأن الرياضة الروحية هي تدريب لبلوغ الهدف الذي هو الحياة؛ إنها ليست الهدف بل تدريب يعرّفنا بالمسار العظيم للحياة.
لذا، أود المُضِي قُدُمًا على هذا النحو: أود أن أطرح على الأب بينو بعض الأسئلة المتعلقة بالمقاطع التي تم الاشارة إليها بشكل خاص في الاجتماعات العامة المختلفة ثم سؤالين أساسيين للأب جوساني.
السؤال الأول (الأسئلة التي أطرحها على الأب بينو تتعلق قبل كل شيء بموضوع الحرية): «هل يمكن تناول مسألة الحرية مرة أخرى من خلال شرح ما تعنيه الحرية بأنها النقطة الوحيدة التي لا يمكن للعقل مهاجمتها؟».

---

[68] تذكرنا صلاة التبشير الملائكي القديمة بحدث البشارة، اللحظة التي فيها «الكلمة صار جسداً». (ملاك الرب بشر مريم العذراء./ فحبلت العذراء من الروح القدس./ ها أنا أمة الرب./ فليكن لي حسب قولك./ والكلمة صار جسداً./ وحل فينا./ السلام عليكي.../ تضرعي من أجلنا يا والدة الله القديسة./ لكي نستحق مواعيد المسيح.// نسألك يا رب، نحن الذين عرفنا، ببشارة الملاك جبرائيل، سرّ تجسد ربّنا يسوع المسيح، ابنك الوحيد، أن تفيض في قلوبنا نعمتك، فنهتدي بآلامه وصلبه إلى مجد القيامة./ آمين./ المجد...)

[69] التسابيح الصباحية هي صلاة (صلوات الساعات الطقسية للكنيسة الكاثوليكية) التي تفتتح اليوم بتلاوة المزامير؛ ويميز التسبيح شخصية جماعة المصلين: وهو مبادرة فردية في الأصل، حتى في الآداء الكورالي للجماعة، حتى في عزلة الفرد بمنزله. ويبدأ كل يوم من الرياضة الروحية بالتلاوة الجماعية للتسابيح من كتاب الساعات، باتباع ما يسمى النغمة المستقيمة: وهو آداء مستقيم ومتجانس بتلاوة الجميع للصلوات بنغمة واحدة فقط.

دون پينو: إن النقطة الوحيدة التي لا يمكن مهاجمتها بالعقل تعني، أولاً وقبل كل شيء، أنها النقطة الوحيدة التي يظل فيها السر (الله) سراً وسراً خالصاً. لأن – هذا هو المقطع الذي شدد عليه الأب جوساني في الدرس – عدم قدرة الأشياء على صنع نفسها بنفسها هو أمر واضح وبديهي للعقل، كما أني في هذه اللحظة لا أصنع نفسي بنفسي، هو أمر واضح وبديهي للعقل. فالعقل لا يفهم كيف يحدث هذا، ولا يستطيع فهم ذلك، لكن كون الأشياء في هذه اللحظة من كائن آخر، فهذا أمر واضح.

لكن هناك نقطة لا يمكن للعقل مهاجمتها: إذ لا يستطيع العقل أن يفهم حقيقة الحرية ذاتها كإمكانية الاعتراف أو عدم الاعتراف بالسر (الله). فعند هذا الحد يظل السر غير قابل للهجوم عليه ...

الأب لويجي جوساني: لا يمكن إضافة شيء إلى الكائن بذاته كما هو ولا نزع شيء منه: لكن يبدو أن الحرية تأخذ شيئًا من سر الكائن، أي من الله، لأن الحرية هي أيضاً إمكانية أن يصير المخلوق، الكائن المُشارِك، شيطانًا وكذباً، ويتم حرمانه من الأخذ فيقف ضد الله ويتحول من كائن مشارك إلى كائن معاكس ومنكر ومضاد لله كينبوع و كمصدر تواصل للوجود.

جان كارلو تشيزانا: جاء السؤال الثاني من مدريد: «ماذا قصدت بقولك أنه يجب طاعة السلطات (المدنية على ما أعتقد)؟ وبأي معنى لا يتعارض هذا مع ما قلته سابقًا عن الدولة باعتبارها إله صنم؟».

دون بينو: ليس هناك تعارض في الفقرتين التي تم قراءتها، لأن ما أردنا نقضه هو الإدعاء الوثني لكل سلطة ترغب في تأسيس السلطة في ذاتها، أي أن تكون المصدر الأوحد في اتخاذ القرار بشأن الذات. إذ ما نريد نقضه هو إدعاء الدولة بأنها المصدر الأوحد لما هي الذات ولما يمكن أن تقوم به.

إن كل سلطة – ليس فقط سلطة الدولة أو حتى سلطة الكنيسة أو سلطة الزوج والزوجة أو سلطة الآباء مع أبنائهم أو سلطة المدرسة أو سلطة الأصدقاء – تَدعي بأنها تقوم على ذاتها فقط نجد فيها – القليل أو الكثير من – الكذب وتسعى لا محالة إلى أن تكون زعماً مطلقاً وبالتالي تصير عُنفاً.

و السلطة الحقيقية هي على العكس من ذلك إذ أنها تحمل في قلب اهتماماتها مصير الآخر؛ فالسلطة هي سلطة صالحة لأنها – كما قِيل

بالأمس في الفقرة في نهاية الدرس – تحمل في قلب اهتماماتها الصالح العام وإمكانية المصير، لذلك بقدر ما تقبل أن مصير الذات هو آخر (الله) وأن الذات تُولد من موضع آخر، أي أن ما يشكل قِوامُها هو آخر (الله) وعلاقتها الأصلية هي مع السر (الله).
إن الاعتراف بهذا فقط هو الذي يمكنه التغلب على الكذبة الحتمية التي – قليلًا أو كثيرًا – تكمن وراء كل سلطة.

جان كارلو تشيزانا: السؤال الثالث هو: «ماذا يعني أن الخطيئة هي إتباع لغريب؟».

دون بينو: الخطيئة هي إتباع لغريب، أي إتباع إغراء وجاذبية لا تؤدي إلى المصير، إذ أنها إجابة تحيد عن الطريق. فالخطيئة هي بالتحديد إتباع إجابة لا تتوافق مع الرغبة في السعادة ورغبة قلبي في الاكتمال. إنها تبدو شيئًا عادياً وتبدو شيئًا يمكن التجاوب معه، لكن بمجرد أن أسير وراءه أكتشف أن الصنم له فم ولا ينطق و لا يفي بما يعد به. فالغرابة والمخالفة تحديداً بالنسبة للمصير وبالنسبة للهدف وبالنسبة للسعادة: هي شيء يتواجد خارجنا، خارج سعادتنا التي لا يستطيع تحقيقها.

جان كارلو تشيزانا: وفي النهاية – يا بينو – سؤال عملي: «هل يتوافق الاقتداء بالمسيح مع الاقتداء بالكاريزما؟».

دون بينو: إن الاقتداء بالمسيح هو إقتداء بالمسيح وبشخصه. لكن يظل هذا، بالنسبة لي، في النهاية مضمون لولاء أو لعاطفة إن لم يحدث عبور هنا والآن لوجه أو مِزاج أو قصة. فبالنسبة لي، كان اللقاء مع المسيح هو لقاء بوجه وبإنسان. فالمسيح، يسوع الإنسان، في معاصرته هنا والآن هو بالنسبة لنا الكاريزما، النقطة التاريخية التي من خلالها يقول المسيح: «تعال وانظر».

جان كارلو تشيزانا: ها لدينا الآن سؤالان أساسيان للأب جوساني، يشيران إلى ما كان طلبًا متكررًا جدًا في الفاكسات التي وصلت، ألا وهو العلاقة بين العنوان – "أنت أم عن الصداقة" – والدروس التي تمت. لقد طلب الكثيرون فهم المزيد، وقد اخترنا سؤالين يبدوان مهمين لنا بشكل خاص من وجهة النظر هذه.

الأول هو: «لقد أدهشنا بشكل خاص الحكم الصادر حول حقيقة أن نقطة نهوض الذات هي قبل كل شيء أمر وجودي وليس أخلاقي، كما تحاول السلطة إقناعنا بذلك. وهل يمكن تعميق هذه النقطة؟».
السؤال الآخر هو: «يبدو أن ما يحق لنا هو الصلاة المُعرَفة كطلب للكينونة. إنني أصلي من أجل أشياء كثيرة قريبة من قلبي ولكن ماذا يعني «طلب أن نكون؟».

الأب لويجي جوساني: السؤال الأول: ما العلاقة بين الوجودي والأخلاقي... الوجودي: نقول وجودي لأن الشيء حقيقي، كما هو في الواقع، لكونه شيء حقيقي.
إذا اضطررت إلى استخدام ملعقة، عذراً على المقارنة، لا أستطيع أن أركلها بقدمي: يجب أن أمسكها بيدي، وأمسكها جيدًا؛ فلا أستطيع – على سبيل المثال – الامساك بها من الجانب السميك، أي الجانب العريض، ثم أتناول الطعام بمقبض الملعقة. في الواقع، الأخلاق مستمدة من استبصار الواقع أو الوعي به، إنطلاقاً من الشيء في واقعه، لأنه يجعلنا نتصرف كما يتطلب منا، وإلا سنتعامل مع الشيء بشكل سيء، كتعاملنا مع اليراعات كفوانيس، ومع حفرة بدلاً من جوهر المسألة.
ما هو السؤال الثاني؟

جان كارلو تشيزانا: إننا نصلي من أجل الكثير من الأشياء، ولكن ماذا يعني أن تطلب أن تكون وتصلي أن تكون؟ «أصلي من أجل الكثير من الأشياء التي أهتم بها، ولكن ماذا يعني أن'' أطلب أن أكون''؟».

الأب لويجي جوساني: إن ما تهتم به – يا صديقي – هو إجابة لن تتحقق بشكل كامل إلا في النهاية. إن ما يهمك هو الطريقة التي تتعرف بها في واقع جزئي وعابر وزائل وغير نهائي وغير كامل، على ما هي رغبتك الفريدة أو ذروة رغبتك التي هي السعادة.
لذلك، يوضح طلبك أن تكون حقيقة أن ما تريده وما ترغبه وما تطلبه ليس سوى طلب الاشباع التام الذي تتوقعه وتنتظره في جانب معين من جوانب شخصك وحياتك. وإذا انتظرت كل شي، الكل من الجزء، إنطلاقاً من امتلاكك للجزء، فأنت مُخطئ.

المسيح حياة الحياة

١) «فعل وعلّم»

لقد بدأنا بهذين السؤالين؛ ما هو الله للانسان وكيف لنا أن نعرفه هكذا وبما نقول أننا نعرفه؟

إن الجواب الأول وجودي، أي أنه ينطلق من الواقع كما هو ومن حقيقة الله كما هو ومن ماهية الله ليقترح علينا كيف نتصرف معه. والآن، كيف نعرفه بطريقة تأخذ فيها حقيقة الله معنىً أخلاقيًا بالنسبة لنا وتبين لنا كيف نتصرف تجاهه وبأي سلوك؟.

إن نقطة البداية هي نقطة وجودية، إذ ننطلق من الواقع كما هو. فبالنسبة للإنسان، الله هو كل شيء! والكائن وما هو عليه هو الله، لأن "الله هو الكل" وهو كل الوجود. وخارج الله لا يوجد سوى العدم ولا شيء آخر.

لذلك، يدرك الإنسان ويعترف حقًا بماهية الله فقط إذا طلب من الله أن يكون في كل شيء يفعله، وإذا كان كل فعل له هو طلب من الله أن يكون، أي من أجل السعادة (فكل انسان له هدف وهو أي يكون ذاته في النهاية وبشكل كامل). فكل فعل هو طلب من الله أن يكون، أي أنه صلاة، لأن كل فعل للذات، كظاهرة تتحقق من خلالها، يحاول أن يجعل وجود الكائن المخلوق حقيقة، وهي محاولة للتأكيد على تحقق ذاته.

«أنتم [أيها المسيحيون] – كما قال بيجي – تلمسون الله في كل مكان».[70] أي شيء نلمسه وبأي شيء ندخل في علاقة، إذ نسعى إلى تحقيق ذواتنا. لذلك، فإن كل وعي بالفعل عند تنفيذه، هو طلب إلى الكائن بذاته (الله) أن يكون، فهو طلب من جانب الكائن المُشارك ليكون موجودًا دائمًا لكل ما تلقاه ولكل ما هو عليه في الواقع.

الجواب الثاني مستمد من الاكتشاف الوجودي – فالله هو كل شيء والإنسان هو الكائن المشارك، إنه تواصل بذاته كسِر – وهو مسألة وعي أخلاقي، أي سلوك. وفي الواقع، إذا كان الله هو كل شيء (لا يمكننا استخدام كلمات أخرى) وإذا كان الله للإنسان هو كل شيء ويبدو للعقل كمنبع الوجود، لكن الإنسان لا يريد أن يفهم ولا يتذكر ويكون الأمر كما لو أن الله لم يكن موجوداً. وبالنسبة لمعظمنا، كل يوم

---

70 شارل بيجي، فيرونيك، حوار التاريخ والنفس الجسدية، بي يميه، كازاله مونفيراتو ٢٠٠٢، صفحة ٢٥٦.

يمر يمتلئ بهذه الخطيئة. حيث أن مصطلح «الخطيئة» في حد ذاته دقيقًا، ولا يحوي داخله السعادة، بل الكآبة عندما يقول نقول: «انظر، لقد فعل ذلك الانسان كذا وكذا: يا للخسارة، لقد ضل طريقه وفقد فطرته السليمة!». وبالمثل، بالنسبة لله: «لم نعترف به: يا لها من خسارة!».

كيف لنا أن نعرف الله بهذه الطريقة؟ كيف نعرف بيقين ووضوح أنه- هو- كل- شيء، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يتصرف إلا بالسؤال عما حصل عليه بالفعل منه: الوجود والمشاركة في الوجود والكائن المخلوق، أي الكائن المشارك؟

كيف لنا أن نعرفه؟ يجب أن نعي وندرك ذلك. فهذا يتعلق بالقوة المعرفية للانسان العقلاني. فالعقل هو الوعي بالواقع بكل عوامله. لذلك، فإن إدراك الشيء يعني اكتشافه وفقًا لشموليته. وفي حالتنا، الموضوع الذي نتحدث عنه والذي يهمنا والمطروح كموضوع هو الله: كيف يتصور الإنسان الله وكيف يظهر الله ويجب أن يظهر للإنسان.

وعندما يدرك العقل أن الله هو مصدر كل شيء، وأن السر هو أصل كل شيء يتوق أيضًا إلى اكتشاف كيفية التصرف مع الله وكيفية التعامل معه وبالتالي اكتشاف المسارات التي تنبثق عنها القوانين الأخلاقية.

ولكن كان علينا هنا أن نشير إلى قفزة نوعية غامضة حقًا. إذ أن السر الذي هو مصدر ومصير كل الواقع المخلوق، أراد أن يكون هناك انسان مولود من امرأة وعاش مسيرته الانسانية مثل كل انسان، وهو الانسان يسوع الناصري. ونظراً لرغبته في التواصل مع البشر بواسطة هذا الانسان، جعله خاصته منذ اللحظة الأولى للحمل، متجسداً بطريقة سرية في الكلمة، في الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس بجعله مشاركًا مباشرًا في طبيعة الله: السر الأسمى في تاريخ الإنسان والكون. لهذا السبب، فإن يسوع الناصري هو «يسوع المدعو المسيح».

إن رؤية وسماع واتباع هذا الانسان هو الينبوع الكامل للأخلاق المسيحية. فقد أراد السر ليسوع الانسان أن يكون أولاً وقبل كل شيء آداة تعليم لجميع البشر – وللتعليم السامي للحياة الذي تعليم عن الله – ، المعلم الوحيد («أمَّا أنتُم فلا تَسمَحوا بأنْ يَدْعُوَكُم أحدٌ: يا مُعلِّمُ، لأنّكُم كُلَّكُم إخوَةٌ ولكُم مُعلِّمٌ واحدٌ.»[71]) وبالتالي مثال لما فعله وقاله ببراعة والذي أبلغه كتعليم: لقد فعل وعلَم. الرب يسوع فعل وعلَمَ.

وبالحديث عن الله، لا يمكن للانسان أن يعلّم إلا شيئًا انشغل به في السابق والذي قد ملأ نفسه أولاً، وبالكامل.

---

[71] مت ٢٣: ٨ و ١٠.

إن أسمى شيء في الموقف الأخلاقي كما يعلمنا المسيح هو أن كل فعل، كعلاقة مع الله ومع يسوع ومع إنسانية الفرد والمجتمع هو صداقة. ففي الواقع، كل علاقة إنسانية إما هي صداقة أو ناقصة ومعيبة وكاذبة.

لهذا قال يسوع الانسان: «يا أبي، إنْ شِئْتَ، فأَبْعِدْ عنِّي هذِهِ الكأسَ! ولكِنْ لِتكُنْ إرادتُكَ لا إرادتي».[72] وهكذا كان أستاذاً ومعلماً لجميع البشر بعبوره الموت وقبوله من أجل جميع البشر. كما قال القديس بولس: «وسِيروا في المَحبَّةِ سِيرَةَ المَسيحِ الّذي أحَبَّنا وضَحَّى بِنَفسِهِ مِنْ أجلِنا قُربانًا وذَبيحَةً للهِ طَيِّبَةَ الرّائِحَةِ».[73]

إن كل علاقة هي صداقة بقدر ما هي هبة تمثل أو تنطوي على إمكانية أن تكون هبة، تأتي إلينا من الله أو من المسيح أو من الكنيسة أو من تاريخ الإنسان: فالصداقة التي نستضيفها هي هبة. وكل ما أعطانا الله أو المسيح أو الكنيسة أو تاريخ الإنسان باعتباره قابلية للتواصل مع جميع ولكل البشر، هو عطية نستضيفها ونقبلها. وقبول هذه الهبة واستضافتها يجعل الحب الذي يمتلكه الواهب متبادلاً، ويُظهر: أن قبوله هو الحب الذي نظهره لمن أعطانا الهبة.

وبهذا المعنى، فإن الصداقة هي تبادل الهبة والحب لأنه بالنسبة لكائن مخلوق، مثل الإنسان، فإن الشكل الأسمى لمحبة الله هو قبول بأنه من صنع الله وقبول كينونته وقبول الوجود الذي ليس منه :الذي هو هبة.

٢) حدث حاضر

إن حضور يسوع المسيح، الذي يحدث في كل يوم وكل ساعة في حياة المعمَّد، أي المختار من الله ذاته، والذي أعطى الآب جميع البشر بين يديه، هو حدث.

إذن هذا الحضور هو للبشرية جمعاء، لأن المُعمد هو الشخص المختار كنقطة عبور وإبلاغ ما يقدمه الله للإنسان، من الهبة التي يمنحها من ذاته للإنسان وللبشرية جمعاء. فلنفكر، على سبيل المثال، في هذا الجزء التفصيلي: إذا كنت قد تعمدت، فذلك لأن قوة السر التي حولتني في المعمودية أرادت أن تمر من خلالي عبر العديد من المسارات والمناسبات إلى الآخرين. وهذا هو البعد الوجودي للعلاقة الجديدة مع كل شيء: فالعلاقة بين المُعَمد وجميع البشر تنبع من هذا الهدف الذي أبلغنا به السر في المعمودية. وبدأ السر يُعرِفُنا بالطاقة التي وهبنا

---

[72] لو ٢٢: ٤٢.

[73] أفس ٥: ٢.

إياها في المعمودية والهدف من اختيارنا. ومن هنا تأتي الأخلاق والسلوك الذي يجب اتباعه عندما أعي معموديتي والتي لا يمكن نسيانها في أي عمل أقوم به؛ ولا يوجد يوم ولا ساعة يحق للإنسان فيها أن ينسى هذا الاختيار. إذ أن الهدف منه يتجاوز كل ما هو عضوي للظاهرة الإنسانية وكل بادرة للإنسان والتزامه ويتخطاها من جميع الجوانب. وبهذا المعنى، قلنا دائمًا أن اللحظة لها قيمة أبدية وأنها علاقة مع اللانهائي المتحقق في الواقع كأعظم عمل وأعظم ملحمة وأعظم تاريخ.

والآن، حضور يسوع المسيح هو حدث وفق الموهبة (الكاريزما) المعطاة لنا والتي تجعلنا ذو حس لإدراكها (والتي نحن مقتنعون بها!)، فهو حدث نلتقي به في الوقت الحاضر وفي الساعة وفي الظروف التي يتسع ويتمدد فيها كدليل لصحبة دعوية كانبثاق لسر الكنيسة التي هي جسد المسيح السري.

لقد قلنا مرارًا وتكرارًا أن الخارق للطبيعة هو واقع انساني فيه حضور سر المسيح، إنه واقع طبيعي – بمعنى أنه يظهر ويتحدد بوجه انساني – يكون حاضراً فيه سر المسيح. والكنيسة التي تظهر بجانبي قد ظهرت بجانبي في ظروف معينة وأنا مع والدي وأمي ثم في المعهد الاكليريكي، ثم مرة أخرى عندما بدأت في العثور على أشخاص أصبحوا لي منتبهين وأصدقاء لأنني كنت أقول أشياء معينة وأخيراً وُضِعتُ في صحبة جعلت وتجعل سر الكنيسة آني بالنسبة لي؛ لذلك هي ظهور لجسد المسيح. وهي الرفقة «الدعوية»، أي الرفقة التي تتضمننا لأنها تلِد الخبرة وتتولد من الخبرة التي لمستنا فيها الموهبة (الكاريزما).

قال القديس أغسطينوس: «الكتب في أيدينا، والواقع أمام أعيننا».[74] الكتب في أيدينا والأناجيل لنقرأها والكتاب المقدس لنقرأه؛ لكننا لا نعرف كيف نقرأه بدون الجزء الآخر من المقولة: الواقع أمام أعيننا. إن حضور يسوع يتغذى ويتعزى ويتجلى من خلال قراءة الأناجيل والكتاب المقدس، لكنه يتأكد ويتجلى بيننا من خلال حدث واقعي، ومن خلال أحداث باعتبارها حضور. فلكل واحد منا حدث له معنى ومغزى، وحضور أثَر في حياتنا كلها: فقد أضاء طريقة تصورنا وشعورنا وفعلنا. وهذا يُسمىَ حدث. فما نتعرف عليه يظل حياً في الحقيقة ويتحقق كل يوم؛ لذلك في كل يوم نعي ويجب أن نعي وندرك الحدث كما حدث لنا واللقاء الذي عشناه.

وأختتم هذا التأكيد على اهتماماتي بقولي: المسيح، هذا هو الاسم الذي يشير إلى ويُعرِف واقع إلتقيته في حياتي. لقد قابلت: سمعت عنه

---

[74] القديس أغسطينوس، العظة ٣٦٠/ ب، الفقرة ٢٠: عظة القديس أغسطينوس للوثنيين القادمين للايمان.

لأول مرة عندما كنت طفلاً وصبياً إلى آخره. ويمكن للمرء أن يكبر وتكون هذه الكلمة معروفة جيدًا، لكن الكثير من الناس لم يلتقوا به ولم يختبروه حقًا كحاضر؛ في حين أن المسيح قد صادف حياتي، فقد صادفت حياتي المسيح على وجه التحديد كي أتعلم وأفهم كيف أنه هو جوهر كل شيء وكل حياتي. إن المسيح هو حياة حياتي. إذ يجتمع فيه كل ما أتمناه وكل ما أسعى إليه وكل ما أضحي به وكل ما يكبر بداخلي بحب الأشخاص الذين وضعني معهم.

وكما قال ميلر في عبارة استشهدت بها العديد من المرات: «أعتقد أنني لن أستطيع العيش إذا لم أعد أسمعه يتكلم».[75] إنها عبارة وضعتها تحت لوحة للمسيح بريشة الرسام كاراتشي عندما كنت في المدرسة الثانوية. ربما تكون إحدى العبارات التي تذكرتها كثيرًا في حياتي.

إن المسيح، حياة الحياة، ويقين المصير السعيد والرفيق في الحياة اليومية برفقته الحميمة التي تحول كل شيء إلى خير: وهذا يمثل مدى فاعليته وتأثيره في حياتي.

إن الأخلاق لا تبدأ من هنا فقط، بل هنا فقط يترسخ خيط الأخلاق ويتم الحفاظ عليه.

لم يضع القديس بطرس كسبب لمحبته للمسيح حقيقة أنه غفر له الكثير من عيوبه وأخطائه وخياناته؛ ولم يذكر أخطائه. فلما وجد نفسه أمامه بعد قيامته في تلك المرة وجهاً لوجه مع المسيح وسأله المسيح: «أتحبني يا سمعان؟»، فقال له: «نعم». إنها العلاقة بكلمة الله هذه الأكثر إنسانية والأكثر ألوهية، التي تجعلنا نحتضن كل شيء في حياتنا اليومية. يجب أن تكون ذاكرته يومية ويجب أن يكون الحافز يومي الذي يجعله مألوفاً بالنسبة لنا، ويجب أن تصير الصحبة معه سعيدة، ويجب أن تتركنا ذكراه ونحن سعداء في أي ظرف من الظروف وفي أي حال من الأحوال، لأنه فيك يا رب يتجسد الخير الذي يريده لي السر (الله). وهكذا أملك يقين بلوغ المصير السعيد وامتلأ بالرجاء طوال مسيرة حياتي.

«نعم يا رب، أنت تعلم أني أحبك». لقد كنت مخطئا وخُنتُ ألف مرة في ثلاثين يوماً، وهذا لا بد أن يكون! يبدو لي أن هذا ليس زعماً، ولكنه نعمة مدهشة ولا يمكن تصورها ولا يمكن وصفها، كما قال مايكل أنجلو بوناروتي: «ولكن ماذا أستطيع يا رب، إذا لم تأتي إلي / بلطفك المعتاد الذي لا يوصف؟».[76]

---

[75] إ. ج. ميلر، عن وحدة الكنيسة، مطبعة ومكتبة بيروتا وشركاه، ميلانو ١٨٥٠، صفحة ٥٢.

[76] مايكل أنجلو بوناروتي، قوافي، لاتيرتسا، باري ١٩٦٧، رقم ٢٨٦، الأبيات ٥-٦، صفحة ١٣٦.

المسيح ونعم القبول له: هذا، للمفارقة، هو أسهل جانب إنساني – أقول ذلك بقليل من الادعاء وبقليل من الحماس – أو، على أي حال، الأكثر قبولًا لكل الواجب الأخلاقي الذي لدينا في العالم. لأن المسيح هو الكلمة التي تكشف كل شيء: فالمسيح هو إنسان عاش منذ ألفي عام مثل أي شخص آخر، ولكنه قام من بين الأموات بتدخل قوة السر (الله) فيه، والذي شارك في طبيعته يملأنا كل يوم وكل ساعة وكل عمل نقوم به.

وشمولية حضور السر ومُبتغاه من حياتنا («الله الكل في الكل») وكذلك المسيح، يسوع الناصري، الشاب الناصري، يسوع، الذي هو السر الذي صار المسيح، أي مسيحه وشمولية الشخصية العظيمة، والشخصية الهائلة وللاشارة العظيمة إلى أن الله وكلمته في قلوبنا وعلى شفاهنا ومجمل هذا الحضور المألوف واليومي والفعال لهذه الصحبة هو غريب بقدر ما هو أمر لا يفوقه شيء كما هو واضح. فهذه الشمولية تفسر قولنا «أنت»: و يجب أن نقول لله «أنت» و كما يجب أن نقول «أنت أيها المسيح» ليسوع الناصري الانسان.

إن السر (الله) وحضوره الجسدي في حياتنا هما ينبوع علاقتنا مع الحقيقة ومع الواقع ككل، ويصبح كل هذا أيضًا مصدرًا لِما قُلنا أنه صداقة. فلا توجد علاقة أمامك أيها المسيح، وعندما ألتقي بك وأعيش ذِكراك، لا يمكن أن يكون لدي أي علاقة إنسانية من أي نوع مع أي شخص بدون أن يكون موضوع سعيي ومثاله هو الصداقة. وإذا نظرتُ مثلك إلى كل من تحدثت معهم أو الذين أجابوا عليك أو الذين لم يكن هناك حوار معهم – حتى بيلاطس، وحتى رؤساء الكهنة – لو كانت علاقتك بهم، والتي، كما أظهرته بكل شغفك الذي امتلأ بالولع العميق لمصيرهم، ولمصير من معهم،و مليئًا بالحب لهم الذي لو قبلوه وتوافقوا معك، لكانت كلمة الصداقة هي الكلمة الوحيدة التي أمكنهم استخدامها في علاقتهم معك. فكلمة الصداقة هي الكلمة الوحيدة التي يمكننا استخدامها في العلاقة بيننا وبينه.

ويعطينا القديس مكسيموس المُعرِف، واحد من كبار آباء الكنيسة العظام، الخلاصة الرائعة التي ذكرناها سابقًا: «المسيح هو [...] الكل في كل شيء [سواء كنا صالحين أو أشرار أو مُشتتي الذهن أو خارجه أو داخله]. فهو الذي يحوي كل شيء في ذاته، وفقًا لقوة صلاحه الفريدة اللامحدودة و كلية الحكمة – كمركز تتلاقى فيه المسارات [كل مسارات الخليقة: وهذه هي الولادة الوجودية، و هي نظرة الوجود التي يجب أن يولد منها كل موقفنا في الحياة] – حتى لا تظل مخلوقات الله الواحد غريبة وفي عداوة مع بعضها البعض، ولكن كي يكون لهم مكان

مشترك حيث يمكنهم إظهار صداقتهم وسلامهم».[77] إنها خلاصة الروح التي تحدثنا وفكرنا بها في هذه الأيام.

[77] القديس مكسيموس المعرف، تلقين أسرار الدين، الجزء الأول

معجـــــزة التغيـــــير
(١٩٩٨) *

بداية جديدة، كان عنوان غلاف مجلة «آثار»، في العدد الأول من العام، والذي أشار إلى تقديم كتاب «الحس الديني» في مكتبة الأمم المتحدة بنيويورك. وقد علق الأب جوساني مثل «القديس بطرس في روما»، [1] موضحاً الخاصية المزدوجة للرسالة المسيحية: التي هي حرية المخاطرة حتى في أصعب المواقف («في مركز الامبراطورية الرومانية في ذلك الوقت») وتجديد الذات، كانسان يجعل حدث المسيح حاضراً.

تمركزت الرياضة الروحية للأخوية حول موضوع التوبة التي تغير الإنسان من جذوره. وقد ارتبط تعميق الوعي الذاتي ارتباطًا وثيقًا بإدراك حكم الإيمان على العالم. وقراءة الحداثة في جوانبها المتناقضة - «هيمنة الأخلاقيات على علم الوجود»، [2] والعدمية والشك، والعنف، ومن ناحية أخرى، الظهور المستمر لإمكانيات الخير والحقيقة التي حثت على ودعت إلى حركة مسكونية حقيقية - كان موضوع متكرر في التأملات وكذلك في المداخلات العامة في الصحافة. ففي الواقع، منذ عدة سنوات، كانت الصحف اليومية الوطنية المهمة تنشر مقالات ورسائل للأب جوساني بانتظام إلى حد ما، وبدأ جمهور القراء في التعرف عليه عن قرب، بتقدير قيمته وبالتغلب على الأحكام المسبقة التي لا أساس لها من الصحة.

أعاد شغف اللقاء والحوار مع الآخرين الحياة لسلسلة من النصوص من خلال سلسلة «Quasi Tischreden»، التي أعادت طرح كلاسيكيات الأدب الأوروبي: مثل محادثات تلقائية وحرة مع الأصدقاء حول مواضيع تتعلق بالحياة والإيمان والالتزام في المجتمع.

وحبه للموسيقى - «الذي كَبُرَ في منزل يفتقر للخبز، لكن غني بالموسيقى»، [3] كما قال الكاردينال راتسينجر عن طفولته - قاد الأب جوساني إلى افتتاح سلسلة ناجحة من الأعمال الموسيقية على أقراص مدمجة (الروح اللطيف) والتي سمحت للكثيرين بمعرفة أجمل وأروع لحظات الغناء واللحن والعمل الموسيقي.

---

* الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، ٢٤ - ٢٦ إبريل ١٩٩٨، ريميني.

[1] ألبرتو سافورانا، حياة الأب جوساني، كتاب سبق ذكره، صفحة ١٠١٠.

[2] الأب لويجي جوساني، الانسان و مصيره. في مسيرة، ماريبتي ١٨٢٠، جنوا ١٩٩٩، صفحة ٦٣.

[3] اقتباس من الكاردينال جوزيف راتسينجر في كتاب ألبرتو سافورانا، حياة الأب جوساني، سبق ذكره، صفحة ١١٨٨.

في شهر إبريل، شارك الأب جوساني للمرة الأخيرة في جماعة الطلبة الجامعيين، بعد أن تابعهم لأكثر من عشرين عامًا، وهو الأمر الذي اعتبره أكثر النقاط حيوية في خبرة الحركة. كما تحدث عن «رحلة ليوباردي»[4] وأطلق دعوة تبدو وكأنها موافاة: «قوموا بتنفيذ كامل ديناميكية [...] السبب الرئيسي لصداقتنا، [...] وهو تحقق آمال القلب واحتياجاته، والذي بدونه تكون العدمية هي العاقبة الوحيدة والممكنة». [5]

كان هذا الازدهار للإنسانية والالتزامات بمثابة «انتعاش» مفاجئ لأوضاع مادية غير مستقرة بشكل متزايد، جعلت ممارسة الكلمة أمرًا صعبًا، من بين أمور أخرى. فقد كانت ظروفًا ملموسة كان من الممكن أن تُوقِف أو تشكل عائقًا أو حتى اعتراضًا، ولكن بدلاً من ذلك تم تناولها «كعامل أساسي وليس ثانوي لدعوتنا».[6] لقد قرَب المرض الأب جوساني أكثر من البابا يوحنا بولس الثاني، الذي اعتبره، في مناسبات عدة، عامة وخاصة، "أبًا ومعلمًا" والذي دعمه فيما يتعلق باليوبيل العظيم في عام ٢٠٠٠، الأمر الذي موضوع جدل ونقد في الصحافة.

وقبل أيام قليلة، تم تسجيل تأملات الرياضة الروحية في هذه المناسبة أيضًا التي تصل فيها التأملات حول طبيعة الإيمان والسياق الفكري للعصر الحديث إلى عمق ووضوح مذهلين: إذ أن «الاختزالات الثلاثة» للمسيحية و «الخمسة بدون» للعقلانية الحديثة ستصبح فصولًا جوهرية للوعي الذاتي المسيحي.

فقد كان الأب جوساني حاضرًا في الرياضة الروحية وشارك في الاجتماع العام بالاجابة على أسئلة وبشرح فقرات لم تكن مفهومة جيدًا. وكانت هذه بداية لعمل طويل من الفهم والاستيعاب سيستمر على مر السنين.

تابع التأملات والاجتماع العام بالبث المباشر عبر الأقمار الصناعية مشاركين من حوالي عشر دول أوروبية ومشاركين من ٢٤ دولة أخرى غير أوروبية، في توقيتات زمنية مختلفة، شاهدوا واستمعوا إلى التسجيلات بعد ساعات قليلة من البث.

منذ عدة سنوات ولسنوات عديدة تالية، ترأس الاحتفال بالافخارستية يوم السبت رئيس المجلس البابوي للعلمانيين، الذي ألقى أيضًا العظة: أولاً الكاردينال إدواردو ف. بيرونيو، ثم الكاردينال جيمس ف. ستافورد، وفي النهاية نيافة الأسقف ستانيسلاف م.

---

[4] ألبرتو سافورانا، حياة دون جوساني، كتاب سبق ذكره، صفحة ١٠١٨.

[5] الأب لويجي جوساني، في مسيرة (١٩٩٢ - ١٩٩٨)، بور، ميلانو ٢٠١٤، صفحة ٣٤٤.

[6] الأب لويجي جوساني، الانسان ومصيره. في مسيرة، كتاب سبق ذكره، صفحة ٦٣.

ريلكو. لقد كان الاحتفال علامة مهمة على الاهتمام الذي أولته الكنيسة، ولا سيما البابا ، للحركات الكنسية وتقدير السلطة الكنسية لما وُلِد من القاعدة العامة باعتباره عطية وهبة، وليس شيئًا ثانوياً، من أجل الكنيسة جمعاء.

في نهاية شهر مايو، انعقد المؤتمر العالمي للحركات الكنسية في روما وفي الاجتماع الختامي مع قداسة البابا في ساحة القديس بطرس. تحدث الكاردينال جوزيف راتسينجر في محاضرته الافتتاحية للمؤتمر عن «الحدث الرائع» لاجتماعه مع الحركات الكنسية في سنوات «شتاء» الكنيسة.[7] كما أكد البابا يوحنا بولس الثاني على الاتحاد في الجوهر للبعدين المؤسسي و الكاريزماتي. وفي شهادته في ساحة القديس بطرس، أكد الأب جوساني أن «بطل التاريخ الحقيقي هو المتسول: المسيح المتسول لقلب الإنسان وقلب الإنسان المتسول للمسيح».[8] وسيتم الاحتفال بذكرى يوم ٣٠ مايو باعتباره «أعظم يوم في تاريخ الحركة».[9]

---

7 الكاردينال جوزيف راتسينجر، «الحركات الكنسية ووضعها اللاهوتي»، في المجلس البابوي للعلمانيين، الحركات في الكنيسة. أعمال المؤتمر العالمي للحركات الكنسية، روما ٢٧ - ٢٩ مايو ١٩٩٨، ليف، مدينة الفاتيكان ١٩٩٩، ص ٢٣ - ٢٤.

8 الأباء لويجي جوساني وستيفانو ألبرتو وخافيير براديس، إيلاد آثار في تاريخ العالم، بور، ميلانو ٢٠١٢، صفحة ١١.

9 الأب لويجي جوساني، «ميلانو، ٣ يونيو ١٩٩٨»، السابقة الذكر، عمل الحركة. أخوية الشراكة والتحرر، سان باولو، تشينيسيللو بالسامو (ميلانو) ٢٠٠٢، الصفحات ٢٧١ - ٢٧٢.

اللـه والوجـــود

١) مشكلة معرفة

«اللهُ كُلَّ شيءٍ في كُلِّ شيءٍ».[10] كيف يصبح هذا صالحاً ومؤثراً في حياة الانسان؟ إن التأكيد الذي لا يؤثر في الحياة هو شيء مجرد، ويظل مجردًا أو يبدو غير معقول بعض الشيء. إن الآية التي تقول أن «الله هو كل شيء في كل شيء» هي النتيجة الجذابة التي يقودنا إليها العقل، عندما نفهمها وفقًا لخبرة الواقع الطبيعية التي لدينا عنها، وكما تؤكد ذلك فلسفة سليمة تناسب الإنسان. ولنتذكر أن العقل هو طلب للمعنى الشامل والانفتاح على الواقع بمجمل عوامله. «الله هو كل شيء في كل شيء» هو بالنسبة لنا تعبير عميق للعقل وفرصة للتأكيد الكامل على قيمته؛ إنه ليس صياغة غير معقولة ولا تأكيداً مجرداً، بل هو ببساطة شيء يمكن الحكم عليه ويمكن فهمه – أو عدم فهمه – كعامل حقيقي في الحياة.

إذا كان «الله هو كل شيء في كل شيء»، فعلينا أن نرى كيف يؤثر ذلك على حياتنا. وكيف يمكننا إدراكه؟ وماذا يعني إدراكنا له؟ أولاً وقبل كل شيء، يعني معرفة الله بطريقة تؤثر على الحياة. ويكشف لنا الكائن عن ذاته بقدر عمله في حاضرنا: أي إذا عمل أمام أعيننا. لذلك، فإن معرفته تتضمن تغييرًا، وأول الدلائل على ذلك هو تغيُر صورة الذكاء الانساني نفسه وهو يعمل. المعرفة إذن هي أول الأشياء أهمية لبناء وقور ومحترم من الناحية الأخلاقية، والعامل الأول للرغبة في تغيير ذواتنا كي يكون وجودنا أكثر فائدة في العالم ومن خلاله. إذ يُعَدُ الأمر مشكلة معرفة حتى قبل القيام بأي عمل أو نشاط. ويعبر نشاط الذكاء عن عقل أي انسان بالقدر الذي يخلق به نقطة جديدة ومحددة في تعامله مع كل الأشياء، مما يجعلها جديدة؛ وبهذا المعنى يمكننا أن نقول: كل شيء صُنِع جديداً (facta sunt omnia nova).[11]

من الضروري أن ندرك العواقب الأخلاقية لحقيقة أن «الله هو كل شيء في كل شيء»، وحتى قبل ذلك، القوة الجمالية التي يمتلكها «الله هو كل شيء في كل شيء». لأنه من هذه القوة الجمالية تنشأ إمكانية الأخلاق ذاتها؛ فقط إذا كان الكائن جذابًا يمكن أن يكون قادرًا على جذب انتباه الإنسان إلى حد التضحية. لذلك لا يُطلب من

---

[10] ١ كور ١٥: ٢٨.

[11] ١ كور ٢: ١٢؛ ٢ كور ٥: ١٧؛ كول ١: ١٦.

الإنسان أكثر من أن يحافظ بأمانة وولاء داخل نفسه على الرغبة والإرادة في أن يكون متواضعًا ومطيعًا أمام عظمة الكائن خالقه. والآن، حتى ندرك هذه العواقب الأخلاقية، نحتاج إلى الوعي بالعقلية التي تُمجد ظاهرياً الولادة الدينية من جديد لكنها تريد في الواقع فرض رقابة على حقيقة أن «الله هو كل شيء في كل شيء»، وجعلها مجردة، أو نسيانها، أو حتى إنكارها. نحن بحاجة إلى إدراك الواقع الذي نعيش فيه وفي اللحظة «الثقافية»، بالمعنى القوي للمصطلح لمسيرة حياتنا.

فمن المستحيل العيش في سياق عام دون أن نتأثر بذلك؛ ونحن أنفسنا نشارك في تلك العقلية التي بها نتصور الله كحقيقة مُجردة أو منسية أو حتى ننكر وجودها. وبالتالي نصل عمليًا ووجوديًا إلى إنكار أن «الله هو كل شيء في كل شيء». وفي روحنا المضطربة والحائرة هناك كذبة للعقلية السائدة اليوم والتي نُشارك فيها نحن، لأننا أبناء الواقع التاريخي الذي هو الواقع الإنساني وعلينا أن نمر بكل الضيقات والإغراءات والنتائج المريرة مع حفاظنا على الرجاء الذي هو حياة للحياة. لنرى، إذن، كيف نقيس فينا الكذب الذي يأتينا من العالم الذي نعيش فيه.

٢) الخبرة والعقل

إن إنكار حقيقة أن «الله هو كل شيء في كل شيء» يقوم على سلوكيات غير متدينة غريبة على التكوين (الديني والثقافي) للشعوب الأوروبية.

إذ أن هناك عدم تدين في عالمنا يبدأ، دون أن يلاحظه أحد، بالانفصال الذي يحدث بين الله باعتباره أصل الحياة ومعناها (وبالتالي وثيق الصلة بالأشياء التي تحدث وبالأحداث الانسانية) والله كحقيقة فكرية أو كنتاج للفكر نتصوره وفقا لمتطلبات الفكر الإنساني. وهذا يؤدي بنا إلى فصل معنى الحياة عن خبرتنا الانسانية. فإنكار الله، إلى درجة إنكار النتيجة النهائية الواضحة والمعقولة بأن «الله هو كل شيء في كل شيء»، يتضمن فصل معنى الحياة عن الخبرة الانسانية: فمعنى الحياة هو الله والخبرة هي العلاقة بين حرية الإنسان والواقع الذي ينغمس فيه. إذا تصورنا الله منفصلاً عن خبرتنا الانسانية، وإذا لم يؤثر في حياتنا، فهناك انفصال لمعنى الحياة عن الخبرة الانسانية. وبعبارة أخرى، إنه لم يعد لمعنى الحياة أي علاقة أو علاقة بالكاد يمكن تحديدها حتى في لحظة الوجود التي يسير فيها الانسان. لكن لا يمكن قطع العلاقة بين الخطوة التي يخطوها الإنسان الآن وبين سبب تحركه! وإلى ماذا يسير؟ والى اين؟ إنه يسير نحو معنى حياته ومصيره.

إن انفصال معنى الحياة عن الخبرة الحياتية يعني أيضًا انفصال الأخلاق عن الفعل البشري: فالأخلاق، كما نتصورها، ليس لها نفس جذر وأصل الفعل. بأى معنى؟ بمعنى أن الأخلاق لها علاقة بفعل الإنسان وبالخبرة الحياتية، ولكن بدون أن يكون لها نفس جذر الفعل وأصله؛ إنها لا تتوافق مع المظهر الخارجي، والوجه الذي تعطينا إياه الخبرة.

ومن بين أشياء أخرى، هذه هي الطريقة التي نفهم بها ظهور المذهب الأخلاقي: الذي هو الأخلاقيات التي، للمفارقة، لا علاقة لها بالفعل البشري، بمعنى أنها لا تولد في نفس الوقت مع الفعل. والمذهب الأخلاقي هو مجموعة من المبادئ التي تسبق عمل الإنسان وتتعلق به من خلال الحكم عليه نظريًا تجريديًا بدون إعطاء الدافع والسبب وراء صحته أو خطأه، ولماذا يجب على الإنسان القيام أو عدم القيام بعمل ما. وبالتعريف المُسبق للفعل الذي يقوم به الإنسان، نحكم على ما يفعله الإنسان بدون أن يكون على دراية به، أو بدون تصوره لفعله في العالم وسيره في طرق الزمان والمكان على أنه أمر ممكن عمليًا. وبالتالي، ليس للأخلاق نفس جذر الفعل. ومن ثم ينتهي الأمر بالتشديد والتأكيد على القيم المشتركة والقيم المحسوسة بشكل عام؛ لذلك فإن مبادئها إما مستمدة من العقلية السائدة أو مفروضة من الدولة.

يتم إيضاح جوهر القضية في الصراع الذي يتطور حول كيفية فهم العلاقة بين العقل والخبرة. ولفهم هذا، يكفينا إلقاء نظرة على صيغة «الله هو كل شيء في كل شيء»، والتي تحطم الصياغة الأكثر شيوعًا عن وجود الله («الله موجود»). إنه دائمًا ما يكون هادئًا، في الواقع، التأكيد على وجود كيان أعلى، على وجود الله، منغلق على ذاته وليس له علاقة بالفعل البشري إلا في النهاية كقاضي يُدمِر أو يوافق على قام به الإنسان. وفي طريقة تصور العلاقة بين العقل والخبرة، يمكن تقويض نظام خطة الله العظيمة، وهو الكون، من جذوره. تشير الأخلاق المختزلة إلى مذهب أخلاقي إلى العلاقة بين نظام مخطط الله وحدث الفعل البشري باعتباره تصور مثالي مُسبق. لكن، يكشف الإنسان من خلال الخبرة عن تمسكه والتزامه، أي بربط عمله بالمخطط الكلي، أو بشموليته، أو بعدم الاستجابة لهذه المرجعية النهائية والحاسمة بوضوح.

وبتأكيد جان جويتون لنا في قلقنا الذي لا يهدأ، منحنا الراحة ليجعلنا نشعر بصحة موقفنا بشأن الارتباط بين العقل والحياة عندما قال أن «''المعقول'' هو إخضاع العقل للخبرة». [12] فالخبرة هي صعود

[12] جان جويتون، فن التفكير الجديد، سان باولو، تشينيسيللو بالسامو (ميلانو) ١٩٩١، صفحة ٧١.

الواقع إلى وعي الإنسان، وهي شفافية الواقع لأعين الانسان. وبالتالي، فإن الواقع هو شيء نلتقيه، وهو حدث حقيقي، والعقل هو ذلك المستوى من الخلق الذي يصبح فيه واعياً بذاته. إن ذلك ليس فلسفة في المقام الأول، ولكنها ضرورة وجودية. لماذا هو معقول إخضاع العقل للخبرة؟ لأنها تخبرنا بحقيقة أننا كينونتنا في الواقع الذي فيه نحن موجودون؛ إنها حقيقة مُعطاة لنا ونلتقيها، وأننا لم نخلقها ولم نخترعها. ومن الجانب الآخر، العقل هو ذلك المستوى من الخلق الذي يكون فيه واعياً بذاته، ويصبح واعياً بالمُعطى له، أي «بالشيء» الذي يصادفه الإنسان. وينبثق تعريف العقل من هذا الوعي بالذات.

وللدفاع عن الله في حقيقته وعن احتياج الإنسان لتصور الحياة كشيء يخصه، وبالتالي يسعى في كل شيء إلى إرضاء هذا الخالق الأعلى والمدبر لكل ما هو موجود، ونحتاج قبل أي شيء، إلى إعادة الاحياء الودي لكلمة «العقل»، وهي الكلمة الأكثر لغطاً وتشويشاً في الخطاب الحديث. فاذا أسأنا استخدام العقل، لتعرضت معرفة الإنسان كلها للخطر كبناء على الواقع وللواقع. وإن أسأنا استخدام العقل، أي إذا ترجمنا العقل إلى «مقياس» للواقع – وهذا يشير دائمًا إلى العقل باعتباره تصورًا مسبقًا، كشيء يتدخل بشكل غريب في الخبرة لإنقاص وعدم التعرف على ما هو موجود في حياتنا – فهناك ثلاثة اختزالات خطيرة محتملة تؤثر على كل سلوك الانسان في الحياة. ففي هذا الاختزال الثلاثي، نستطيع أن نرى ونفهم الاختلاف العميق بين الثقافة المسيحية والثقافة الدنيوية غير المسيحية.

في الواقع، إن الحديث عن الثقافة هو الحديث عن التكوين البشري الكامل لوجودنا في العالم، لأن الثقافة ليست نتيجة يسعى إليها المتحمسون أو المختصون: إنما الثقافة هي ما يستمد منه الإنسان كل سلوكه وما تلهمه في سلوكه كأصل كل شيء بصياغته والكشف عنه بعد تطور الأشياء والحياة، وفي تأكيد الهدف النهائي لما يفعله، أي مصيره.

فإذا أسأنا استخدام العقل، وإذا استخدمناه كمقياس، فهناك ثلاثة اختزالات خطيرة محتملة تؤثر على كل سلوكنا. وكي نتحدث عن الأخلاق، من المهم جدًا فهم وإدراك نوع الثقافة التي ننتمي إليها، سواء كانت دنيوية أم مسيحية.

٣) ثلاثة اختزالات خطيرة

١) الاختزال الأول – أقوم بوصف ميلاد سلوكنا بجانبه الدرامي والمتناقض –: بدلاً من وصف حدث، المذهب الفكري.

إن العلاقة بالواقع الذي يعيشه الإنسان من الصباح إلى الليل يمكن أن تكون مبادرة مستمرة، ومحاولة مستمرة لمواجهة ما يحدث وما يختبره؛ أو يمكن للإنسان أن يتحرك ويسمح أن يحركه شيء ما، ويمكنه أن يطيع شيئًا لا ينبثق ولا ينبع من طريقته في التفاعل مع الأشياء التي يصادفها ولكن من تصورات المسبقة.

إن نقطة انطلاق الانسان المسيحي هي حدث. إن نقطة البداية لكل الباقي من الفكر الإنساني هي انطباع معين وتقييم للأشياء، وهو موقف معين يتخذه الانسان «قبل» مواجهة الأشياء، وخاصة قبل الحكم عليها: وحتى الاحتياجات الانسانية، التي يتصدى لها الإنسان ويحاول المشاركة في واقعيتها، يمكنه التفكير فيها وتصورها بطريقة مسبقة. فعلى سبيل المثال، هناك كارثة في منجم أو على السكك الحديدية: أي أن التعامل مع هذه الحقائق التي تتحدى الإنسان لا ينبع من صدى الإنسان، أو مما يشعر به الإنسان كإنسان في مواجهة هذه الأحداث. وبدون أن يدرك الإنسان ذلك، يبدو الأمر كما لو أن خطابًا قد سمعه بالفعل، هو مثل شيئًا قد اختبره، أي تصور مسبق، ينفجر في حكمه على الأشياء؛ ويبدأ من تصور مسبق مثل صحيفة الجمهوريين أو الليبراليين تعطي نغمة معينة وبدلاً من ذلك ستهاجم صحيفة الحزب الحاكم شيئًا آخر. ويجب تطوير التصور المسبق – أي نقطة البداية التي ينطلق منها المرء – للدخول في التاريخ والانتصار على الزمن وشق طريقه وسط أفكار الناس وأحكام المجتمع. فتطوره هو المنطق لخطاب يصبح مذهباً فكرياً. ويطلقون على منطق الخطاب الذي ينطلق من تصور مسبق ويريد دعمه وفرضه بالمذهب الفكري (الأيديولوجيا).

ومن ناحية أخرى، إذا كان الأصل والأساس والمبدأ التأسيسي لكل الخبرة الانسانية هو حدث – فالبديل الحقيقي الوحيد للإدراك المسبق، وهو شيء يحدث ويواجه فيه الإنسان ذاته –، وإذا كان المعيار الذي يشير إلى سلوك الإنسان هو حدث يعاد تكوينه ويعاد طرحه باستمرار في التاريخ وفي الزمان، يومًا بعد يوم، ساعة بساعة: نحن نفهم هذا الحدث لأن «شيئًا ما يحدث» الآن. والذاكرة هي عكس المذهب الفكري (الأيديولوجيا).

تكمن حياتنا الإيمانية كمسيحيين أمام العالم في هذا البديل الهام الذي لا ندركه إذا لم ننتبه لمن جعله الله مرشدًا لكنيسته. تُذكرنا صفحة مشهورة كتبها ألكسيس كاريل بهذا: «إن الكثير من الملاحظة والقليل من التفكير يقودان إلى الحقيقة [أي الحفاظ على اتصال حقيقي مع ما هو موجود]، بينما يؤدي الكثير من التفكير وقلة الملاحظة إلى الخطأ [والاضمحلال]». [13] إن حياتنا المسيحية وإيماننا وأخلاقنا الملموسة، ونهجنا في الحياة تحدده الأيديولوجيات الحالية أو الواقعية بتفوق وجودنا والأشياء التي تحدث والأشياء التي نواجهها والأحداث التي نتفاعل معها بطريقة معينة: فالحقائق كأحداث. وولادة طفل، على سبيل المثال، هو حدث. هناك أحداث كبيرة وأحداث صغيرة للغاية كمعنى.

إذن، لو كان الأصل والأساس والمبدأ التأسيسي لكل خبرة انسانية هو حدث نفهمه ويجعل نفسه مفهومًا، لأنه بطريقة ما يحدث الآن. ولا يمكننا التحدث عن ماضٍ بأنه حاسم لشخص يعيش اليوم، إذا لم يصبح هذا الماضي حاضرًا بطريقة ما. وإذا كان ذكرى خالصة – لكن من المستحيل أن يكون ذكرى خالصة – فهو لا يترك أي أثر؛ ولكن، إذا لم تكن ذكرى خالصة، فهو شيء من الماضي يؤثر على الحاضر. فالمسيحية هي حدث وبالتالي هي حاضرة وحاضرة الآن وميزتها أنها حاضرة كذاكرة؛ حيث لا تتطابق الذاكرة المسيحية مع الذكرى، فهي في الواقع ليست ذكرى، ولكنها الحدوث من جديد للوجود ذاته.

إن الاعتراف بهذا الحدث هو فقط الذي يمنعنا من أن نكون عبيد لأي مذهب فكري (أيديولوجية). ولنتذكر أن كل المذاهب الفكرية لها منظومة منطقية وبالمنطق الذي يدعمها تميل إلى السلطة أو تمتلك سلطة (إذ يمكن إغلاق عقول البشر بمذهب فكري)، وفي لحظة معينة، يهيمن المذهب الفكري على باقي المذاهب.

لكن على العكس، فالمسيحية تُولد كحدث يتجسد في الحاضر كذاكرة.

ب) تقدم هذه الملاحظة إختزالاً ثانيًا هام ثقافياً و خطير أخلاقيًا. إنه خطير أخلاقياً لأن الأخلاق، بقدر ما تنبثق من الجماليات وبقدر ما تنطلق بقوة دفعها في مسيرتها ورحلتها بفعل عامل جمالي ينطوي على تعريف كبير لمفهوم الكائن بذاته، أي مفهوم الله.

وإذا استسلم الإنسان للمذاهب الفكرية المهيمنة الناجمة عن العقلية السائدة، فهذا يدل على أن هناك صراع وانقسام وانفصال بين العلامة والمظهر الخارجي؛ والذي ينتهي إلى اختزال العلامة إلى

---

[13] ألكسيس كاريل، خواطر حول سلوك الحياة، كانتاجاللي، سيينا ٢٠٠٤، صفحة ٣٥؛ والأب جوساني، الحس الديني، ريتسولي، ميلانو ٢٠١٠، ص ٣.

مظهر خارجي. فكلما زاد وعي الانسان بماهية العلامة، كلما زاد فهمه لقذارة وكارثة العلامة التي تم اختزالها في مظهر خارجي.

فالعلامة هي خبرة عامل حاضر في الواقع يحيلني إلى شيء آخر. والعلامة هي حقيقة يمكن اختبارها ومعناها هو حقيقة أخرى؛ إذ تكشف معناها الذي يقود إلى حقيقة آخرى.[14]

لذلك، لا يعد الأمر عقلانياً وانسانياً استنفاذ خبرة العلامة في جانبها الآني من إدراكنا لها أو في مظهرها الخارجي. ولا يخبرنا الجانب الآني في إدراكنا لأي شيء، أي للمظهر، بكل الخبرة التي لدينا عن الأشياء، لأنه لا يخبرنا عن قيمة العلامة الخاصة بها.

والإغراء الكبير الذي يتعرض له الإنسان هو استنفاد خبرة العلامة، أي الخبرة بالشيء الذي هو علامة عن طريق تفسيرها في جانبها الآني من إدراكنا لها فقط. وهذا ليس من المعقول، لكن كل البشر مدفوعون، بسبب ثقل الخطيئة الأصلية عليهم، ليكونوا ضحايا لما هو ظاهر، لأنه يبدو أسهل شكل من أشكال العقل. وموقف روحي معين يفعل الشيء نفسه إلى حد ما مع واقع العالم والوجود (الظروف والعلاقة بالأشياء والأسرة التي يجب بنائها والأبناء الذين يجب تعليمهم ...): إنه موقف يمتص وطأة الضربة ولكنه يمنع القدرة البشرية على الدخول في بحث عن المعنى والذي يحثنا عليه ذكائنا البشري بلا شك من خلال حقيقة علاقتنا بالواقع. وبعبارة أخرى، إنه يمنع قدرة الذكاء البشري ذاتها على الدخول في بحث عن المعنى وهو ما تحث به علاقتنا بما يثيرإعجابنا بلا شك. في حين أن الذكاء البشري لا يمكنه أن يصادف شيئًا ما بدون إدراك أنه، بطريقة ما، علامة لواقع آخر، إلا أنه يستأنف التلميح والاشارة إلى واقع آخر.

يمكننا العثور على صدى لهذه المفاهيم في تأكيد لفينكيلكرو الذي يتبنى فكر هانا أرنت التي تكتب: «إن المذهب الفكري ''الأيديولوجيا'' [...] ليس قبولًا ساذجًا لما هو مرئي، بل هو نبذ ذكي له».[15] إذ أن المذهب الفكري هو تدميروإزالة لما هو مرئي باعتباره معنى الأشياء التي تحدث وإفراغ ما نراه ونلمسه وندركه. وهكذا لم يعد لدينا علاقة بأي شيء. وعندما تحدث سارتر عن يديه – "يداي، ما يداي؟" – يعرّفهم على أنهم «المسافة الغيرقابلة للقياس التي تفصلني عن عالم الأشياء وتفصلني عنها إلى الأبد»،[16] وبالتالي يقوم بنبذ ما هو مرئي والجانب العارض للأشياء. فاستبعاد ما هو عارض، على سبيل

---

14 الأب لويجي جوساني، الحس الديني، كتاب سبق ذكره، صفحة ١٥٥.

15 ألان فينكيلكرو، الانسانية المفقودة. تحليل فكري حول القرن العشرين، ليبيرال، روما ١٩٩٧، صفحة ٨٨؛ وانظر هانا أرنت، أصول المذهب الشمولي، كمونيتا للنشر، ميلانو ١٩٩٦، ص ٦٤٥ و ٦٤٩.

16 راجع جان بول سارتر، الغثيان، دار إيناودي للنشر، تورينو ١٩٩٠، صفحة ١٦٦.

المثال، هو التأكيد على أن ما يحدث «يحدث لأنه يحدث»، وبالتالي تجنب الصدمة والحاجة إلى النظر إلى الحاضر، إلى حاضرًا معينًا، في علاقته بالشمولية.

وبالعكس من ذلك، فإن فكرة العلامة تُدخِل معنى الأشياء إلى الحياة بطريقة عملية.

فالسر (أي الله) والعلامة (أي الواقع العرضي بقدر ما يشير دائمًا إلى شيء آخر؛ فحتى الحجر الصغير جدًا، حتى يكون ذاته، يشير إلى مصدر الوجود)، والسر والعلامة، بمعنى معين، يجتمعان: بمعنى أن السر هو عمق العلامة، و العلامة تشير إلى وجود السر العميق، أي إلى الله الخالق والفادي، الله الآب. إذ تشير العلامة لأعيننا إلى وجود وحضور آخر، أي حضور السر العميق، بالنسبة لكل شيء، فهي تشير بهذا الحضور إلى أعيننا وآذاننا وأيدينا. إذ يتيح لنا السر أن نختبره من خلال العلامة.

والحساسية في إدراك كل الأشياء كعلامة على السر (أي الله) هي الحقيقة الهادئة للإنسان. إن ما يعارضها هو طغيان من في يده السلطة، مدفوعاً بأيديولوجية تنكر هذا الاعتبار الذي يعطيه الإنسان لشيء ما. وبالتالي حتى الوقائع والأحداث تصبح متقلبة في عرضيتها التي لا تملي أي تغيير في الحياة، ولم تعد تقترح أي شيء معبر في الحياة.

تميل الأيديولوجيا إلى تأكيد ما هو ظاهر على أنه شيء ملموس، والظاهر هو ما نراه ونسمعه ونلمسه فقط. لكن طريقة النظر الخاصة بالإنسان هي العقل، الذي (تركه كما هو) يستثمر اتصال الذات بما تصادفه وتوضيحه والحكم عليه، أي الاعتراف بالشيء الذي يشير إلى شيء آخر؛ ففي الواقع، لا يمكن للانسان أن يحكم إلا إذا كان هناك عمق يمكن تصوره.

إذن، يتفق السر والعلامة، بمعنى ما، ويتيح السر لنا أن نختبره من خلال العلامة. وعندما يكتشف المسيحي أن كل الواقع يتم بناؤه بواسطة طريقة الله هذه، فإنه يفهم بشكل أفضل قيمة الأسرار. إذ يأتي الواقع من الخالق، يحمل في طياته الإشارة إلى الخالق ويظهرها. و الواقع، في حميمية علاقتنا بالأشياء وفي إدراكنا لشيء آخر، ولكائن آخر.

ويختلف السر المقدس عن كل العلامات الأخرى. ففي الأسرار المقدسة التي أتى بها وأسسها المسيح، لإيلاد شعب جديد في العالم – يتدفق مثل النهر في مياه بحر الانسانية، باعتباره كشفًا أوليًا في التاريخ عن السر اللامتناهي الذي سيلتقي به الإنسان في آخر أيامه: إنها بداية الأبدية في التاريخ – في الأسرار التي أسسها المسيح، الانسان الإله والله الذي صار إنسانًا، يسوع الناصري (الذي أسسها واقترحها)، تصل

العلامة إلى نقطة التماثل الكامل مع السر. كما في سر القربان المقدس. لكن في جميع الأسرار المقدسة هنالك هذا المرجع الشمولي: إذ تتحد العلامة مع السر بالمعنى الصحيح. فالأسرار تجعل هذا حاضرًا: إبتداءً من المعمودية، التي هي التحول الكامل لكياننا، وإلى سر الإفخارستيا التي هي الملء المعبر عن هذا الاتحاد، ثم إلى سر التوبة، إلى التماثل مع الرسالة في سري الكهنوت والزواج. ففي السر المقدس، يتم غسل الإنسان من القشور الخارجية التي تبقيه سجيناً وتجعله يعيش كحيوان.

لذلك، نحن نعمل في حياتنا لصالح عدم انتصار المظهر على الاحتمال الذي تحيل إليه العلامة؛ فنحن نعمل لصالح لأخلاق جديدة ولأخلاق أكثر كمالًا التي يقول عنها يسوع: «لا تَظُنُّوا أنّي جِئتُ لأُبطِلَ الشَّريعَةَ وتَعاليمَ الأنبياءِ: ما جِئتُ لأُبطِلَ، بل لأُكمِّلَ».[17] إنه خلاص الإنسان: «لو لم ألتقي بك أيها المسيح، لما صرت إنساناً»، كما يمكن للمرء أن يقول. ثم يقول الخطيب ماريو فيتورينو: «عندما التقيت بالمسيح، أدركت أنني إنسان».[18]

إن الأسرار بطابعها المقدس هي الطريقة التي بها يهب السر ذاته، ويعطي ذاته للعدم، بخلق كونه وخلق الانسان والكون. إن الطريقة التي ينقل بها الله وجوده ويعطي بها كيانه ويشارك به في الأشياء هي الأسرار المقدسة: فتواصل السر يشير إلى طريق الأسرار المقدسة. فكل شيء هو علامة عنه، والحافة القصوى لهذا الطريق، وفقًا لتماثل بين الأشياء وبين معانيها، هو سر حضوره في العالم، لأن كل سر مقدس هو حضور في عالم المسيح الذي مات وقام من بين الأموات. و ما نسميه الكنيسة، أي جسد المسيح السري، هو ما يُولَد ويتغيَّر بقوة ونور وحنان المعمودية والأسرار الأخرى.

لقد تصور الله العلاقة مع الخليقة كعلاقة مع جيش هائل من العلامات: فكل شيء هو علامة عنه. وقد جاء المسيح ليخبرنا بذلك، لأن الله أراد كل شيء منا. لذلك، يمكننا إرجاع الواقع الذي صار علامة عن الله إلى رؤية المسيح. والمعاملة الحسنة للخليقة وحسن استخدامها تعني معرفة المسيح حتى نعرف الله. وهذه هي بداية التغيير داخل الانسان.

---

17 مت ٥: ١٧.

18 «عندما نعرف المسيح، نصير رجالاً ولم نعد أطفالاً» (جايو ماريو فيتورينو، شروحات لرسائل القديس بولس إلى أهل غلاطية وأهل فيليبي وأهل أفسس، الكتاب الثاني، الفصل الرابع، الآية ١٤).

ج) إن إلغاء قيمة العلامة يشير، من ناحية كسبب وكنتيجة من ناحية أخرى، إلى اختزال القلب إلى عاطفة.

فنحن نتبنى العاطفة بدلاً من القلب باعتبارها المحرك النهائي، وباعتبارها السبب النهائي لأفعالنا. ماذا يعني هذا؟ يعني أن نجعل مسئوليتنا عقيمة تحديداً باستسلامنا لاستخدام العاطفة باعتبار أنها تسود القلب، وبالتالي تقوم باختزال مفهوم القلب إلى مفهوم العاطفة. لكن على العكس من ذلك، يمثل القلب ويعمل باعتباره العامل الأساسي في شخصية الإنسان؛ فالعاطفة لا تفعل ذلك، لأن تصرفها الأحادي هو بمثابة رد فعل، فهي في الأساس عاطفة حيوانية. ويقول بافيزي: «لم أفهم بعد ما هي مأساة الوجود [...]. ومع ذلك هي واضحة للغاية: إذ ينبغي علينا التغلب على الانغماس الحسي، وأن نتوقف عن اعتبار حالتنا المِزاجية غاية في حد ذاتها». [19] فالحالة المِزاجية لها هدف آخر تمامًا كي تكون ذات وقار: فهي تهدف إلى حالة وضعها الله الخالق والتي من خلالها يتطهر الإنسان. بينما يشير القلب إلى اتحاد العاطفة والعقل. فهو يشير إلى مفهوم منفتح للعقل، أي إلى عقل بكل رحابته واتساع إمكاناته: فالعقل لا يستطيع التصرف بدون ما نسميها المحبة.

والقلب – باعتباره عقل ومحبة – هو الحالة التي يتحقق فيها العقل بطريقة سليمة. والحالة التي يكون فيها العقل عقلًا هي أن يمتلىء بالمحبة وبالتالي تحرك الإنسان بكامله. فالعقل والعاطفة والعقل والمحبة: هو قلب الإنسان.

٤) فساد التدين

لقد أردت الإصرار حتى الآن على حقيقة أن مفهوم الحياة التي نعيش بموجبها بطريقة ما، أي ما يلهمنا للتصرف بطريقة معينة أو لبلوغ نوع معين من التنوير لوجودنا وتعايشنا مع الآخرين يجد في العقل سلاحاً للهجوم والدفاع. فلا يمكننا أن نبدأ إلا من الحب للعقل ومن الثقة في العقل. وهذا ما جعلنا ندرك منذ بداية حركتنا قيمة العقل كأول شيء يجب إيضاحه.

كما أردت أن أؤكد موقف عالم اليوم، ذلك العالم الذي يعرِّفه يسوع بأنه «نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ». [20] فالكذب هو القول: «الله موجود، ولكن "الله كل شيء في كل شيء" هو شيء مجرّد». وهذا يعني رفضه في الأساس، لأن كل من

---

[19] تشيزاري بافيزي، حرفة العيش، يوميات ١٩٣٥ - ١٩٥٠. المفكرة السرية، بور، ميلانو ٢٠٢١، صفحة ٦٦.

[20] انظر ١ يو ٥: ١٩.

ينكرون أن «الله هو كل شيء في كل شيء» ينكرون الله. وهذا الوضع، الموصوف أعلاه، يميز الاتجاه الثقافي وبالتالي الاجتماعي وسياسة عصرنا. إن الأمر يتعلق بطريق طويل استطاعوا فيه ببطء ولكن بثبات، من ملء جميع العقول ببعض المفاهيم المسبقة كمبادئ ودلائل على أفعال سابقة التصور.

وفي نهاية طريق طويل من نسيان أن «الله هو كل شيء في كل شيء»، في قرننا الماضي، تؤكد المشاعر الدينية الخاصة بالطبيعة البشرية ذاتها بحرية عبثية مُفسِدة لذاتها، بالقضاء التدريجي على التدين السليم بالمسيح، وبالتالي على التدين الذي كان له في تاريخ الشعب اليهودي، بطريقة تثير الإعجاب، تجلياته وتجسيدًا لحقيقته وتأثيره النهائي. وكما قام أولئك الذين لم يقبلوا الله، الإله الواحد الذي خلق كل الأشياء، بمعارضة الشعب اليهودي كذلك فإن التدين الخاص بالمسيح يتعرض اليوم للمعارضة، والذي هو الوريث لكل ظاهرة غير مفهومة بشريًا للشعب اليهودي – إذ كان تاريخ الشعب اليهودي هو الترتيب النبوي لما سيوضحه المسيح بنفسه. هذا هو التدين الذي يمسنا. لذلك فإن الصراع في داخلنا هو بين تدين المسيح والتوراة والتقاليد المسيحية والتقليد اليهودي وإله المسيح الدجال.

ويكشف إنكار «الله هو كل شيء في كل شيء» عن وجود معاداة للمسيحية في تكوين الإنسان وبالتالي في تكوين المجتمع؛ إذ يؤدي إلى القضاء على الحس الديني الخاص بالمسيح والكنيسة وبالتالي للإنسانية الممتلئة به وتقبله.

وقد تم تسهيل سوء الفهم هذا في الكنيسة أيضًا، حيث تأثر رعاتها وشعبها من المعمدين بثقافة أخرى وتركوها تؤثر فيهم. ويمكن ملاحظة ذلك في الترويج الإرسالي نفسه، سواء فيما يتعلق بالفرد أو المجتمع. فالترويج الإرسالي، الذي هو في النهاية الهدف النهائي لوجود الانسان المسيحي وجميع التغيرات في المجتمع، قد وصل إلى طريق مسدود، وبلغ ذروته بانتقاد بعض المجامع المسكونية السابقة واللاحقة، والتي زعموا فيها بأن العمل الارسالي كان ضد حرية الإنسان، بينما هو الثمرة النهائية للأمانة والولاء للمسيح.

وفي رسالته إلى مسيحيي الغرب، التي لن تُقرأ وتُعاد قراءتها بما فيه الكفاية، كتب جوزيف زفيرينا، اللاهوتي البوهيمي الكبير، الذي أدانه نظام براغ لسنوات عديدة، وهو واحد من أكثر اللاهوتيين شرعية وللأسف لم يكن العديد من اللاهوتيين في الكنيسة من بين المدافعين عنه، في عام ١٩٧٠ : «أيها الإخوة، لديكم الزعم بأنكم تأتون بالنفع لملكوت الله بالتزامكم بقدر الإمكان بالمنهج وبحياته وبكلماته وشعاراته

وبطريقة تفكيره. لكن أرجوكم أن تفكروا، ما معناه أن تتقبلوا هذه الكلمة. هل تعني ربما أنكم ضللتم فيها ببطء؟ للأسف، يبدو أنكم تفعلون ذلك بالضبط. لقد أصبح من الصعب علينا الآن أن نجدكم ونميزكم في عالمكم الغريب هذا. ربما ما زلنا نتعرف عليكم لأنكم تستغرقون وقتًا طويلاً في هذه العملية، لأنكم تتمثلون بالعالم، ببطء أو بسرعة، ولكن دائمًا متأخرين. نشكركم كثيرًا في الواقع على كل شيء تقريبًا، ولكن يجب أن نختلف عنكم في شيء ما. نحن لدينا أسباب كثيرة للإعجاب بكم، وهذا هو السبب في أنه يمكننا ويجب علينا توجيه هذا التحذير لكم: «لا تَتَشَبَّهُوا بِهذِه الدُّنيا، [كما يقول القديس بولس] بل تَحَوَّلوا بِتَجَدُّدِ عُقولِكم لِتَتَبيَّنوا ما هي مَشيئَةُ الله، أَي ما هو صالِحٌ وما هو مَرْضِيٌّ وما هو كامِل». [«أي أن الله هو كل شيء في كل شيء»، كما نقول ونقترح].

«لا تتشبهوا! كما يُظهِر الجذر اللفظي والدائم في هذه الكلمة: النمط. باختصار، كل نمط وكل نموذج خارجي [الذي لا يأتي من الإيمان، والذي لا يُولَد من خبرة الإيمان] هو فارغ وخاوي. وكما يأمرنا الرسول بولس علينا أن نطلب المزيد: «أن نتغير بتجديد عقولنا!»[...]. وعلى النقيض من skhêma أو morphé – الشكل الدائم – نجد المتحول لشكل آخر metamorphé، أي تغير المخلوق [وكلمة skhêma أو morphé تعني شكل دائم وتؤكد على الشكل الدائم ؛ بينما تؤكد كلمة metamorphé على مُقّدر له أن يتغير والذي يتغير وينتج عنه تغير مستمر في المخلوق]. إنه- لا يتغير حسب- أي نموذج والذي دائمًا لا يتماشى مع ما النموذج السائد على أي حال ولكنه جديد تمامًا بكل غناه [كما هو المسيح]. إنه ليس تغير في المفردات، بل تغير في المعنى.

«[...] لا يمكننا الاقتداء بالعالم على وجه التحديد لأننا يجب أن نحكم عليه ليس بكبرياء واستعلاء، لكن بحب، تمامًا كما أحب الله الآب العالم ومن ثم أعلن دينونته عليه [بالمسيح، فدينونته هي المسيح. ويقول البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته العامة Dives in misericordia (الغوص في الرحمة) أن الرحمة في تاريخ الانسان لها اسم: هو يسوع المسيح. فدينونة الله هي الرحمة].

«ونكتب كأشخاصًا غير حكماء إليكم أيها الحكماء ونكتب كضعفاء إليكم أيها الأقوياء، كما نكتب كبؤساء إليكم أنتم الأكثر بؤسًا. وهذه حماقة لأنه بالتأكيد يوجد بينكم رجال ونساء ممتازون [فيكم بعض المتميزين الذين يبقون في الإيمان ولا يلهثون وراء المستجدات الدنيوية]. ولكن على وجه التحديد لأن هناك بعضهم، فمن الضروري

الكتابة بحماقة، كما علّم الرسول بولس عندما تناول كلمات المسيح، أن الآب قد أخفى الحكمة عن أولئك الذين يعرفون الكثير عن هذا».[21]

وهذا يفسر بالتالي كيف صار سهلاً في الكنيسة عدم فهم المشكلة: أي مشكلة التربية المسيحية، ومشكلة رسالة التبشير والخدمة ومشكلة التوبة، ومشكلة بناء الكنيسة. فكل هذه المشاكل تتطلب وتنطلق من التغيير الذي يجب أن يحدث داخل الإنسان: فمن خلال التغيير الذي حدث في أشخاص آخرين نصادفهم في حياتنا، يتم مساعدة المسيحي على إدراك التغيير في نفسه والتقدم فيه. فالمعجزة هي هذا التغيير للذات.

٥) التقليد والكاريزما

يجب على الكنيسة بكل مؤسساتها الحفاظ على الأمانة والولاء للمسيح وللتقليد بإدراكها حقًا ضرورة هذه الأمانة. وهذه هي النقطة الختامية لكل ملاحظاتي.

وينبغي على البيئة الكنسية أن تكون مدركة حقًا لما تعنيه الأمانة للمسيح وللتقليد للحفاظ عليها ودعمها، وللطريقة التي تعيش بها الذاكرة المسيحية حقًا- وليس ذكرى الأموات المساكين. ومن هنا تأتي الأهمية الأخلاقية للمشاركة في حركة كنسية كإنتماء إلى بيئة تكون فيها موهبة الروح التي تأتي من المعمودية ملموسة بأشكال واضحة ومقنعة. وموهبة الروح هذه تسمى كاريزما. لكنها ليست كاريزما إذا لم تعترف بها سلطة الكنيسة، أي البابا.

وهذه الدعوة للعيش بوعي الهبة التي تلقيناها لها عاقبة أخلاقية أولى متمثلة في الانتظار بكل استعداد القلب إلى بادرة الحركة: فالانتماء إلى الحركة والعيش ببساطة وسخاء هو ينبوع للنور وسند طوال حياتنا كلها ويقدم ويسهل ويضمن وجود عقلية مختلفة وإلتزام بأخلاق مختلفة. فالانتماء إلى الحركة باعتباره خبرة وجودية ملموسة لعيش العقلية الجديدة في المسيح والأخلاق الجديدة، تُدخلنا إلى حداثة الإيمان الذي يميل إلى الفشل في قلوب البشر لأن أولئك الذين يتحملون المسؤولية عنهم يخونون: إنها خيانة رجال الدين، كما قال جوليان بيندا وخيانة المثقفين – فالمثقف هو الذي يعلم ويربي، إنه الطبيب الذي يساعد ويتدخل.

لا توجد طريقة أخرى يمكن للروح من خلالها أن يصل إلينا بشكل أكثر بساطة وإقناعًا وقوة إلا في واقع حالي وفي سياق حالي.

---

[21] جوزيف زفيرينا، «رسالة لمسيحيي الغرب»، في كتاباته من أجل «كنيسة الرحمة»، رسالة سبق ذكرها، صفحة ١٧٧ وما بعدها.

وهذا لا يتعارض مع الطاعة التي ندين بها للأسقف أو لكاهن الرعية؛ بل على العكس من ذلك، إنه عامل يعطي إستنارة ودعم لهذه الطاعة؛ التي هي متأصلة في دينامية الأمانة والولاء للمسيح ولتقليد الكنيسة. إن الكاريزما (الموهبة) التي تعترف بها الكنيسة هي عطية روح المسيح التي تقود الإنسان إلى عيش المؤسسة بشكل متكامل، باعتباره المكان فيه المسيح حدثاً حاضراً. كما قال البابا يوحنا بولس الثاني: «لذلك توجد الحركة الأصيلة كروح مغذية داخل المؤسسة (الكنيسة). إنها ليست بنية بديلة لها. بل هي ينبوع لحضور يجدد باستمرار أصالته الوجودية والتاريخية».[22] فالكاهن الذي يعيش هذا الانتماء إلى الحركة بطريقة حيوية وذكية، بطريقته في العيش وتقوية الرعية بمساهمات من الآخرين، يجعلها جميلة وبسيطة.

وفي مناسبة أخرى، إتجه البابا إلى لب هذا الحكم: «في الكنيسة، سواء الجانب المؤسسي أو الجانب الكاريزمي [...]، هما أساسيان ويساهمان في الحياة والتجديد والتقديس لكن بطرق مختلفة».[23] فالكاريزما التي نتبعها بأمانة تقود إلى الأمانة والوفاء للمسيح بالأمانة للمؤسسات. فالكاريزما والمؤسسة هما عنصران أساسيان في تعريف الحياة المسيحية في الكنيسة والحياة الكنسية. لذلك، فإن الحركة الكنسية هي مثال يحتذى به وشهادة على ذلك، وهي مقنعة ومفيدة للحياة الرعوية في الأبرشيات والرعيات ذاتها.

يجب أن تصل طريقة عيشنا لهبة الروح القدس إلى شخصية كل واحد بشكل شامل. وحتى نُبقي ذلك ماثلاً أمامنا يدعو الروح القدس كل واحد إلى هذه الكاريزما أو إلى تلك الكاريزما الأخرى. فجميع الكاريزمات (مواهب الروح القدس) المعترف بها من الكنيسة المقدسة هي جوهرية للمؤسسة المسيحية.

يعيش الانسان الكاريزما حقًا بقدر ما يقارن حياته كلها بالمثل الأعلى للكاريزما ذاتها، كما يؤكدها أولئك الذين تعترف الكنيسة بهم كضامنين لها لحقيقة هبة الروح القدس؛ وإتباعهم هو طاعة نهائية تسعى إلى تجسيد الاقتداء بالمسيح والأمانة للكنيسة. وهكذا يتجلى الإيمان كمصدر دائم ومستمر للتجسد باعتباره الطريقة النهائية للسر (أي الله). وبما أن الرسالة موجودة وتعيش كشهادة حياة، فإن الإيمان المعاش هو فقط الذي يحقق الرسالة، لأن الإيمان المعاش هو فقط الذي يتغير، ومن هذا التغيير الذي يمكن لأي إنسان أن يصادفه

---

22 البابا يوحنا بولس الثاني، خطاب إلى الكهنة المشاركين في خبرة حركة «الشراكة والتحرر»، ١٢ سبتمبر ١٩٨٥، ٣.

23 البابا يوحنا بولس الثاني، خطاب إلى الحركات الكنسية المجتمعة من أجل الحوار الدولي، ٢ مارس ١٩٨٧، ٣.

ويشعر بصدمته يبدأ في اتباعه. وهذا يجعلنا نفهم كيف يقوم الإيمان بفتح الانسان على عقلية وأخلاق مختلفة، سواء في مواجهة العالم أو في الكنيسة نفسها كواقع انساني، وبالتالي معرضاً للتأثر بالسياق الموجود فيه.

إن ما يتغير فينا، بسبب تدخل الحركة في حياتنا وبسبب الالتزام الذي تتطلبه منا، يجب أن يبدأ بوعي وعقلانية، أي يجب أن تكون المعرفة هي مكان الحدث الأول، لأن كل شيء يفعله الإنسان يتوقف على الطريقة التي يتصور بها. لذلك، طريق المعرفة هو الذي يمكن أن يحد من أو يلغي التصور الذي ينقله إلينا العالم، حيث تُساء معاملة الله ولا يتم تأكيده كما يرغب في تأكيد ذاته، لأن الله يتأكد في المسيح. ونحن لا نستطيع معرفة السر (الله) إلا من خلال ما يخبرنا به المسيح. والكنيسة - هي مقارنة وليست تجديفًا - تدرك المسيح بمزيد من الوضوح والإقتناع وتدعم تحقيق الحياة من خلال الحركات الكنسية. فروح المسيح، الذي خلق الكنيسة وأرسلها إلى العالم، هو الذي يعزيها ويبنيها ويقويها بالمواهب: ويستخدم أشخاص معينين، من خلال هذه الكاريزما أو تلك، حتى تتجدد الكنيسة كلها وتُولد من جديد بوعي أمام عيون الجميع.

الإيمان بالله هو الإيمان بالمسيح

١) عقلية جديدة

ينفتح الإيمان على «عقلية مختلفة» عن تلك التي نتغلغل فيها كل صباح، عندما ننهض من النوم ونخرج من المنزل (ولكن في المنزل أيضًا): إنها عقلية مختلفة (العقلية هي وجهة النظر التي يبدأ منها الإنسان للقيام بجميع أفعاله) وبالتالي، هي «أخلاق مختلفة»، لأن الفعل الذي يحقق فيه الإنسان ذاته يمكن أن يكون أكثر أو أقل أو لا شيء على الإطلاق، في علاقته بمجمل الأشياء. وكما أن العقل هو الوعي بالواقع حسب مجمل عوامله، فإن الأخلاق بالمثل هي علاقة الفعل الفردي بمجموع العوامل التي ينطوي عليها الكون. كما قيل سابقًا، يلد الإيمان عقلية وأخلاقية مختلفة، سواء أمام العالم أو في الكنيسة نفسها كواقع إنساني، وبالتالي معرض للتأثر بالواقع الدنيوي.

«المسيح هو كل شيء في كل شيء»؛ دعونا نتناول هذه العبارة الموضوعية ونسأل أنفسنا ما هو تأثيرها على حياتنا. تعني عبارة «المسيح هو كل شيء في كل شيء» أن سلوك يسوع الناصري - أي موقفه في علاقته بالآب، بسر الآب، الذي بدأ بمعرفته للآب - يجب أن يكون له تأثير على حياة كل واحد فينا ويجب على كل إنسان الاقتداء به وطاعته.

مثل يسوع، كذلك يجب أن نكون أمام الآب. لذلك هذا هو الموضوع العام: «المسيح هو كل شيء في كل شيء» حتى «يكون الله هو كل شيء في كل شيء». إذن، الصيغة الموجزة التي يجب أن نطورها هي: الإيمان بالله هو الإيمان بالمسيح. وينبغي أن نرى كيف يؤثر المعنى القوي لهذا الإقرار على حياتنا. ولفهم ما يعنيه ذلك بالنسبة لحياة الإنسان والتاريخ البشري، يجب على كل واحد منا أن يعرف ويسعى للتمثل والاقتداء بيسوع المسيح واتباعه. فالتأثير الأول على حياة الإنسان الذي يحدثه الاقتداء بالمسيح (يجب أن يكون المسيح «هو كل شيء في كل شيء») هو عقلية جديدة ووعي جديد لا يمكن اختزاله واختصاره في أي قانون للدولة أو في عادة اجتماعية، بل هو وعي جديد كينبوع وصدى لعلاقة أصيلة وحقيقية بالواقع وبكل التفاصيل التي ينطوي عليها الوجود.

تعمل العقلية الدنيوية في الأفق الكلي لما يكبر معه الإنسان ويتعلم منه. تحل العقلية الجديدة محل تلك الدنيوية بكثير من الجهد

والنضال: فالوعي الجديد للمسيحي، المقتدي بالمسيح، يكون بكليته موضع تساؤل في مواجهة ما تقوله العقلية السائدة. ففي الواقع، تقوم العقلية السائدة بكل خداعها من خلال الادعاء بأنه يمكن للانسان أن يتحدث عن الله بدون الإشارة إلى المسيح. وهذا هو مبدأ العلاقة بالواقع الذي يحدد التناقض بين المسيح والعالم. كما قال نيافة الأسقف جاروفالو: «لقد دخل المسيح العالم في خلاف جدلي مع العالم».[24] أو بالأحرى: لم يدخل العالم «في خلاف جدلي» مع العالم، بل دخل العالم بكشفه لذاته ولسره وبإخبارنا به، لذلك من أجل مقترح: والعالم هو الذي يقف ضده.

إن زعم العقلية السائدة هو أنه يمكن للمرء التحدث عن الله بمعزل عن المسيح. ولكن فيما يتعلق بالسر (الله)، فإن ما نقله لنا السر ذاته، وما أُعطي لنا بالوحي هو الإنسان يسوع المسيح. فهذا الانسان هو خلاصة ومركز التواصل الكامل لذاته الذي أراد السر (الله) أن يصنعه مع الانسان. ولهذا السبب صارت الكلمة جسدًا. «يا فيلبُّسُ؟ مَنْ رآني رأى الآبَ».[25] إننا لا نستطيع معرفة الله إلا بالمسيح. «ما مِنْ أحدٍ رأى اللهَ. الإلهُ الأوحَدُ الّذي في حِضنِ الآبِ هوَ الّذي أخبَرَ عَنهُ».[26] وليس هناك معرفة بالسر، التي هي ليست تفسيرًا اختزاليًا للإنسان، إلا في ذلك الإنسان، يسوع الناصري، الذي اتخذ الله طبيعته البشرية ليخبر الإنسان عن ذاته ويتواصل معه كَسر. إنسان وسر: هكذا كان يسوع وهذا هو يسوع وهكذا سيكون يسوع. «المسيح [...] أمس واليوم وإلى الأبد».[27]

الإيمان، باعتباره موقفًا حقيقيًا يعيشه الإنسان تجاه الله، ليس إيماناً عامًا: إنه إيمان بالمسيح، علامة كل العلامات، والإنسان الذي من خلاله كشف لنا السر عن ذاته. لقد كان يسوع إنساناً مثل كل الآخرين، كان إنساناً بلا إمكانية استثنائية لتعريف الإنسان؛ لكن ذلك الانسان قال عن نفسه أشياء لم يقلها الآخرون، وتحدث وتصرف بطريقة مختلفة عن الآخرين. إنه علامة كل العلامات. وبمجرد أن عرفوا حقيقته وشعر به أولئك الذين صدمهم ادعائه ونظروا إليه وعاملوه، كعلامة لآخر ويشير إلى آخر (الله). كما هو واضح في إنجيل يوحنا، إذ لم يتصور يسوع انجذاب الآخرين له على أن المرجعية النهائية هي إلى ذاته، بل إلى الآب: وإذا كان لذاته فحتى يمكنه أن يقود ذلك إلى الآب كمعرفة وطاعة.

---

[24] راجع الأسقف سالفاتوري جاروفالو، الملكوت الذي ليس من هذا العالم، حياته وأفكاره، ميلانو ١٩٦٢، الصفحات من ٢٥ إلى ٣٣.

[25] راجع يو ١٤: ٩.

[26] أنظر يو ١: ١٨.

[27] عبر ١٣: ٨.

بهذا المعنى، يتفوق الإيمان بالمسيح على الحس الديني للعالم ويوضحه. ويكشف الإيمان موضوع الحس الديني الذي لا يستطيع العقل فهمه واستيعابه.

إن العقل وحده لا يستطيع فهم كل ما يقوله المسيح، لأن المسيح يوحي ويكشف عن الجديد وعن ما لا يمكن تصوره، ويكشفه بعد تعلق الناس به: «وما صنَعَ هُناكَ كثيرًا مِنَ المُعجِزاتِ لِعَدَمِ إيمانِهِم بهِ».[28] فقد وجد القليل من الإيمان؛ لذلك، فحيث لا يوجد استماع، فلا فائدة من الكلام. فالإيمان بالمسيح، كما يتضح من بداية الحدث المسيحي، هو معرفة حضور على أنه شيء استثنائي يدهشنا ثم نتبع ما يقوله عن ذاته. إنها حقيقة: إنها حقيقة جعلت ظهور المسيحية في العالم أمرًا ممكنًا. والآن، لا نريد شيئًا آخر سوى أن نعرف ما حدث ونعيشه، كما قال لورينتيوس إيريمايت في أوائل العصور الوسطى، عندما أوجز دافع وأسلوب حياته في هذه الكلمات: «ثم فهمت أنني سأقضي حياتي كلها في إدراك ما حدث. و"كلمتك" تملأني بالصمت».

إن الإيمان هو إدراك الحضور الاستثنائي والاندهاش والتأثر به بدون أي مقارنة مع الفرص الأخرى التي عشتها بالفعل والممكنة أيضًا في المستقبل، وقبول واتباع ما يقوله عن ذاته، لأنه إذا لم يقبل الانسان ذلك ويتبعه سيكون تناقضًا مع حكم الاستثنائية الذي أعطاه الانسان لذاته، أو الذي أُجبر على إعطائه. الإيمان إذن هو بادرة لها سبب كنقطة انطلاقها. والعقل ليس باعتباره قدرة أو ادعاء القدرة على وصف الله والتحدث عنه واستبدال الوحي ولكن العقل بقدر ما يؤكد أن السر (الله) هو حقيقة قائمة والتي بدونها لا يمكن للإنسان أن يلقي نظرة عقلانية على الواقع. وبعبارة أخرى، نقطة انطلاق الإيمان هي العقل كوعي بالواقع، أي بالحس الديني للإنسان.

فالإيمان هو حكم وليس عاطفة. إنه ليس شعورًا متقلباً يحدد وجود الله كما يشاء ويختبر التدين كما يحلو له. إنه حكم يؤكد حقيقة وحضور السر (أي الله).

إن الإيمان هو أمر عقلاني إذ أنه يزدهر في أقصى حدود الدينامية العقلانية مثل زهرة النعمة، التي يلتزم بها الإنسان بحريته. وكيف للإنسان الالتزام بحريته بهذه الزهرة التي لا يمكن فهمها كأصل وكعمل؟ فبالنسبة للإنسان، التمسك بحريته يعني القبول ببساطة ما يدركه العقل باعتباره استثنائيًا وخارقاً، بذلك اليقين الفوري، كما يحدث مع أدلة العوامل التي لا يمكن دحضها ولا تدميرها ومع لحظات الحقيقة وهي تدخل أفق شخصه. إنها ظاهرة تشكل جزءًا من

---

[28] راجع مت ١٣: ٥٨.

ديناميات الإنسان. فإدراك الواقع والوعي به له نتائج مختلفة تتوقف على العلاقات القائمة. فالحكم الصادق يولد من بساطة القلب. وهكذا الأمر مع حدث المسيح الذي نختبره في الحال كحدث استثنائي وخارق لأنه كذلك. وكي يمكننا استيعاب اختلافه، من الضروري أن يقبل العقل ببساطة على الفور، ويعترف بما يحدث وبما حدث باليقين الفوري في مواجهة كل دليل للواقع. لأنه أولاً وقبل كل شيء، قبل الحكم الذي يعطيه يوحنا عن هذا الرجل والذي يعطيه بطرس عنه، وقبل حكمهم واتباعهم له، هناك أولاً هذه البساطة، هناك هذا القلب البسيط وهذه العيون البسيطة وهذا التوتر وهذه الرغبة البسيطة المنفتحة للتلقي، أي في إمكانية التلقي بوضوح ما قابلوه، أي جانب الواقع الذي صادفوه.

وفي هذا الصدد، يكتب الكاردينال راتسينجر، المدافع العظيم عن الإيمان في هذه الأزمنة الشريرة: «إن إحدى وظائف الإيمان، وليست من أكثر الوظائف غير ذي صلة، هو استعادة العقل كعقل، بعدم استخدام العنف ضده، وبعدم البقاء غريبًا عنه، بل يعيده مرة أخرى إلى نفسه. ويمكن لأداة الإيمان التاريخية أن تحرر العقل على هذا النحو مرة أخرى، بحيث يمكن للعقل – الذي يوضع على المسار الصحيح بالإيمان – أن يرى بنفسه [...]. فالعقل لا يشفىَ بدون إيمان، لكن الإيمان بدون العقل لا يصير إنسانيًا [...]. كيف للإيمان أن يظل ناجحاً؟». إن حقيقة وجود شباب، واعين ثقافياً ويؤمنون، لا يمكن إلا أن يطرح هذا السؤال. «أود أن أقول» – يجيب الكاردينال راتسينجر – «لأنه يجد توافقاً في طبيعة الإنسان [...]. ففي الإنسان هناك رغبة في اللانهائي لا تنطفئ. ولا تكفي أي من الإجابات التي بحثوا عنها. إنه الله فقط الذي جعل نفسه محدودًا لكسر محدوديتنا وقيادتنا إلى بُعد لانهائيته هو الوحيد القادر على تلبية احتياجات كياننا».[29]

إن المذهب العقلاني في العصر الحديث بفقدانه الطبيعة الحقيقية للعقل، جعل من الخلط بين الحس الديني والإيمان أمراً معتاداً، وبالتالي إخلاء الإيمان من طبيعته الحقيقية. وهذه هي الحجة التي تشير في معظمها إلى الأصل وتلخص وثائق كل المعاناة التي يعيشها العالم الحديث من وجهة نظر علاقته مع الله والتاريخ الديني للانسانية. فالمذهب العقلاني الحديث الذي يفرض نفسه على إنسان اليوم وفي مجتمع اليوم كمعيار مميز يجعل الخلط بين الحس الديني والإيمان أمرًا عادياً، وينكر حتى الطبيعة الحقيقية للإيمان، وهي

---

[29] الكاردينال جوزيف راتسينجر، الإيمان واللاهوت في أيامنا، في موسوعة المسيحية، دي أجوستيني، نوفارا ١٩٩٧، صفحة ٣٠.

طبيعة حكم تتحد فيه الحرية: وتُكمِل المحبة مضمون ومحتوى هذا الحكم.

أما الخلط بين الحس الديني والإيمان يجعل كل شيء مشوشًا. وانهيار الإيمان بطبيعته الحقيقية، كما هو الحال في التقليد الكنسي، أي في حياة الكنيسة، وانهيار الإيمان باعتباره اعترافاً بأن «المسيح هو كل شيء في كل شيء»، وباعتباره تكيفًا حياتياً مع المسيح وإقتداءً به، هو أمر أثار بلبلة حديثة تكشف عن نفسها في جوانب مختلفة ومحددة. لنوضح بالتفصيل الآن هذه الجوانب التي، من خلال وصف بلبلة العصر الحديث يمكن الكشف عن مشقات الجميع وأخطائهم.

٢) إيمان مُفرغ: الخمسة «بدون» للمذهب العقلاني الحديث

أ) يمكن تلخيص النتيجة الأولى للمذهب العقلاني في صيغته: الله بدون المسيح. بأنه إنكار لحقيقة أنه من خلال المسيح فقط يمكن لله، السر، أن يكشف لنا عن حقيقته. «الله بدون المسيح»، أو المذهب الإيماني: وهذا يميز جميع المواقف التي، من خلال التخلص على عقلانية الإيمان، تدَّعي تعريف الله على أنه عبادة أصنام معينة، أو شعور أو موروث من تقليد عرقي أو ثقافي معين، أو محدد من واقع خيال الانسان أو بفكره. إن المذهب الايماني يفرغ الإيمان بأساليب وحجج عقلانية شكلية أساس كل الخبرة المسيحية وأساس التوبة الروحية في حياتنا، والحس الديني بالله الذي لدينا وأساس كل اجتهادنا الأخلاقي.
ب) والنتيجة الثانية: المسيح بدون الكنيسة. إذا كان الجانب الأول يمكن التعرف عليه بالمذهب الإيماني، فإن الجانب الثاني، الذي يترتب عليه في الحال، يمكن تسميته بالمعرفة الروحية، أي مذهب الغنوصية، بمختلف أشكالها.

إذا ألغينا من المسيح حقيقة كونه إنساناً وإنساناً حقيقياً وتاريخياً، فإننا نلغي إمكانية وجود الخبرة المسيحية ذاتها. فالخبرة المسيحية هي خبرة إنسانية، لذلك فهي تحدث في الزمان والمكان مثل أي واقع وفي الواقع المادي أيضاً. فبدون هذا الجانب المادي، تفتقر خبرة الإنسان للمسيح إلى إمكانية التحقق من معاصرته، أي حقيقة ما قاله عن نفسه. وفي محيط متأثر بالفكر العقلاني، يتم احتقار الواقع المكون من الزمان والمكان كمصدر لخبرة المعنى النهائي للإنسان: وأن المعنى النهائي للإنسان لا يدخل في الخبرة الحياتية اليومية للانسان.

لا يمكننا أن نفكر في المسيح بدون تلك الواقعية؛ وإلا صار ذلك إختزالاً وتغييرًا لما قاله المسيح عن نفسه ولما هو المسيح، كَكاشف

لـلوحي، في يـدي الله. ويـؤكـد تـرتـليانـوس: «Caro cardo salutis» («الجسد هو مفتاح الخلاص»).[30] فمقدمة الخلاص ومحوره هما في الجسد: إذ يدخل الله بالمسيح في الخبرة الإنسانية. وبالتالي Caro cardo salutis يعني أنه إذا كان مفتاح الخلاص هو في الجسد وإذا كانت المقدمة ومحور الفداء هما في الجسد (المسيح يموت ويقوم من جديد من بين الأموات)، فالله، باعتباره المسيح وطبيعة المسيح وبطبيعته الخاصة «تملك» يسوع الناصري، يدخل في الخبرة الإنسانية: فيدخل الله بالمسيح في الخبرة الانسانية.

إن إستبعاد الطبيعة الجسدية المُتضَمنة في كل خبرة إنسانية، وأيضاً في خبرة يسوع المسيح، يضعه – ويضع الكنيسة – في شكل تجريدي وإختزاله في أحد النماذج الدينية العديدة. يكتب لنا مرة أخرى الكاردينال راتسينجر: «إن تحديد هوية شخصية تاريخية واحدة، مثل شخصية يسوع الناصري، بالواقع نفسه [فالواقع هو الكينونة والوجود، ولذلك الموضوع هنا هو تحديد هوية يسوع الناصري بالسر (الله)، وأصل الواقع نفسه]، أي، بالله الحي، تم رفضه باعتباره إرتداد إلى الأسطورة؛ وتم اعتبار يسوع شخصية نسبية بشكل صريح كواحد من العباقرة الدينيين العديدين. فما هو مطلق، أو من هو المطلق، لا يمكن وجودهم في التاريخ، حيث لا توجد سوى نماذج فقط وشخصيات مثالية تحيلنا إلى الآخر تمامًا، والذي لا يمكن فهمه على هذا النحو في التاريخ».[31] يؤكد المذهب العقلاني «بشكل عقائدي» أن المسيح الله، كما هو، لا يمكن إدراكه في مادية الإنسان، أي في التاريخ (الذي يقود مجريات أحداثه على العكس من ذلك هو السر «الله»).

لذلك فإن عدم إمكانية قبول المسيحية في عالم اليوم مرتبط بهذا الإنكار: إذ لا يمكن أن يكون يسوع هو الله، لأنه لا يمكن التحدث عن الله المتجسد. وهذا هو استبعاد للمسيحية، التي لا يمكن أن توجد في تفسير يحد من طبيعة وعواقب هذا التأكيد الهائل: إن الله صار إنسانًا. ولهذا السبب «يسوع» هو الدعاء الذي يدركه ويتعرف عليه بهدوء الانسان من عامة الشعب والانسان البسيط والانسان في بساطته: إنه يتضرع ليسوع. ومع ذلك، إذا لم نضع في اعتبارنا أن يسوع هو المسيح وابن الله والإنسان المكرَّس، المُقدَّر له كطبيعة وكأصل، أن يكون جزءًا من سر الله، يصبح التضرع «ليسوع»، أو المودة له فارغة (بلا مضمون): ويسوع كإنسان لا يصبح «مكان» الجاذبية التي تنفتح بشكل غير متوقع وبشكل لا يمكن تصوره، على اللامحدود.

---

30 القديس ترتوليانوس، عن قيامة الجسد، ٨، ٣.

31 الكاردينال جوزيف راتسينجر، «الإيمان واللاهوت في أيامنا»، في موسوعة المسيحية، عمل سبق ذكره، صفحة ٢٤.

و«قبول» بطرس هو عكس ذلك. إذ يستند «قبول» بطرس إلى الجاذبية والعاطفة التي أثارها يسوع في جسده. فقد كان إنساناً أمام يوحنا وأندراوس اللذين تأثرا بلقائهما به.

ويقول القديس برناردوس: «إن ما كان يعرفه بالطبيعة منذ الأزل تعلمه بالخبرة الانسانية».[32] إنها عبارة موجزة بوضوح عن يسوع «الله الذي صار إنساناً». المسيح، ما عرفه بالطبيعة الإلهية منذ الأزل، تعلمه بالخبرة البشرية. لذلك، علينا الانطلاق من الخبرة الانسانية ليسوع من أجل الوصول إلى حيث أراد أن يقودنا، أي إلى طاعته للآب وطريقته في النظر إلى الأشياء وتقديرها وإلى طريقته في تأكيد جمالها وصلاحها، لأنه، كما قال سفر يشوع بن سيراخ، «إِنَّ جَمِيعَ أَعْمالِ الرَّبِّ صالِحة فيَسُدُّ كُلَّ حاجَةٍ في ساعَتِها».[33] إنه بالانطلاق من الخبرة الانسانية ليسوع يمكننا أن نصل إلى الاقتداء بالمسيح كطاعة للآب وطاعة للسر.

ج) الجانب الثالث للتأثير الذي أحدثه العالم العقلاني حتى داخل حياتنا الكنسية، فرديًا أو جماعيًا، هو كنيسة بلا عالم. يتم الاعتماد هنا على الإكليروسية والروحانية باعتبارهما إختزال مزدوج لقيمة الكنيسة كجسد المسيح.

تقوم الدولة بتحديد الحياة الدينية المسيحية بطريقة أحادية الجانب، والتي تُسمى أيضًا «الإكليروسية». وهكذا نعيش التدين المسيحي في إطار من القواعد القانونية (الفريسية)، حيث نصبح عمليًا أتباعاً للسلطة (مدنية أو سياسية أو دينية). وفي زمن يسوع، كان الفريسيون (السلطة الدينية) والرومان (السلطة السياسية)، واليوم لدى السلام الروماني ميول أخرى ويركز على أسماء الأمم الأخرى. ولكن، اليوم كما كان في ذلك الزمان، يتم قبول جميع الأديان، طالما أنها تنطوي على عبادة الإمبراطور، وتوقير السلطة الحاكمة.

لهذا السبب نشعر بسخرية بيجي Péguy التي يعرف التحدث بها عن الحقيقة التي يعيشها، والتي يحاول التأقلم معها: «وهكذا نُبحِر دائماً بين إثنين من الرعاة، ونناور بين مجموعتين من الرعاة: الرعاة العلمانيون والرعاة الكنسيين؛ و الرعاة الاكليروس المناهضون للاكليروس، والرعاة الاكليروس المؤيدون للاكليروس؛ والرعاة العلمانيون الذين ينكرون أبدية الزمني ويريدون تفكيك وفصل الأبدي عن الزمني من داخل الزمني؛ والرعاة الكنسيون الذين ينكرون زمنية

---

[32] «ما تعرفه الطبيعة منذ الأزل تعلمته بالخبرة الزمنية»، القديس برناردوس دي كيارافاللیه، رسالة في درجات التواضع والكبرياء، الفصل الثالث، فقرة ٦.

[33] سيراخ ٣٩: ٣٣، ١تيمو ٤: ٤.

الأبدي، والذين يريدون فك وفصل الزمني عن الأبدي، من داخل الأبدي. وبالتالي كلا المجموعتين ليسوا مسيحين على الإطلاق، لأن أسلوب المسيحية ذاته وأسلوب وآلية تصوفها، والتصوف المسيحي هو ذلك؛ هو إرتباط جزء من آلية بآخر؛ وهو هذا الاتحاد لجزئين وهذا الارتباط الفريد؛ والمتبادل؛ والفريد من نوعه؛ والذي لا يمكن تفكيكه: ولا يمكن التغلب عليه؛ [الواحد والآخر] الواحد في الآخر والآخر في الواحد، للزمني في الأبدي (ولكن قبل كل شيء، ما يتم إنكاره في غالب الأحيان) (وهو أروع شيء في الواقع) والأبدي في الزمني».[34]

لكن على العكس من «كنيسة بلا عالم!»، كما يؤكد لنا القديس أغسطينوس، أن الكنيسة هي العالم الذي تصالح مع الله: «Reconciliatus mundus، Ecclesia».[35] وحتى يتجدد العالم، يجب على سر المسيح، في حضوره الزمني، دخول العالم بطريقة فعالة وفق كل جوانبه، تمامًا كما تضمنت قيامة المسيح خلاص جميع العوامل الإنسانية الفاعلة. فقيامة المسيح هي خلاص الإنسان على هذا النحو، ولجميع البشر.

يضع «المذهب الروحاني» الإيمان جنبًا إلى جنب مع الحياة؛ وبالتالي لم يعد الإيمان سببًا منيرًا وقوة فاعلة في الحياة. فكل الروحانيات يمكنها فقط التحدث عن قيامة المسيح بطريقة عاطفية: بالتعبد لذكرى، وليس ذاكرة لحضور. وبالتالي، لم يكن المسيح قد قام كجسد حقيقي: والقيامة ليست أمراً حاضرًا، ولم يبدأ الخلاص بالفعل (لذا فإن الحياة الحالية هي الكشف عن البذرة الأولي التي هي المسيح القائم من بين الأموات). والطريقة العاطفية التعبدية التي نعامل ونختزل بها قيامة المسيح هي أخطر وأبرز أعراض المذهب الروحاني في تأثيره على الناس وعلى الكنيسة بأسرها. فإذا لم تكن القيامة حاضرة، فلا يمكن أن يكون الخلاص حاضراً بالفعل وتكون قيامة المسيح بمثابة نقطة تتحدث عن المستقبل، أي عن مستقبل أخروي مجهول محفوظ للحظة الأخيرة التي ينتهي فيها التاريخ.

ويقول لنا بيجي Péguy في ملاحظته الحادة: « إن المادية لها سحر غامض، لكنه سحر ليس خطيرًا على الإطلاق. [...] فهو غير قادر على الإساءة بسبب غلظته. [...] إن التصوف المضاد مختلف تمامًا، ذلك الذي ينكر زمنية الأبدي، وهو بالتالي معادٍ للمسيحية. [...] وإنكار السماء يكاد من المؤكد أن لا يكون شيئاً خطيرًا. إنها بدعة وهرطقة بلا مستقبل. أما إنكار الأرض، من جانب آخر، فهو أمر مُغرِي. فهو في البداية ليس بالشيء الهين. ويعتبر ذلك أمراً أسوأ. [...]

---

[34] شارل بيجي، هو هنا، بور، ميلانو ٢٠٠٩، ص ٩٢.

[35] القديس أغسطينوس، «العظة رقم ٩٦، ٧،٨»، في مجلد العظات.

ويقودنا ذلك إلى هذه الروحانيات والمثاليات واللا ماديات وأشكال التدين ومذهب وحدة الوجود والفلسفات التي يكتنفها الغموض وتعتبر خطيرة للغاية لأنها ليست غليظة وخشنة. [...] فانكار البعد الزماني والمادة والغِلظة والنجاسة، أي إنكارها وإنكار البعد الزماني هو غاية الغايات: التي هي الكائن النقي والنقاء والكائن النقي السامي».[36]

إن تصورنا للخلاص «من بعده الأخروي» يقتصر فقط على اليوم الأخير. وبهذه الطريقة، نقوم بتفريغ الخلاص من كل ما هو إنساني كما يُعرِّفه الإيمان، لأن الإيمان يعلن ويسعى إلى تحقيق و يقوم، بقدر المستطاع، بتحقيق خلاص الحاضر. فإن اقتصر الخلاص على نهاية الزمان، لتسبب ذلك في تدمير عقلانية الإيمان في الواقع، أي طبيعته الانسانية، والانسانية الملموسة في علاقتنا مع المسيح، وأخيرًا، السبب نفسه الواقف وراء وجود الكنيسة في العالم، و«من هو» المسيحي في العالم. وبذلك ربما لا تصبح الكنيسة هي البطلة، بل متملقة ومداهنة للتاريخ الثقافي والاجتماعي والسياسي. ولن يعيش الفرد المسيحي انتماء حقيقي، بل انتماء لأغراض إحصائية وأعمال تطوعية، أي التجانس الذي تحدثنا عنه دائمًا.

وبذلك يتم إلغاء حقيقة أن المسيحية هي إعلان عن واقع جديد بشكل عميق، والتي تحوي في ذاتها الطبيعة الانسانية كاملةً بتصميم إضافي على مستوى آخر، أي على مستوى غير متوقَّع ولايمكن توقعه ولا يمكن فك شفرته، وبالتالي هو غير قابل للتطبيق على الفور بوعي الإنسان المعتاد. فبهذه الطريقة يتم تدمير طبيعة الكيان المسيحي بمنظومة أخلاقية تُفهمْ على أنها وعي واستخدام للواقع تبدأ من مفهوم عن ما هو الإنسان ومن طبيعة كيان إنسانية لم تتأثر بالرسالة المسيحية (كما يظهر اليوم، على سبيل المثال، من مفهوم البعد السياسي المنفصل عن التدين المسيحي). بما أن طبيعة الإنسان يتم خلاصها بشيء أعظم منه – حيث يكون الإنسان كاملًا، والإنسانية كاملة، ولكنها تحمل قوة ذات لا يمكن مقارنتها، وأعظم بلا حدود –، بالمثل، المفهوم الأخلاقي، الذي ينشأ كتطبيق لطبيعة كيان، يتم خلاصه من خلال طبيعة الكيان الخاصة بالخطاب المسيحي، لأن الخطاب الذي جاء به المسيح هو طريقة أخرى للتفكير في الواقع وتصوره وعيشه. ومن ناحية أخرى، فإن الأخلاق المستمدة من المذهب الطبيعي والمذهب العقلاني تصبح مدمرة للأخلاق التي تُولد وتنبع من

---

[36] راجع شارل بيجي، فيرونيك. حوار التاريخ والنفس الجسدية، عمل سبق ذكره، ص ١٢١-١٢٣.

طبيعة كيان الخطاب المسيحي، الذي هو الإعلان عن كيان جديد، وهو الإنسانية الجديدة، إنسانية جديدة.

يعيدنا هذا التدمير إلى الدولة الحاكمة، في نسختها من منظومة رجال الدين. كما يكتب بيجي: «أولئك الذين ينأون بأنفسهم عن العالم»، و «أولئك الذين يأخذون نصيبهم من خلال خفض العالم، لا يرفعون أنفسهم. وبما أنهم لا يمتلكون القوة والنعمة ليكونوا من الطبيعة، فإنهم يعتقدون أنهم يتمتعون بالنعمة. [...] ولأنهم لا يملكون الشجاعة الدنيوية، فهم يعتقدون أنهم دخلوا بالفعل في تغلغل الأبدية. ولأنهم لا يملكون الشجاعة ليكونوا في العالم، فإنهم يؤمنون بأنهم من الله. وبما أنهم لا يملكون الشجاعة ليكونوا من أحد الأحزاب البشرية، فهم يعتقدون أنهم من حزب الله. ولأنهم لا يحبون أحدًا، فهم يؤمنون بأنهم يحبون الله».[37]

د) من «كنيسة بلا عالم»، عالم بدوني: هذا هو الرابع «بدون» نجمع فيه أفكارنا حول الوضع في عالم اليوم. وكما لاحظنا، الكنيسة بدون عالم تصبح «منظومة رجال دين» - بفرض قوانين ثابتة لكل تفاصيل الحياة، والتي تميل إلى وصف الموقف الذي يجب اتخاذه في كل ظرف، وذلك لتحديد جميع جوانب حياة الإنسان، كما هو الحال اليوم - إما «روحانية» - أي أن «كنيسة بلا عالم»، في الواقع، تعني «الكنيسة جسد المسيح» و «المسيح» بدون الواقع اليومي الذي تنغمس فيه «الذات» الانسانية وتتشكل: وبهذا المعنى، تظل كنيسة مجردة أو تصورًا مجردًا للحياة. لكن إذا كانت الكنيسة بدون العالم، فإن هذا العالم يميل إلى أن يكون بدون الذات: أي يكون اغتراب. فالاغتراب يكون خاصية هذا العالم ونتيجته - المتوقعة أو الغير متوقعة، المرغوبة أو غير المرغوب فيها، المطلوبة عادةً من السلطة، ومن أولئك الذين لديهم سلطة ثقافية في لحظة معينة.

وهكذا، باختصار، ينتهي الأمر بالعالم إلى كونه محيط الوجود الذي تحدده السلطة وقوانينها. بينما العالم هو المكان الذي يحقق فيه المسيح زمنياً فداء الإنسان والتاريخ. وفي حالة الانقسام أو في التناقض العقلاني، ينحصر العالم في دائرة الوجود التي تحددها السلطة وقوانينها التي تصبح أدوات للعنف. فقبل بضع سنوات، كان هناك تدخل من قاضٍ شدد على مبدأ الشرعية باعتباره «مطلقًا»، مؤكداً أن موضوع عيد الميلاد لا ينبغي أن يكون المسيح، بل الشرعية ونظام الدولة. وهذا يذكرنا بمقطع ميلوش الذي تأملنا فيه مرات كثيرة: «لقد نجحنا في جعل الإنسان يفهم / أنه إذا كان يعيش، فهو فقط بفضل نعمة

---

[37] شارل بيجي، إنه هنا، كتاب سبق ذكره، الصفحات ٤٨٥-٤٨٦.

الأقوياء. / إذن فكر في شرب القهوة وصيد الفراشات. / فمن يحب الشأن العام ستقطع يده».[38]

فالعاقبة الواضحة والنهائية لهذا: هو فقدان الحرية. فالعاقبة النهائية للوجود الذي تحدده السلطة وقوانينها هو فقدان الحرية أو إهمالها أو إلغائها بطريقة لم يتم الإعلان عنها نظريًا، ولكن تم تنفيذها فعليًا: وبما أن الحرية، في أي حال من الأحوال، هي وجه الذات البشرية، فالأمر يتعلق بفقدان الشخصية الإنسانية. وهو ما نسميه تحديداً بالاغتراب.

«العالم الموضوع في الأكاذيب» هو ذلك الذي قال يسوع بعدم الصلاة من أجله؛ إذ لم يستطع يسوع ألا يصلي من أجل العالم كخليقة تنتظر الخلاص؛[39] إنه لم يصلي من أجل «العالم»[40] لأنه واقع تحت هيمنة ويسمح لنفسه بالوقوع تحت هيمنة مفهوم آخر لأنه مليء بالأكاذيب: «أتعتقدون أنه سيظل هناك إيمان على الأرض عندما يأتي ابن الإنسان؟».[41] إن هذا « العالم» هو العالم السلبي والمنفر، وفيه يتم تنكر الذات وتغريبها، حيث معاني الحياة والزمان والمكان والعمل والمودة والمجتمع لا تُولد من الانتماء إلى المسيح من خلال الانتماء إلى الكنيسة، بل من ثقافة أخرى؛ ثقافة تستقي بداياتها وتحاول تطويرها إلى درجة تحديد وجه الهدف النهائي، من «طبيعية» تستبعد (لأنها «صعبة للغاية») أو تناقش (لأنها «غير واضحة» أو لأنها «تريد أن تتحرر» بالمعنى الغريزي) سر الله الذي صار إنساناً، حدثه الحالي. تسود تلك الطبيعية وتهيمن على العالم الثقافي الذي نعيش فيه.

إنه الانتماء للمسيح من خلال الانتماء إلى كنيسته وليس إلى المجتمع وليس إلى الدولة، وهذا هو أيضًا أصل التصور الذي ينبغي أن تكون عليه سياسة تقول على نفسها بأنها مسيحية أو يمكننا القول بأنها مسيحية .

هـ) إن هذه الأنا المغتربة، هي أنا بدون الله . والأنا بدون الله هي ذات لا يمكنها أن تتجنب الملل والغثيان. لذلك تدع نفسها تعيش: ويمكنها أن تشعر بأنها جزء من الكل (وحدة الوجود) أو بأنها فريسة لليأس (انتشار الشر والعدم: العدمية).

---

[38] شيسلو ميلوش، «نصائح»، أشعار، أديلفي، ميلانو ٢٠٠٠، ص ١١٦.
[39] يو ٣: ١٦ وما يليها من آيات.
[40] يو ١٧: ٩.
[41] لو ١٨: ٨.

«ليس هناك ما هو أبعد عني» كما يقول كلوديل «من تصور وحدة الوجود، وفكرة الغرق في عالم يذوب فيه الانسان باستمتاع [يبدو تعريف للعصر الجديد]. لقد كان هذا التصور غريبًا عني على الدوام؛ إذ لدي شعور قوي جدًا بشخصيتي، والشعور بأنني لم أُخلق حتى يتم ابتلاعي ضمن مجموع الأشياء، بل لأسيطر عليه وأنتزع منه المعنى الذي يمكن أن يكون لديه».[42]

٣) الأخلاق الجديدة

إن الجوانب الخمسة لبلبلة العصر الحديث التي أوضحناها، والتي جاءت نتيجة لانهيار الإيمان بطبيعته الحقيقية تفسر لنا أو بالأحرى يجب عليها أن توضح لنا أيضاً سلوكنا الحياتي حتى تكون موضوعات لفحص ضمائرنا بدوافع حقيقية («بَلْ قَدِّسوا المَسيحَ في قُلوبِكُم وكَرِّموهُ رَبّاً، وكونوا في كُلِّ حينٍ مُستَعِدِّينَ لِلرَّدِّ على كُلِّ مَنْ يَطلُبُ مِنكُم دَليلاً على الرَّجاءِ الّذي فيكُم»).[43]

لقد رأينا ما يمليه علينا الإيمان بالمسيح كملاحظة للعالم الذي نعيش فيه وإمكانية إعادتنا إلى الحرية فيه، لنجعل أنفسنا قادرين على الوضوح والاتساق مع أنفسنا مرة أخرى. إذ أن تبعات الوضع الذي نحن فيه هي مريرة في الواقع. لهذا أوجزت الجوانب الخمسة في أمثلة: «الله بدون المسيح» و «المسيح بلا كنيسة» و «كنيسة بلا عالم» و «عالم بدوني» و«أنا بدون الله». نريد الآن أن نرى بإيجاز كيف أن الإيمان بالمسيح لا ينتج عقلية جديدة فقط، بل أخلاقًا جديدة أيضًا.

يقول الكتاب المقدس: «أمَّا البارُّ فبِإيمانِهِ يحيا».[44] كيف يؤدي الإيمان، كمصدر للقوانين الأخلاقية، إلى ظهور أخلاق جديدة؟ كيف تنشأ أخلاق جديدة من الانتماء للمسيح المُعاش في الكنيسة؟ يطيب للعالم إستخدام مصطلح «عدالة» لتعريف الأخلاق. إن الاغراء بهذا المعنى هو أمر سهل، حيث نعني بالعدالة القيم الموضوعة وفقًا للمصلحة الشخصية. فالأخلاق الجديدة التي تنبثق من الحدث المسيحي هي الاعتراف المُحِب لحضور مرتبط بالمصير النهائي للانسان. ثم يفهم الانسان وينضج ويبقى في هذا الحضور الذي يستمر. والأخلاق الجديدة هي الاعتراف المُحِب لحضور مرتبط بالمصير الذي يستمر في التاريخ. فكل التاريخ السابق يعطي قوة لهذا الدليل – لأنه

---

[42] ب. كلوديل، مذكرات ارتجالية، جاليمار، باريس ١٩٥٤، ص ٢٩٠.
[43] ١بط ٣: ١٥.
[44] حبق ٢: ٤ ؛ روم ١: ١٧.

دليل! -. فبناءًا على دليل تأتي كلمة «نعم» لبطرس وتتشكل (لتصير إتباعاً كاملاً للمسيح).

بذلك المعنى، فإن كلمة «محبة» هي التي تحدد مفهوم العدالة المسيحية. ففي المحبة، يتم تحديد القيمة الحقيقية للانسان في نهاية المطاف، وتوافقه مع الكائن بذاته (الله): فإذا تعاملت الزوجة مع زوجها دون أن يكون لها هذا المنظور، على الأقل ـ ضمنيًا، فإنها لا تستطيع معاملته معاملة حسنة؛ وإذا نظر الابن إلى والديه دون هذا المعنى، فإن العلاقة لا يمكن أن تسير على ما يرام. إنها المحبة كتوافق مع الكائن بذاته (الله): والنظر إلى الآخر على كشرط للعلاقة التي نتصورها كتوافق مع الكائن بذاته (الله) وشخص الآخر كتوافق مع الكائن بذاته (الله). وكما قال يسوع ليهوذا: «اَفعَلْ ما جِئتَ لَه. يا صاحِبي!».[45] هذه هي عدالة الله، وهي جزء من السر (الله). فالمحبة والعدالة تتطابقان وفي السر (الله) هما شيء واحد، حتى لو كانت الكلمتين، كل واحدة على حدة، صحيحة.

لكن عدالة الله ليست عدالة البشر (لأن محبة يسوع تختلف عن محبة البشر): إنها تُحدِث تغيير. ويُحدِث عدل الله بالمحبة المعترف بها باعتبارها الكلمة السامية المُعَبِرة عن موقف الله تجاه الإنسان والإنسان تجاه الله تغييرًا جذريًا، أي أنه يمتد إلى جِذر القلب ذاته: «الإنسان ينظر إلى المظاهر والله ينظر إلى القلب»،[46] وعدله ـ لا ينحصر ولا يبقى حبيساً في المظاهر. لذلك فإن عدل الله هو دائمًا تغيير للاحتياجات التأسيسية الأصلية للقلب في مجمله، إلى حد السعادة والكمال.

إن ما أثار كلمة «نعم» التي نطق بها بطرس هو محبة المسيح، التي حولت ندم الخيانة إلى ألم إيجابي. فقد غمرت محبة المسيح ندم خيانته والتحول إلى ألم إيجابي هو المحبة كما ردد صداها بطرس بمعنى قبوله لها، والعمل بها بنفسه، ربما بدون تفكير في ذلك. فكلمة «نعم» التي نطق بها بطرس هي أعظم تعبير عن عمل المسيح الفدائي للإنسان، وهي تَفجُر لإيجابية الكائن بذاته (الله) وتغلبها على سلبية كذب عمل الإنسان.

لذلك، نسمي التغيير الذي يُظهر حضور المسيح بـ «شهادة الحياة»: إنه عمل الذات كعمل الله، opus Dei، وفقًا للحرية التي يطلبها الله؛ إنه يتعلق بالحياة والزمان والمكان والحب والعمل والمجتمع: إنه ليس قمعًا لشيء ما في الذات، ولكنه الإيجابية النهائية للذات كلها في كيانها.

---

45 أنظر مت ٢٦: ٥٠.

46 ١صم ١٦: ٧.

فالتغيير هو ثمرة وعمل السرّ (الله) في الزمن – أي تصميم الله. والجزء الذي يخص حرية الإنسان هو الاستجداء. هذه هي عوامل تصميم الله. إذ على حرية الإنسان أن تستجدي، لأن كل القوة والسلطان هو من الله. فـ «الله هو كل شيء في كل شيء»: فقد خلق الطبيعة، وشارك كيانه في خليقة كانت، مثل المسيح، انعكاسًا وروعة ووعيًا بما هو الآب، واعترافًا كاملاً بالآب؛ وبالتالي فإن الاستجداء هو التعبير عن الاعتراف الكامل من الإنسان باعتماده على الله، وإدراكه لما هو الله.

والاعتراض الكبير هو ألا تفي المسيحية بوعدها. ففي صلاة التبشير الملائكي نرد على دعوة من يقود الصلاة قائلين: «كي نستحق مواعيد المسيح». إن الوعد هو: Mecum eris in Paradiso («ستكون معي في الفردوس»)،[47] كما قال المسيح للقاتل المصلوب عن يمينه، و«المئة ضعف هنا»،[48] الذي تنبأ به سابقًا. وينشأ الاعتراض من جانب آخر لوعينا، من خوفنا من التضحية. إذ يكتب إليوت: «إنني أعتقد أن فصل الولادة هو فصل التضحية».[49] ففصل الولادة بالنسبة للأم و بالنسبة لمن تلده هو تضحية. فالتطور والتقدم تجاه حقيقة والود الذي نَكِنْه لشخص ما هو تضحية. و يكون الأمر تضحية عندما لا نأخذ المال بالخدعة أو الاحتيال. ويكون الأمر تضحية من القاضي الذي، في بحثه عن القرائن والأدلة وقبل كل شيء في عرضه لسلطة المجتمع لما يجب فعله مع الشخص عندما يأخذ الشخص بعين الاعتبار؛ لأن القاضي لا يستطيع أن يؤيد نزعة نشطة تقضي على أمل شعب. كما يلاحظ موریاك قائلاً: «إن الصليب [التضحية] يتعارض مع الحياة [...] كما [نحن] نحلم بها [...]. وإنه لا يتعارض مع الحياة كما هي».[50] فالتضحية تتعارض مع الحلم ولا تتعارض مع الحياة كما هي.

التضحية: هي شرط الامتلاك الحقيقي. و مرور الوقت لا يلغي، بل يعمق حقيقة امتلاك كل شيء، في أي علاقة: فلا شيء يعد اعتراضًا. وإذا صار الله إنسانًا ومات من أجلي على الصليب، فأين يمكنني أن أجد الاعتراض؟

إن التضحية تنفتح تدريجياً على صورة أجمل. كما هو الحال في فيلم عندما تتغير اللقطة عند نقطة معينة من القصة بالتلاشي ويصبح المشهد نفسه أكثر وضوحًا. وبينما يوجد التلاشي، نظل في

---

47 لو ٢٣: ٤٣.

48 مت ١٩:٢٩؛ مر ١٠: ٣٠.

49 ت. س. إليوت، «إجتماع الأسرة»، الأعمال ١٩٣٩ - ١٩٦٢، المجلد الثاني، بومبياني، ميلانو ١٩٩٣، صفحة ١٤٥.

50 ف. موریاك، القديسة مارجريتا من نورتونا، أرنولدو موندادوري، ميلانو ١٩٥٢، صفحة ٨٤.

حالة ترقب لاهث، ولكن بعد ذلك تأتي لقطة أخرى صارت فيها اللقطة السابقة أكثر جمالا. إن هذا، كما تأملنا مرات عديدة، هو معنى قصيدة شبابي،[51] للشاعرة أدا نيجري التي، في نضوج خبرتها الإيمانية، وهي في السبعين من عمرها، علمتنا وأظهرت لنا كيف أن سر الكائن بذاته (الله) ينطوي على هذا التحول لمفهوم التضحية وموقفنا تجاهها. إذ أن سر الكائن بذات (الله) الذي يتحقق في إعطاء هذه القيمة للتضحية، أكثر من أي موقف أو وضع آخر، هو تأكيد على إيجابية كل ما هو أمام الإنسان. فأفضل تعبير عن هذا نشعر به يولد فينا عندما نقرأ المزمور الثامن:

«أيُّها الرّبُّ سَيِّدُنا، ما أعظمَ اَسمَكَ في كُلِّ الأرضِ. تُغنِّي جلالَكَ في السَّماواتِ. أفواهُ الأطفالِ والرُّضَّعِ. تَعَزَّزْتَ في وجهِ خصومِكَ وأخرستَ العَدوَ والمُنتَقِمَ. أرى السَّماواتِ صُنْعَ أصابِعِكَ والقمرَ والنُّجومَ التي كوَّنْتَها، فأقولُ: ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ؟ اَبنُ آدمَ حتى تَفتَقِدَهُ؟. ولو كُنتَ نَقَّصْتَهُ عَنِ الملائِكةِ قليلاً، وبِالمَجدِ والكرامةِ كَلَّلْتَهُ. سَلَّطْتَهُ على أعمالِ يدَيكَ، وجعلْتَ كُلَ شيءٍ تحتَ قدَمَيهِ: الغنَمَ والبقَرَ جميعًا، وبَهائمَ البَرِّ أيضًا، وطيرَ السَّماءِ وسَمَكَ البحرِ وكُلَ ما يسيرُ في سُبُلِ المياهِ.[52]

فالإنسان هو لا شيء إذا أدرك علاقته بالكائن بذاته (الله). إنه لا شيء، رغم أن الله خلقه، ويشعر ويدرك أنه مخلوق من أجل شيء عظيم («لقد كللته بالمجد والكرامة: لقد أعطيته السلطة على عمل يديك.»). والدليل والعلامة على أن الإنسان قد امتلأ بمجد وشرف لا يستحقهما من وجهة النظر الوجودية، بل لأنك، يا رب، «أعطيته السلطة على عمل يديك» وعلى كل المخلوقات: فالعلم بكل مستوياته والسلطة يعتمدان على هذا: «أيها الرب، إلهنا، ما أعظم اسمك في كل الأرض».

فلا يمكننا العيش بدون الإيجابية والابداع الذي لا يهدأ والذي لا يمكن ترويضه ولا اختزاله، والذي في أي لحظة وعند مواجهة أي صعوبة يجد أصله وينبوع (إلهامه) في حقيقة المسيح الحاضر في كنيسته. ومن الرحمة التي لا تنضب التي هي المسيح، رجاء المسيرة البشرية، نطلب من الله معًا أن نعي وندرك كل يوم العرفان والامتنان الذي ندين به للمسيح وللكنيسة، أمنا، ولكن فوق كل شيء الاستسلام الكامل لعناية الله. وذلك الاستسلام الكامل يجعلنا نقول في صلاة ما

---

[51] أدا نيجري، شبابي. قصائد.، بور، ميلانو ٢٠١٠، ص ٧٨.
[52] مز ٨: ٢-٩.

قبل النوم: «في سلامِ أستَلقي وأنامُ، لأنَّكَ وحدَكَ يا ربُّ تجعَلُ مَسكِني آمِنًا» «In pace in idipsum dormiam et requiescam».[53] فهو استسلام كامل فيه باعتباره السر و باعتباره الله وفي المسيح باعتباره الله وفي الله. إنه آخر نَفَس محتمل للإنسان: ففيه أهدأ بسلام حتى أنام، واستسلم للنعاس. ففي النوم يجد الإنسان، بطريقة مفارقة، صورة وجوده والوعي به لمجد المسيح البشري في التاريخ. حتي نعيش في أفعالنا الاستسلام للسر وللمسيح، أي للسر الذي ظهر في ذلك الانسان، وبالتالي، نسمع بذهول كلمة «نعم» التي نطق بها القديس بطرس («نعم، أحبك»)[54] من أعماق قلبه. وهذا الموقف هو الحدث الجديد الرائع الذي يجب على المسيحي توثيقه أينما ذهب لمجد المسيح البشري في التاريخ: فكلما شاهدنا هذا التغيير، كلما زاد مجد المسيح و يكون مجد المسيح في التاريخ سيكون مدهشاً ومرغوبًا ومحبوبًا بوعي فوق كل شيء. كما أخبرني أحد الأصدقاء أن مجد المسيح يمكن أن يصير حقاً شغف وولع الشاب أو الرجل البالغ.

---

[53] مز ٤: ٩.

[54] يو ٢١: ١٧.

الاجتماع العام

ستيفانو ألبرتو (دون پينو): لقد كشف عمل الاجتماعات العامة في الفنادق عن حقيقة مهمة للغاية: وهي أن محتوى الدرسين كان له تأثير فوري وعميق في حياة كل واحد منا. وكانت الأسئلة العديدة التي وصلت علامة ودليل على ذلك، ولكنني أود أيضاً ذِكر نوعية تلك الأسئلة التي تشير تحديدًا إلى النقاط الرئيسية للدروس. وقد اخترنا أربعة أسئلة منها لطرحها عليك.

الأب لويجي جوساني: عظيم.

جان كارلو تشيزانا: يبدو أن ما نفهمه من الأشياء التي أخبرتنا بها أنت، أيها الأب جوساني، أنه لم يعد هناك الوقت لمجرد «الفعل» أو لانتماء شكلي: ماذا تعني باصرارك على التغيير كتغيير للمعرفة؟

الأب لويجي جوساني: يمكن فهم ذلك إذا فكرنا في حقيقة أن التغيير هو تغيير «الذات» الخاصة بشخصي و بشخصك؛ أقصد الشخص في مجمل علاقاته وقدرته على إقامة علاقة مع كل شيء ومع السماء والأرض والمواسم الجيدة والسيئة ومع الأصدقاء والأعداء وعندما نعيش في توافق أو عندما نغضب مع زوجاتنا. التغيير هو لذات مسؤولة: بطريقة متفاوتة، لكنها مسؤولة دائمًا. والآن، ذلك التغيير بالتحديد يبدأ في المعرفة لأنه يخص «الذات». ففي الواقع، تنطلق الذات من دوافع عقلانية للتصرف وحث الآخرين على التصرف حتى لو كانت تلك الدوافع والمبادئ العقلانية ضمنية في الغالب أكثر مما هي صريحة وواعية من الناحية النقدية. لذلك قال يسوع مشيرًا إلى أولئك الذين كانوا يقتلونه ويصلبونه، «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ».[55]

[55] لو ٢٣: ٣٤.

يمكننا أيضًا أن نفهم التغيير باعتباره ظرف من ظروف الحياة؛ بل على العكس من ذلك، نحن نميل إلى تصور تغيير ذواتنا وحياتنا كتغيير في الظروف التي نعيش فيها. صحيح أن التغيير يتضمن دائماً تغيير في الظروف، لكن التغيير الحقيقي يكمن في التزامنا بها وفي نوع موقفنا تجاهها. وبالتالي، بما أنها تخص الذات، فلا يمكن للذات البدء إلا بالاستناد إلى معرفة. ويستند تغيير الذات على معرفة مختلفة ترتمي فيها الذات وتبدأ في الالمام بها. فعلى سبيل المثال، تحدثنا صباح أمس عن المظاهر. فالتغيير يعني أو يمكن أن يعني طريقة مختلفة تؤثر بها فينا المظاهر. فأمام المظاهر، يمكن للإنسان تبني سلوكيات مختلفة؛ وقد يفكر في أن: «هذا الشيء موجود فيما هو ظاهر» – إنه الخطأ الأساسي الذي يقع فيه البشر – أو قد يقول أن: «هذا الشيء ببساطة ليس موجود في المظاهر». وهنا يكون التغيير في مفهوم الشيء على المحك، وعلى وجه التحديد في طريقة تصور هذا الشيء.

وهكذا قال يسوع (كما قال أحد العمداء من ميلانو قبل أربعين عامًا في المعهد الاكليريكي)، تلك العبارة للآب – «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» – ففي الهامش القصير لجهلهم الذي بناه دفاعهم والدفاع عن ضعف هؤلاء البشر وعن محدودية هؤلاء البشر الذين قتلوه. إذ كانت هذه هي المناسبة التي بسببها جعل الله الآب من فعلتهم بداية سر الكنيسة.

فبدون المعرفة لا توجد خبرة، ويغيب المستوى الإنساني للعيش (لأن الخبرة هي بشكل صحيح ونهائي المستوى الإنساني للعيش)، وبالتالي لا يوجد تغيير إنساني. إذ يمكن تهيئة الظروف للتغيير من أجل الجميع، ويمكن أن يستخدم الله الجميع، ولكن في الذات المسؤولة. لا يمكن لله إلا استخدام خبرة جديدة، كأداة للتغيير: خبرة. لذلك، فإن المنهج التربوي الكامل لحركتنا، والذي يحاول بقدر الإمكان محاكاة ما استخدمه يسوع لتأسيس الكنيسة ، هو إدخالنا في خبرة. فإذا لم ندخل في خبرة، يصبح التغيير الحقيقي أمر غير ممكن.

دون پينو: يبدو لي أمراً شيقاً وهاماً الإصرار على هذا الجانب من بداية التغيير في المعرفة. وعلى وجه الخصوص، هناك سؤال يتكرر كثيرًا. فقد قلت في مقطع من الأمس، أن أحد أكثر النتائج إثارة للإعجاب للعقلية الحديثة والعقلانية الحديثة هو الخلط بين الحس الديني والإيمان. هل يمكنك مساعدتنا بالتعمق في تفاصيل هذا الجانب؟

الأب لويجي جوساني: إذا لم نحث الإنسان على الوعي بذاته وإذا لم يكن متعلمًا ولم يتعرض للاستثارة ولم يتربى على الوعي بذاته وإذا لم يكن ذاته، فهو يستسلم لما تمليه عليه الغرائز، ولردود الأفعال التي يسود فيها الجانب الحيواني باعتباره مستوى الفعل. وتميل العقلانية إلى تصور العقل كمكان الحقيقة: فالحقيقة هي ما يعترف به العقل (حيث يكون الاعتراف أكثر بكثير مما قلناه من قبل، والذي ليس بالضرورة حكمًا)، وبالتالي فهو ينتهي باعلاء ما يشعر به إلى مثالية. ودائمًا ما ينتهي بنا الأمر إلى إضفاء الطابع المثالي على ما نشعر به أو، أكثر من ذلك، تحديد هوية الحقيقة بما نشعر به ونُحِسه. وهكذا يتم تحديد هوية الحس الديني في مجرد شعور: فهو شعور غامض أو محدد، لكنه شعور وليس فكراً، وليس له أسباب معينة، أي أنه ليس حقيقة يمكن الوصول إليها مثل المعرفة، بالتخلي عن الخطوات الأولى الأكثر غريزية وآلية.

لكن الحس الديني ليس شعورًا وليس مجموعة من المشاعر. إذ يتعلق الأمر بالعقل. فالحس الديني هو أصلاً في بدايات حياة العقل، أي الحياة الواعية للإنسان، ويطرح نفسه في البداية: إنه ضمني في تماثله مع طبيعة الإنسان ذاتها. فالحس الديني ليس شعوراً والفكر ليس نشاطاً غريباً عنه.

فالإيمان الآن هو اعتراف بحضور. ونقول الآن بطريقة معتادة: أن الإيمان هو الاعتراف بحضور، بحضور استثنائي. الإيمان هو الاعتراف بحضور (الله). وهذا ليس شعور. حتى لو كان ينطوي على الكثير من المشاعر، فلا يمكن تعريفه على أنه شعور. فالحضور يتعلق بالعيون، والتأثير العاطفي الذي يثيره: فالعيون التي تنظر هي في وسط المشهد، والقلب بما يشعر به؛ لكن تقييمًا لهذا الحضور، وأهم تقييم لبقية الحياة وللتعبير الكامل عن الحياة، فإن تعريف الاعتراف بوجود حضور ينتمي إلى تلك المرحلة الأصلية من الوعي الانساني الذي يقف مشدوهاً أمام منظر الطبيعة، فحتى الطفل يقول: «ما أجمل ذلك!». فعندما يقول «ما أجمل ذلك»، هو لا يعبر عن طريقته في الإحساس، بل عن طريقته في الرؤية، التي هي رؤية عقلانية، فهي بداية حياة وبداية مسيرة من الفكر العقلاني.

جان كارلو تشيزانا: إن الأسئلة التي وصلت تعرضت قليلاً إلى كل النقاط، كما قال دون پينو في البداية. لكن الأسئلة الأكثر شيوعًا كانت بالتأكيد تلك المتعلقة بمشكلة التضحية، والتي أظهرت هكذا أنه، على الرغم مما نقول، لدينا بالفعل مشكلة أخلاقية. وقد اخترنا صيغة

يقرأها لنا دون بينو الآن والتي تبدو لنا أنها الأفضل لتحديد وتعريف ماهية المشكلة.

دون بينو: إن آخر نقطة من درس صباح السبت ذكرتنا بالانتماء للحركة. ماذا يعني الانتماء إلى الحياة اليومية؟ إنه يظهر كخوف من عدم الوفاء بالوعود. كيف يمكنك مساعدتنا في التغلب علي هذا الخوف؟ وبهذا المعنى، ماذا يعني أن التضحية شرط لهذا التغلب؟

الأب لويجي جوساني: هذه هي الكلمة الأكثر إثارة للاهتمام والأكثر تحديدًا لحالتنا المزاجية أو انطباعاتنا أو تعريفاتنا لحركتنا: إنها التضحية التي نقدمها من خلال وضع حياتنا في واقع صحبة – العائلة بالطبيعة أو رفقة أناس آخرين –. لأن الأسرة ورفقة الآخرين يشيرا إلى شيء آخر كشرط من شروط الحياة. لهذا قلنا أنه «ليس هناك تضحية أعظم من بذل الانسان حياته من أجل عمل آخر».

«إن بذل الانسان حياته من أجل عمل آخر» هو تضحية عظيمة: بل هو أعظم تضحية. ولكن هناك شيء آخر يمكن قوله أمام هذه العبارة: إذا كانت في جوهرها هي بذل الانسان حياته من أجل عمل آخر (عمل الله)، فإن التضحية هي فعل محبة. لأن هذه هي المحبة: فبذل الحياة من أجل عمل آخر هو المحبة. فالتضحية هي فعل محبّة بقدر تأكيدها على إيجابية الحياة كلّها سواء باعترافها بالكائن الأسمى (الله)، أو بتحقيق اعتراف الانسان بحياته باعتباره انعكاسًا للكون بأسره. وحتى يعيش الانسان حياته كانعكاس على الكون كله يتطلب ذلك فعل محبة: وتصور الحياة كلها وحياة الانسان كانعكاس على الكون كله وكنقطة مرجعية لجميع المُدْخلات التي يرسلها الكون إلى وعي الإنسان هو فعل حب وتأكيد لآخر (لله).

ويرمز المكان والزمان إلى مماثلة هذه الخاصية للوجود: فالمكان والزمان يرمزان لجميع الصعوبات كتأكيد إيجابي للوجود. فليست التضحية هي الصعوبة، لكنها نقطة البداية للتعامل مع جميع أعمالنا، وفي العلاقات مع الأشياء ومع الناس. وأصر على أن التضحية ليست هي الصعوبة، بل هي نقطة انطلاق لمواجهة كل الصعوبات، أي أنها تأكيد إيجابي للكائن بذاته (الله). ولتقديم تضحية يجب أن نرى ونستشرف وجود إيجابية. إذ لا يمكن تصور التضحية من أجل التضحية باعتبارها انكار وتشويه. وإذا شعرنا جميعًا بهذا باعتباره هو السائد في أغلب الأحيان، فاننا لسنا واعين ...

جان كارلو تشيزانا: وبالتالي لا نقوم بالتضحية!

الأب لويجي جوساني: ولكن من لا يضحي في علاقة فهو ليس طرفاً فاعلاً في هذه العلاقة التي لم يحققها بعد!

لماذا الانتماء إلى حركة يُسهل تطور وعينا وإيقاظ ضميرنا بحيث لا ننظر إلى التضحية على أنها ظاهرة حياتية سلبية؟ فالانتماء إلى حركة، أو إلى واقع اجتماعي بالقدر الذي يؤثر فيه على الحياة و «يزعم» اتخاذ القرارات الحياتية ويجعل من الممكن للتربية والتعليم (تنمية وعي الإنسان) أن تفهم ذلك الواقع، ومن خلال حَثِها أو استفزازها تهدف إلى الإيجابية: إيجابية الكائن بذاته (الله). فاتباع الكاريزما (موهبة الروح القدس) يجعل التعرف على هذه الإيجابية أمراً أكثر عملية. من الواضح أن الموهبة (الكاريزما) التي تنطلق، كأصل، من الحس الديني المتحقق، والتي صارت واقعاً وتحققت من خلال اللقاء مع المسيح، تجعل من الممكن الاعتراف بهذه الإيجابية لكل شيء حتى إيجابية الموت. وحتى الموت: فالامكانية الوحيدة والاحتمال الوحيد بأن الموت هو الإيجابية القصوى للأشياء التي تأتي من الكائن بذاته (الله) باعتباره سر. ويقول ذلك القديس بولس بتلقائية في العديد من صفحات رسائله كما يُقال تكملة للحالات والقضايا والصعوبات والمظالم التي عانى منها بما في ذلك الموت: «لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ». [56]

وعلى أية حال، فإن العامل الموضوعي الذي يضعه السر (الله) في ديناميكيات الأشياء والطريقة التي ينقل بها السر ديناميكيات كل الأشياء هو التضحية بالتحديد. إذ تضمن التضحية المعاشة إيجابية الحياة والكينونة والوجود، كما هو واضح للوعي الانساني نفسه.

«اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ»: [57] ولن تعرفون أبدًا ولن تمتلكون أي شيء أبدًا. فإتباع الموهبة يجعل هذه الدعوة للإنجيل آنية. لأن الطريقة التي ينقل بها السر (الله) الديناميكيات التي في الأشياء لا يمكن أن تبدأ إلا من عيني الطفل. إذ تُظهر عين الطفل إيجابية مسبقة، لم يتم تطويرها بعد، وليست واعية بعد، ولكن يتم التعبير عنها باعتبارها إيجابية (إيجابية يمكن أن يخرج منها في الحال كدمة أو لكمة أو جرح صغير).

هذا هو السبب في أن التضحية هي طاعة: بمعنى أنني لا أصنع الواقع وما هو أنا ليس من صنعي فكل ما أُعطِي لي (من السر كما من أمي) هو شرط لوعي أكبر وأعمق، من كل ما نقوم به. ولهذا السبب، فإن التضحية هي طاعة، وتبدأ من هذا «المفهوم المسبق» أو «الحكم المسبق»: «الحقيقة»، عمل آخر.

---

[56] رو ١٤: ٨.

[57] مت ١٨: ٣.

[58]: «In simplicitate cordis mei laetus obtuli universa» (ببساطة قلبي أعطيتك كل شيء بفرح). تعني كلمة «أعطيتك»، كما نقول في تعريفنا، أنه لا توجد تضحية أعظم من بذل الحياة من أجل عمل آخر.

إن الاعتراف بإيجابية الكينونة، وكل الأشياء، كأول دليل أو بداية الوعي بالأشياء، هو بالضبط إدراك ما سيطلق عليه لاحقًا «الطاعة»: فعندما نصير بالغين ندرك أنها طاعة. لهذا السبب، فإن عبارة «إذا لم تكونوا كالأطفال» لا تعني «إذا لم تكونوا بلا وعي أو غير قادرين على الفهم» ، ولكن «إذا لم تكونوا كما خُلِقتم»، أي إذا لم تتعاملوا مع الأشياء و الحياة كما خُلِقتم: كما خلقكم آخر، من آخر (الله). وهكذا، حتى حقيقة أن أمك أعطتك الحياة وألم هذه الحياة التي عشتها، ليس في الأساس غضبًا ثار فيك ضد أمك. إن ملاحظة الأطفال أمر مشوق حقًا، لأن كل مقاومتهم للألم لا تُزيل ولا تنتزع التأثر الأول الذي يختبرونه أمام الأشياء: إنهم يدخلون الأشياء بعيون واسعة وبكل اندفاع، وعندما يصيبهم الألم، لا يتخلون بالضرورة عن بساطتهم الأصلية هذه. فإذا صاروا كباراً يشتكون، لكن وهم صغار يشتكون بدون ...

دون پينو: ... بدون أن يشتكوا.

الأب لويجي جوساني: لا، إنهم يشتكون بالشكوى أيضاً، لكن ...

جان كارلو تشيزانا: ... لا ييأسون.

الأب لويجي جوساني: هم ليسوا يائسين.

دون پينو: هناك سؤال أخير. نود أن تحدثنا عن مجد المسيح: ما الذي يجعله شغف وولع حياتنا؟

الأب لويجي جوساني: إن الطبيعة الحقيقية للعقل هي إدراك كيان الأشياء، أو بالأحرى ، يعبر عن نفسه ويتحقق أولاً وقبل كل شيء كمراجعة أو رؤية واستيعاب لكيان الأشياء، والأشياء باعتبارها كيان. هذه هي الحجة الأولى التي يمتلكها العقل: الإيجابية المطلقة لوجود كل شيء هي التعريف الوحيد الذي يعطي منطقاً عقلانياً للإنسان. فالعقل خُلِقَ لإدراك كيان الأشياء: و المسيح الذي هو اللحظة الأسمى

---

[58] «يا رب، ببساطة قلبي أعطيتك كل شيء بفرح. وقد رأيت شعبك يقدم لك العطايا بفرح عظيم. يا رب، احفظ رغبة قلوبهم هذه» (مرد المزمور لصلاة التقدمة في الطقس القديم لعيد قلب يسوع الأقدس، في كتاب القداس للقديس أمبروزيوس. من الفصح إلى المجيء، ميلانو ١٩٤٢، ص ٢٢٥).

للخليقة، «omnia in ipso constant»، «كانَ قَبلَ كُلِّ شيءٍ وبِه قِوامُ كُلِّ شيَء»، [59] تحت أي مظهر نترجم هذا «الكل شيء».

ويخبرنا التاريخ المسيحي بهذا في أصوله - أكثر من الأطفال والبالغين: فبولس وبطرس وشخصيات الرسل ليست شخصيات أطفال؛ لقد عادوا كأطفال عندما رأوا يسوع، لكن أطفال من الجانب الأخلاقي، في موقفهم تجاه ما واجهوه - من هذا السياق تعلمنا هذه الحقيقة، والتي هي تتويج للسر المسيحي في وجود الإنسان: «وبِه قِوامُ كُلِّ شيَء». إنه تأكيد يدخل حياتنا بنفس الطريقة التي تدخل بها «كيفية» وجود الأشياء إلى حياتنا: إنها موضوعية لا يمكن إنكارها باعتبارها نقطة انطلاق، كما يقول الحس الديني.

«إذا لم تكونوا كالأطفال». إذا كان بولس أو بطرس أو يعقوب أو يوحنا، باعتبارهم الكُتَّاب الذين أعطونا المدونات الأولى عن الحدث المسيحي، لم يكونوا قد عاشوا هذه الطفولة الروحية التي تجددت وعادت للحياة وولِدَتْ من جديد بلقائهم مع المسيح، فلو لم يكونوا كذلك لما أخبرونا بأي شيء جديد. حتى عند البالغين، تعطي الثمار الأولى الخالصة للعلاقة مع-الأشياء انطباعًا-عن-الاتساق الذي لا يمكننا إنكاره، والذي يصبح أكثر تعقيدًا بعد ذلك، بسبب تصور مسبق دائماً.

فالمسيح، كإنسان عاقل، تصوره السر (الله) على أنه اللحظة الشاملة لتاريخ الكون، في زمان وفضاء الكون وفي كل تاريخ الإنسان. فالمسيح هو العلامة التي يتوافق معها السر (الله) بالتمام وبالحقيقة. إن رفض المسيح هو سقوطنا ووقوعنا أسرى لتصور مسبق في استخدامنا للأشياء.

إن تأكيد المسيح هو تأكيد للجمال الموضوعي الذي يجعلنا متحمسين للحياة وكل شيء يصبح شفافًا لأعيننا. وليس عبثًا أن الفرح الظاهر على الوجه هو الحجة الرئيسية للشهادة المسيحية للعالم كله وأمام الجميع. ففرحة قلب الانسان هي، كلما نضج المرء بمرور الوقت، بالتالي، تأكيد لأنفسنا على ما نقوله وما نؤمن به. لكن لا يمكن للفرح أن يظهر إلا من جمال موضوعي، أي من شيء جميل وصالح بشكل موضوعي. لا يمكن أن يكون هناك فرح بشيء ليس جميلاً أو ليس جيداً. إذن يمكننا هنا التحدث عن القناعة والرضا ولكن ليس عن الفرح.

إن المسيح هو العلامة التي يوافق بها مع السر (الله) في الواقع وفي التاريخ وفي الكون بأسره وفي تاريخ الشعوب. وهذا هو السبب في

---

[59] كول ١: ١٧.

أن التأكيد على المسيح هو تأكيد للجمال الموضوعي الذي يجعلنا متحمسين للحياة، وكل شيء يصبح واضحًا وشفافاً لأعيننا. لأنه طالما أن الشيء أو الواقع، لا يصل إلى الشفافية أو إلى شفافية معينة، فهو يعتبر امتلاك بلا امتلاك وتظل قيمته ملتبسة وغامضة.

إن تأكيد المسيح يضعنا في البوابة الأولى التي يبدأ منها السر (الله) كسر يصنع الأشياء: ويصبح اختبارًا لما يفعله الله. فالمسيح هو البوابة الأولى والممر الأول والحضور الأول: فالعلاقة مع المسيح تجعل الحياة كلها واضحة لأعيننا. ويكمن التحقق تحديدًا في حقيقة أنه من كل ما هو موجود حقًا في الأشياء، نصبح باحثين وعاملين فرحين: «سأوضح قوة اسمي من خلال فرح وجوههم». [60] فخبرة الفرح التي تعطيها حياتنا هي إيجابية مطلقة تعمل فينا في علاقتنا مع الآخرين من البشر.

---

[60] «يا شعب صهيون، هوذا الرب يأتي ليخلص الأمم: وسيجعل الرب صوت مجده مسموعاً ليفرح قلبكم» (الصلاة التالية لكسر القربان في الأحد الرابع من زمن المجيء حسب طقس القداس للقديس أمبروزيوس. من زمن المجيء إلى سبت النور، ميلانو ١٩٤٢، ص ٧٨؛ راجع أيضا الفولجاتا، أش ٣٠).

«الدهشة فقط هي التي تعرف»

« المفاهيم تخلق الأصنام، أما الدهشة فقط هي التي تعرف». [61] هذه العبارة للقديس غريغوريوس أسقف نيصص، شخصية عظيمة في القرون المسيحية الأولى، تتوافق مع مفهومنا عن معرفة المسيح والاعتراف به، الموجود في نصوصنا وفي لغتنا. إذن كيف يمكننا أن نحدد لماذا نقول «نعم» للمسيح؟ إن سبب قول «نعم» لشيء يقدم نفسه في حياتنا من خلال التغلب على جميع المفاهيم المسبقة هو الجمال: جمال وخير قد لا نكون قادرين على تعريفهما، لكننا نشعر بهما باعتبارهما مضمون فكرنا لاتخاذ القرار «الأخطر» الذي يتعلق به هذا المضمون، أي الإيمان، لأن الإيمان يولد باعتباره اعتراف العقل.

«المفاهيم تخلق الأصنام، أما الدهشة فهي فقط التي تعرف». إن بساطة الأطفال هي حقيقة تمسكنا بالإيمان، وتمسك إيماننا بما تقوله الكنيسة، وبما يقدمه لنا التقليد المسيحي، وما تخبرنا به الكنيسة في الحركة: فالبساطة هي موقف الطفل الذي يمر أمام الأشياء بدون «لكن» و «إذا» و «مع ذلك»، يمضي أمام الأشياء، يلمسها أو يعالجها، على الفور. لهذا يقول يسوع: "إن لم تكونوا مثل الأطفال، وإذا لم تكونوا هكذا عندما تكبرون، فلن تدخلوا أبدًا، ولن تفهمون أبدًا، ولن تسمعون أبدًا». [62] لهذا السبب نحن أيضًا نؤكد أن « المفاهيم تخلق الأصنام، أما الدهشة فهي فقط التي تعرف».

كيف يمكننا الاعتراف بأننا مطالبون بالتمسك بالمسيح من جانب الحركة وكنيسة الله والكنيسة الكاثوليكية بدلاً من نُسخ أخرى؟ «الدهشة فقط»: إنها الدهشة مثلما حدث مع يوحنا وأندراوس. هذه هي الكلمة التي تشرح كل ما نقوله عن بداية الإيمان.

---

[61] راجع القديس غريغوريوس من نيصص، حياة موسى، ص ٤٤، فقرة ٣٧٧ ب، «العظة الثانية عشرة»، في نشيد الأنشاد، ص ٤٤، فقرة ١٠٢٨.

[62] راجع مت ١٨: ٣.

لقد وُلِد الإيمان ونما و«اعتمل» في يوحنا وأندراوس (ما مدى أهمية هذه الصفحة الأولى من إنجيل يوحنا بالنسبة لنا!) تجاه حضور (المسيح): لقد كان حضورًا ملهماً وحضورًا مؤثراً وحضورًا مدهشاً. : «ولكن كيف يمكن أن يكون مثل هذا؟». إنه نفس الشيء الذي يقال في جميع العبارات التي يمكن للناس الذين نعيش معهم أن يقولوها ويمكن أن «تُجبرْ» على قول من مثال كل منا ومن خلال شهادتنا: «كيف يمكنهم أن يكونوا سعداء جدًا؟»، «ولكن كيف يمكنك أن تكون في حالة صفاء كهذه؟».

إنطلاقاً من الإيمان – الذي هو تأكيد لحدث وموضوعيته، أي للمسيح – تتطور قيمة الجمال، أي الإيحاء، الذي يكشف عن سبب مناسب يتحقق فعلياً في الواقع: إنه سبب مناسب يُوَلِدْ الجمال من خلال علاقة. لأن الخير، أو بالأحرى، الأخلاق، تأتي من الجمال. من الايحاء النابع من شخص المسيح، التي أذهلتني عندما كنت صبيا وعندما دخلت المعهد الاكليريكي وتضاعفت هذه الدهشة بعد ذلك وأصبحت أكثرجدية بعد ذلك ، حيث أُجبِرت «رأسي المتصلبة» أو إهمالي على النظر دائمًا إلى الخير، حتى أعي أمام الله أنني أفعل ذلك، أو أحاول القيام به.

فإذا لم نحافظ على هذه القاعدة ولم نحاول اتباعها، فإن الخير والتمسك بالأخلاق وبما تقوله الكنيسة على أنه أخلاق، لن يكون مقنعًا، لأنها طرح غيرصالح لطبيعة الإنسان.

«فالمفاهيم تخلق الأصنام، أما الدهشة هي فقط التي تعرف»: إنها تعرف، وبالتالي تفهم. وإلا صرنا ضحايا للتصور المسبق. لا توجد هناك عدالة في طريقة تفكيرنا، إن لم ندرك التصور المسبق الذي نبدأ منه. إن لم تكونوا كالأطفال، كما يقول الإنجيل، ستبدأون من تصور مسبق. ولا يمكن لأحد التمسك بشيء يطلب منا التضحية بحكم تصور مسبق: إذ يجب علينا التمسك بقوة الجاذبية التي لديه. مثل يوحنا وأندراوس: «كم هي قوية جاذبية هذا الانسان!». وهكذا وُلِدَ فيهم السؤال: ماذا يعني ما يقوله عن نفسه؟ ماذا يقول عن الله؟ ».

لذلك من الضروري أن نكتشف في تعليمنا طريقة إدراك وإظهار وتأكيد إيحائية الاقتراح. ولا نأخذ الاقتراح على محمل الجد إلا إذا كان موحياً. وإلا فإننا لا نأخذ إلا ما نقرره نحن، أي أننا نلغي الاقتراح. وهكذا يتم اختزال الإيمان إلى مجرد حس ديني.

وليس هناك فيلسوف حديث أو فنان معاصر يمكنه أن يقول أو يفكر فيما قاله القديس غريغوريوس من نيصص: فاليوم نتحدث في الغالب عن الظهور فينا لتفضيل واختيار واضعين السبب الوحيد

والكافي وراء هذا التفضيل و الاختيار هو عواطفنا الشخصية، أي الانطلاق في الحياة وفي العالم من ذواتنا.

لهذا استشهد يسوع بأصغر طفل كمثال للكبار، لأنه أولا وقبل كل شيء يجب أن نكون أحرار وحقيقيين وشفافين. وخلاف ذلك، ينشأ الاعتراض في كل شيء: وتبدأ كل اعتراضاتنا من تصور مسبق وتتشبث به، بحيث يصبح غير قابل للهجوم عليه ثم يمنع أي محاولة لتحديد حقيقة واقعية من جانب العقل. إنها الدهشة فقط التي «تُقنِع»، أي تعرف إلى حد الاقتناع وتوليده. فالتصور المسبق هو القضاء على الجمال الحقيقي وعلى المذاق الحقيقي للحياة.

المسيح هو كل شيء في كل شيء
*(١٩٩٩)

تم تقديم الكتابات الأولى للأب جوساني حول المسكونية وحول تربية الشباب المجمعة في مجلد جديد (إحمل الرجاء. الكتابات الأولى) في الجامعة الكاثوليكية في ميلانو من خلال رئيس الجامعة، أدريانو باوسولا و نيكولاوس لوبكوڤيتش و نيافة الأسقف كارلو كافارا. هذه هي السنوات التي تضاعفت فيها المناسبات، في بقاع مختلفة من العالم، لمناقشة ومعرفة المسيرة الفكرية للأب جوساني ومساهمته في فهم الخبرة الإنسانية والمسيحية ومنهجه الفكري وطريقة علاقته بالثقافة الحديثة والمعاصرة. وفي بوينس آيرس، قدم نيافة الكاردينال يورخي ماريو برجوليو، بعد تنصيبه بفترة قصيرة كرئيس أساقفة العاصمة الأرجنتينية، الطبعة الإسبانية من كتاب «الحس الديني». وفي جامعة جورج تاون بواشنطن، يعقد ديفيد شيندلر، مع بعض زملائه، مؤتمراً حول فكر الأب لويجي جوساني. ويعلن ستانلي هاورواس في محاضرته الافتتاحية أنه كان يود أن يكتب صفحات كتاب المجازفة التربوية.

وبعد نشر الرسالة العامة لقداسة البابا يوحنا بولس الثاني حول الايمان والعقل علق عليها الأب جوساني على أعمدة جريدة «لاريبوبليكا» (الجمهورية)، متذكراً سنواته الأولى كمدرس في مدرسة بيرشيه الثانوية في ميلانو و «ضرورة شرح وتوضيح ماهية العقل، لأنه بدون العقل لن يكون هناك إيمان أيضا».[1]

وقبل بضعة أشهر، جاء الاحتياج إلى إعطاء شكل كامل للمسيرة الفكرية طوال العشرين عامًا الماضية بجمع الأفكار والتأملات والمداخلات في مجلد جديد من شأنه أن يكون، في نفس الوقت، وعيًا بالمسيرة الذي تم قطعها واقتراحًا للمسيرة التي يجب قطعها. (آثار من الخبرة المسيحية) هو الكتيب الذي كتبه الأب جوساني مع طلابه في عام ١٩٦٠، كتأمل حول الخبرة ومؤشرًا على طريقة الحضور المسيحي في البيئة المحيطة، وخاصة في المدارس. و«آثار جديدة» كان هو المشروع لتحقيق المثل بجمع تطور الخطوات

* الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، ٢٣ - ٢٥ إبريل ١٩٩٩، ريميني.

[1] الأب لويجي جوساني، مقال العقل ضد السلطة، جريدة «لاريبوبليكا»، ٢٤ أكتوبر ١٩٩٨، ص ١٣.

الأولى وإسهام النضج الذي تحقق على مر السنين. وفكر الأب جوساني في عمل جماعي، تكون ثمرة للخبرة التي عاشوها معًا، وأراد كمؤلفين مشاركين له في تأليف الكتاب الجديد (إيلاد آثار في تاريخ العالم) الأب ستيفانو ألبرتو والأب خافيير برادیس. وقد كانت علامة على المسؤولية المشتركة، وفي نفس الوقت، كانت تعبيرًا عن الأسلوب الجماعي الذي عاشت وتوجهت به الحركة.

وللمرة الأخيرة، أقام الأب جوساني الرياضة الروحية بالشكل الذي تم تجربته واختباره بعرض الفيديو المسجل أثناء البث المباشر لوقائع الرياضة الروحية. وكان من الممكن أن يقوم آخرون بتأملات السنوات التالية بتواصل الخطاب والوعي والحكم بالمسيرة التي أتموها.

وفي رسالته الأخيرة إلى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، في يناير ٢٠٠٤، كتب الأب جوساني: «لم تكن في نيتي مطلقاً «تأسيس» أي شيء، لكنني أعتقد أن عبقرية الحركة التي رأيت ولادتها هي الشعور بالحاجة الملحة لاعلان ضرورة العودة إلى الأركان الأولى للمسيحية، أي الشغف بالحدث المسيحي كما هو في عناصره الأصلية وكفى. وربما أدى هذا بالتحديد إلى ظهور إمكانيات لم يكن من الممكن التنبؤ بها بالـلقاء مع شخصيات من العالم اليهودي والمسلم والبوذي والبروتستانتي والأرثوذكسي، من الولايات المتحدة إلى روسيا، في سعي لاحتضان وتقدير كل ما هو حقيقي وجميل وخير وعادل يبقى في كل من يعيش خبرة انتماء».[2]

يوثق عمق الفكر الذي نجده في الصفحات التالية، الانجذاب إلى العوامل الأولى والأصيلة للمسيحية كمنبع ولادة الذات واحتضان الآخر.

كما سمحت كتب الأب جوساني، المترجمة الآن إلى العديد من اللغات، للكثير من الناس، بمختلف أصولهم وآراءهم، بلقاء تلك «الكاريزما التي هي قصة وتاريخ» والتي يتم تقديمها لأي انسان على أنها إمكانية للحياة والبناء الانساني.

إن شغف الأب جوساني بوحدة جسد المسيح في العالم، أي الكنيسة، الذي وُلِدَ في المعهد الاكليريكي بفينيجونو ونضج في السنوات الأولى من حياته الكهنوتية، وجد تأكيدًا مفاجئًا في بُعد مسكوني متجدد وأصيل.

---

[2] «الرسالة التي تم إرسالها إلى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بمناسبة مرور ٥٠ عاماً على ميلاد حركة الشراكة والتحرر»، حياة الأب جوساني، ألبرتو سافورانا، كتاب سبق ذكره، ص ١١٣٨.

كلمة فاصلة من أجل الوجود

١) الاحتياج إلى الانتماء والدليل عليه

«انظر، أيها الله القدير، إلى الانسانية المنهكة بضعفها المميت، وأعدها إلى الحياة بقوة آلام ابنك الوحيد».[3] هذه هي وجهة النظر التي تتأثر بها قلوبنا وتجدد التزامها بمعموديتها.

وقلنا في العام الماضي: «إن المسيح هو كل شيء في كل شيء». والآن علينا أن نحاول الفهم بشكل أعمق، وبانتباه أكبر، وبوعي أكبر ما تعنيه هذه العبارة، أو بالأحرى، ما الذي يجب القيام به حتي يتحقق دليل مثل هذا في الحياة لأنه واضح بالنسبة للمسيحي أن «المسيح هو كل شيء في كل شيء». وعلينا أن نقرأ لأنفسنا ولإخوتنا الآخرين شيئًا سمح لنا الله أن نعيشه في خبرتنا.

وحتى يتضح لنا أكثر ما تعنيه عبارة «المسيح هو كل شيء في كل شيء»، يجب علينا أيضًا أن نتذكر المنهج والظاهرة وطريقة السلوك التي ينطلق منها مسار جديد يحقق هذا النموذج المثالي – الذي هو مثال «أرضي» من وجهة نظر معينة، ولكنه «أبدي» باعتباره قيمة. لنتذكر عنوان العام الماضي: معجزة التغيير. لكن حتى نتغير يتحتم تبديل العلاقة أو إلغائها أو استبدالها بأخرى، أو يتحتم تعميق العلاقة، واتخاذ العلاقة بجدية أكبر ومحاولة فهمها أكثر ومحاولة الانفتاح أكثر على التواصل الذي يقوم به معنا التغيير من تلقاء نفسه. لهذا السبب، فإن الكلمة التي يستخدمها الكتاب المقدس والموجودة فيه وفي تقاليدنا المسيحية لتقول كيف تحدث معجزة التغيير، فهي من جانب تعبير عن حالة، ومن الجانب الآخر تشير إلى قوة التغيير وقوة واتجاه التغيير: الانتماء. فالتغيير، إذن، له انتماء كشرط، ويبرز «الانتماء» باعتباره الكلمة الحاسمة للوجود.

لكن ماذا يعني الانتماء؟ فالإنسان يعي إنسانيته، ثم يستخدم الكلمات لوصفها، مستمداً إياها كمعنى من خبرته. ويستخدم الإنسان العقل والمشاعر والميول التي تُشكِل الخبرة التي يتعلم منها. وتنير الكلمات التي يستخدمها الإنسان الوعي بالخبرة التي يولد منها. ويقول المزمور ٣٢ الذي نعرفه جيداً: «لاَ تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلاَ فَهْمٍ. بِلِجَامٍ وَزِمَامٍ زِينَتِهِ يُكَمُّ لِئَلاَّ يَدْنُوَ إِلَيْكَ».[4] وقلنا أن الانسان الذي يريد أن

---

[3] «الصلاة الختامية»، تسابيح الصباح ليوم الاثنين من رتبة أسبوع الآلام من كتاب صلوات الساعات بالطقس اللاتيني.

[4] مز ٣٢ (٣١) : ٩.

يعى، هو مُجبر على الوعي بانسانيته (فهو بمعنىً ما. مُجبر على أن لا يكون «كاملاً» ومُتحقق أو دقيق بطريقة ما، بل أن يكون «واعياً»). ويعي الانسان بانسانيته من خلال اهتمامه بتلك الخبرة التي هي الشكل الذي تتكشف فيه انسانيته والتي تبني واقع الانسان في تواصله مع ما يلتقي به. ويتوجب على الانسان بعقله إيضاح ما يستطيع رؤيته وفهمه من واقع خبرته. وإلا فرضت المفاهيم المسبقة نفسها.

والحب الذي يحمله الإنسان لذاته، والذي يحمله نحو ذاته، يجعله واعيًا، ويحاول أن يجعله واعياً بما هو عليه. لأنه من المعقول أن يسعى الإنسان إلى توضيح ما هو قادر على رؤيته وفهمه في خبرته بالواقع.

على أي حال، إذا لم يبدأ الانسان من الخبرة لفهم نفسه وواقعه، فهذا يعني أن حياته تسير حسب مفاهيم مسبقة أو من خلال تبني شيئًا سابق الصُنع يفرض نفسه. دعونا نتذكر ملاحظة أليكسيس كاريل في بداية كتاب «الحس الديني»، التي هي هامة للغاية وموجزة في الآن ذاته، والتي تقول كل شيء، أي كل الموضوعية المطلوبة، حتى يصل الإنسان إلى موضوعية الأشياء من أجل موقف أخلاقي أكثر من ذكاء مشكوك فيه: «إن القليل من الملاحظة والكثير من التفكير يقودان إلى الخطأ. أما الكثير من الملاحظة والقليل من التفكير يقودان إلى الحقيقة».[5] لذلك فإن العقل له على وجه التحديد مهمة توضيح ما هو قادر على النظر إليه وفهمه.

ولكن ما الذي تعنيه كلمة «الانتماء» إذن لخبرة الذات التي يعيشها الانسان – والتي فيها يستطيع حقاً فهم معنى هذه الكلمة؟ إن الشيء الأول الذي يظهر من فحص الخبرة هو دليل لا يزال في مرحلة اللاوعي ثم يدخل تدريجياً في دائرة الوعي بأن وجود الانسان يتوقف على (آخر) وأنه مخلوق. ويقول كتاب «الحس الديني» في الفصل الأول: «في الحقيقة، يؤكد الإنسان ذاته حقًا فقط من خلال قبول الواقع إلى درجة أنه يبدأ في تأكيد نفسه بقبول الوجود: أي بقبول واقع لم يأتي به».[6] هذا هو السبب الذي يجعلنا نقول: أن الإنسان ينتمي إلى الله. ثم يدفع العقل نفسه هذا الدليل النهائي على تبعيته لله، باعتبار تبعية الإنسان لآخر خارج عنه، إلى درجة الانتماء إلى الأدوات التي يمكن لله استخدامها، أي الأسرة والمجتمع. غالبًا ما يبدو هذا الانتماء غير ملائم: فعلى سبيل المثال عندما يصبح الوالدان بلا مصداقية ومتناقضين في قلب الأنا؛ أو، قبل كل شيء، عندما يأخذ المجتمع سلطة تسعى وتدعي «إراحة» الإنسان من أي تأثير آخر عليه، حتى من

---

[5] راجع أليكسيس كاريل، خواطر حول سلوك الحياة، عمل سبق ذكره، ص ٣٥؛ راجع الأب لويجي جوساني، الحس الديني، كتاب سبق ذكره، ص ٣.

[6] الأب لويجي جوساني، الحس الديني، كتاب سبق ذكره، ص ١٢.

الوالدين أنفسهم. فالدولة تنظر إلى الإنسان باعتباره فرد، وعامل يخدم مصالحها.

بهذا المعنى، تكون الصلاة المبنية على المزامير الكتابية هي حقًا جديرة بالثناء والتعزية. إذ يقول المزمور ١٣٩: «أنتَ مَلكْتَ قلبي، وأدخلْتَني بَطْنَ أُمِّي. أحمَدُكَ لأنَّكَ رَهيبٌ وعجيبٌ. عجيبةٌ هي أعمالُكَ، وأنا أعرِفُ هذا كُلَ المَعرِفةِ. ما خفِيَت عِظامي علَيكَ، فأنتَ صَنَعْتَني في الرَّحِمِ، وأبدَعْتَني هُناكَ في الخفاءِ. رأتْني عيناكَ وأنا جنينٌ، وفي سِفْرِكَ كُتِبَت أيّامي كُلُّها وصُوِّرَت قَبلَ أنْ يكونَ مِنها شيءٌ».[7] وتتبعه ذات الانسان، ومن الخبرة يحدد الإنسان الحاجة والدليل على التبعية الشاملة. فكما أن العقل يسعى من الناحية البنيوية، بطبيعة الحال إلى فهم الواقع وفقًا لمجمل عوامله، فإن الخبرة الانسانية بالمثل تحدد الحاجة والدليل على التبعية الشاملة على مصدر وجوده كما هو، تبعية شاملة. وأقل من ذلك، فإن الإنسان يصير «مشتتاً» ويتوقف عن استخدام أي شيء من ذاته.

يساعد الكتاب المقدس مشاعر الإنسان بخبرته: فالكلمات التي يجدها الإنسان في تواصله العارف والواعي بمحيطه تركز على انتماء الانسان الجذري لخالقه، وتقول شيئًا لا مفر منه للذات الانسانية، لقمة الخليقة التي هي الذات. فمن الواضح أنه لا يمكن التعامل مع الذات على أنها ظهور غير متسق للكون، ولكن، كما يقول عنه المزمور الثامن، باعتباره قيمة عليا، أي القيمة التي من أجلها أحب الله أن يخلق الكون: «ما الإنسانُ حتى تذكُرَهُ؟ اَبنُ آدمَ حتى تَفتَقِدَهُ؟. ولو كُنتَ نَقَّصْتَهُ عَنِ الملائِكةِ قليلاً، وبِالمَجدِ والكرامةِ كَلَّلتَهُ».[8]

إن الانتماء المناسب للمخلوق (بالمعنى العام) يعني في الواقع تطورًا يمكن للإنسان لمسه والوعي به. فالتغيير إذن – لكل الطبيعة ولجميع المخلوقات ولكن للإنسان أيضًا – هو قبل كل شيء اختلاف عن اللحظة السابقة التي يمكن للإنسان اكتشافه بوعيه. وتهيمن فكرة التغيير على الروح الدينية، كما هو الحال بالنسبة للقديس أغسطينوس، على سبيل المثال، الذي تخيل أن الله قد خلق العالم من خلال خلق «المبادئ الأولية»،[9] وخلقه كبذور لكل شيء (والذي هو، في نهاية الأمر، مشابه جدًا للتفسير الذي يقدمونه العلماء عن تطور الأرض والكون). لكن بالنسبة للإنسان فقط، يقع حدث حيث

---

[7] مز ١٣٩ (١٣٨) : ١٣ - ١٦.

[8] مز ٨: ٥-٦.

[9] راجع القديس أغسطينوس، سفر التكوين، المعنى الحرفي لسفر التكوين في ١٢ كتاب، الرابع، ٣٣؛ التاسع، ١٧؛ العاشر، ٢٠؛ راجع أيضاً القديس أغسطينوس، الاعترافات، الفصل الثالث عشر، فقرة ٤؛ الكتاب الخامس عشر عن الثالوث، الثالث، ٨، ١٣؛ السادس، ٧، ٨؛ مدينة الله ضد الوثنيين، العاشر، ٢١؛ الثاني عشر، ٢.

ينكشف له السر الذي ينبثق منه تمامًا في سر كيانه وفي سريته ككائن بذاته؛ لذلك ، في علاقة الانسان بالكائن بذاته، أي سر الله، تكون لديه القدرة على معرفته وأيضًا القدرة على العمل على الكون بأكمله كشخصية متحركة مُقلِداً الله. في الواقع، يستمر المزمور الثامن بقوله فجأةً: «سَلَّطْتَهُ على أعمالِ يدَيكَ، وجعلْتَ كُلَ شيءٍ تحتَ قدَمَيهِ: الغنَمَ والبقَرَ جميعًا، وبَهائمَ البَرِّ أيضًا، وطيرَ السَّماءِ وسَمَكَ البحرِ وكُلَ ما يسيرُ في سُبُلِ المياهِ».[10]

«لقد أعطيت كل شيء في يديه». إن نصوص ماركو بيرسانيللي المنشورة في مجلة «آثار» هي تأكيد رائع، حتى وإن تم ذكرها، لما قيل في المزمور الثامن. وعندما نتحدث عن الكون المتوسع يتضح أن هذا الكون كان سيخلق لظهور الأنا، وحتى يمكن أن تنهض تلك النقطة المسماة «أنا» في الكيان المشوش للأشياء وفي الكون الهائل و المحدود في نفس الوقت وحيث يصبح الكون كله واعياً. وبالتالي يصير الكون كله واعياً بذاته، ويفهم ماهيته وما يؤول إليه مصيره في هذه النقطة التي هي الأنا، أي الانسان. لكن الأنا تنتمي أيضاً إلى آخر (الله)، أي إلى من ينتمي إليه الكون.

إن طبيعة الإنسان في هذه المرحلة تنير النتائج الأولى الحاسمة لهذا الانتماء إلى الله. فعلى سبيل المثال، طبيعة الإنسان هي حرية لأن أصلها بالكامل هو في الكائن بذاته، في السر (الله). فطبيعة الحرية تحديدًا هي الاعتراف بهذا الأصل الكلي، أي أصل العلاقة مع الله (لهذا السبب استشهدت بالمزمور الثامن). الأنا هي علاقة مع اللامتناهي، ولا يوجد شيء بينهما؛ أي أن السر (الله) خلقه كعلاقة معه. والحرية هي التمسك بالكائن بذاته. وهكذا تؤكد كل أحداث الخلق للإنسان أن أصل وجوده هو من «شيء» سابق عليه، هو السر (الله) الذي لا يمكن دحض امتلاكه للواقع.

«لا يمكن للإنسان أن يكون مكتفياً بذاته؛ وإلا ما أتى إلى الوجود. وهنا يكمن سر وجود الإنسان»،[11] كما يقول بردياييف. فكي يكون الإنسان حراً لا يمكن أن يكون مكتفياً بذاته: وهذا هو التناقض الذي يصدم أو السؤال الذي يغذي رغبة الإنسان في فهم أعمق. لكن المخلوق ينتمي إلى هذا السر (الله)، لذا فهو بالتأكيد ليس تناقضًا: فعندما نقول أن الإنسان لا يمكن أن يكون مكتفياً بذاته يعني أننا نقول كيف هو الإنسان. إذ يكمن سر الوجود في حقيقة أن الإنسان موجود لعدم قدرته على الاكتفاء بذاته.

---

[10] مز ٨: ٧ - ٩.

[11] ن. إ. بيرداييف، ملكوت الروح و مملكة قيصر، منشورات الكومونيتاه، ميلانو ١٩٥٤، ص ٢٨.

إن السر هو ما وراء (حدود إدراك الانسان)، أي هو المتجاوز، مهما كان تفكير الانسان فيه سواء قريباً أو بعيداً. فالمخلوق ينتمي إلى هذا السر (الله). إن انتماء المخلوق إلى السر ليس هو فقط في الرجفان بحقيقة الحرية؛ لأن الحرية تعني أيضًا إمكانية التعبير الأصيل، أي الإبداع، من جانب الإنسان. وهذا ما يوضح، من وجهة نظري، كل المزمور الثامن لداود النبي. أن الإنسان أعظم من أي شيء آخر، بل هو النقطة التي تصبح فيها رؤية شمولية الكون شفافة، أو تميل إلى الشفافية. وكان من الممكن أن يخلق الله الكون من أجل ذات واحدة فقط. لكن على العكس من ذلك، كلما إزداد زحام الجموع، كلما ازداد عدد الناس الذين يمجدون الله! فالإنسان عظيم لأن العلاقة مع الله تجعله عظيماً. وحتى لو، في نظرنا، عند لمس اليد الانسانية التي تريد أخذه، أمام الاحتياجات التي يبدو أنها لدى المجتمع، ما هو الإنسان بالاطلاق؟ الذي لديه هذا النوع من الفكر حتى تجاه الأطفال و ليس فقط تجاه كبار السن. ثم يتم نسيان الطفولة والشيخوخة، على مدار السنوات التي يكون فيها الانسان مُشتت الذهن ومنجذباً إلى ما يفعل أو أو ما يبدو أنه يفعله. لكن «الله هو الكل في الكل».

٢) إنكار الانتماء وعواقبه

الانسان – الانسان الواقعي، أنا وأنت – لم يكن موجوداً، والآن هو موجود، وغداً لن يكون له وجود: إذن يتوقف الأمر. إما على تدفق أسلافه الزمنيين، وهو عبد للسلطة، أي لأولئك الذين لديهم مساحة أكبر للامتلاك؛ أو يتوقف الأمر على ما هو أصل تدفق الأشياء، الذي يتجاوزها، أي على الإله. فالاله فقط هو الذي يستطيع أن يُخلص، والذي يمكن أن يضع الإنسان في مكان لائق.

وتؤكد اليهودية هانا أرندت بحساسية شديدة تجاه الحافة الذي نشعر بها: «أنه بدون الفعل و بدون القدرة على بدء شيء جديد وبالتالي صياغة البداية الجديدة التي تتدخل في العالم بولادة كل كائن بشري، حياة الانسان، الممتدة بين الولادة والموت، سيتم إدانة الانسان حقاً بدون إمكانية الخلاص [...]. إذ يعتبر الفعل، بكل عدم اليقين، كتذكير دائم لجميع البشر، حتى لو تحتم عليهم الموت، إلى أنهم لم يولدوا ليموتوا بل لبدء شيء جديد. كما قال القديس أغسطينوس: «لتكن هناك بداية فقد خُلِقَ الانسان». فبخلق الإنسان، دخل إلى العالم مبدأ البدء – ما هو بوضوح مجرد طريقة أخرى للقول أنه بخلق الإنسان،

ظهر مبدأ الحرية على الأرض».[12] ويصبح الإنسان إنسانًا عندما يبدأ شيء ما؛ لكن الإنسان يبدأ دائمًا بشيء ما، دائمًا: إذ يبدأ المخلوق فور ولادته في القيام بشيء، وتطورات هذه البداية تبقى بين يدي الله، أي بين يدي من ينتمي إليه الإنسان.

إن الثقافة الحديثة، سواء من اليمين أو اليسار، التي أزاحت كل الوجود المعترف به للقيمة القديمة للعالم السابق، تتوج أهميتها التربوية بإلغاء الماضي، السابق، وبالتالي تدمير قيمة الانتماء. إذ يتم تبديل قيمة الانتماء بالحضارة الحديثة والثقافة الحديثة وبالحرية التي لا تتمسك بحضور الكائن بذاته كسر (الله)، وهكذا تشكل مصدرًا للأكاذيب. ففي الواقع، يقول يسوع أن الشيطان هو «أبو الكذب».

إن عدم التمسك بالكائن بذاته (الله) هو قتل للحرية. لذلك، فإن الثقافة الحديثة، من خلال تأكيدها على أن الإنسان هو مقياس كل شيء، تقوم في الواقع بقمع الحرية وتخنقها، لأنها لا تسمح لها أن تكون كذلك، ولا يمكنها السماح لها بأن تكون كذلك، أو تصورها، أو امتلاكها إلا باعتبارها كذبة كما يقول يسوع: «لِماذا لا تَفهَمونَ ما أقولُهُ لكُم؟ لأنَّكُم لا تُطيقونَ أنْ تَستَمِعوا إلى كلامي. فأنتُم أولادُ أبيكُم إبليسَ، وتُريدونَ أنْ تَتَّبِعوا رَغَباتِ أبيكُم، هذا الّذي كانَ مِنَ البَدءِ قاتلاً. ما ثَبَتَ على الحقِّ، لأنْ لا حَقَّ فيهِ. وهوَ يكذِبُ، والكَذِبُ في طَبعِهِ، لأنَّهُ كَذّابٌ وأبو الكَذِبِ».[13]

فبالإضافة إلى كونه كاذبًا، فإن انسان الثقافة الحديثة عنيف أيضًا: إذ أن الانكار النظري، ولكن قبل كل شيء الانكار العملي لانتمائنا إلى الله هو كذب ومصدر للأكاذيب وبالتالي للعنف، لعنف طويل الأمد مثل أمد التاريخ في جميع مجالات وعلاقات المجتمع (وبالتالي في الأسرة أيضاً، وحتى في أكثر الصداقات شهرة، ومع أولئك الذين يقاتلون معنا ومع أولئك الذين يتعاونون معنا في العمل). إن أي علاقة إنسانية هي عنف إن لم تكن وعي بالمصير، وبالتالي إن لم تكن وعيًا بالانتماء إلى شيء آخر.

ويصل هذا العنف إلى الدرجة التي فيها يمكن تسمية نفسه «عدالة»، حيث تميل القوانين إلى أن تكون الحل لجميع مشاكل الإنسان في المجتمع، كما لو أن الإنسان ينتمي بالكامل إلى المجتمع الذي هو فيه. لكن النفس، أو العلاقة مع الله، ليست خارج المكان الذي يمكث فيه الإنسان بجسده، ويأكل أو يستقبل أصدقائه، ولا يخرج من هناك: فالنفس ليست شيئًا آخر، وهذا يجب أن يقال عن كل أفعال

---

[12] هانا أرندت، وظيفة وعمل وفعل. أشكال الحياة النشطة، أومبري كورتي، فيرونا ١٩٩٧، ص ٧٠.
[13] يو ٨: ٤٣ - ٤٤.

الإنسان، لأن همه الأولي أو الأقوى يجب أن يكون ارتباطه بالله، أي العلاقة مع الله.

ومع ذلك، فإن الكثيرين اليوم، بمن فيهم الكهنة وعلماء اللاهوت، يميلون إلى إبراز «التربية على الشرعية» كقيمة أساسية؛ وبينما يقولون أشياء من هذا النوع، ينسون أن قوانين الإنسان متحيزة دائمًا ويحكم عليها دائمًا قانون الله. فلا يمكن عزل العدالة بحرمانها من جميع الجوانب وجميع العوامل التي يمكن لحكم قاضي أن يصيب بها انسان.

يقول حزقيال: «لأَنَّهُم رفضوا أنْ يعمَلوا بأحكامي وفرائِضي» و «ودنَّسوا سَبتي وتعلَّقَت قلوبُهُم بأصنامِ آبائِهِم. [ورثوا أخطاء آبائهم]. ثم.أنا.» كما يقول الرب «فأعطيتُهُم فرائِضَ غَيرَ صالحةٍ وأحكامًا لا تؤدِّي إلى الحياةِ،».[14]

يجب الحكم على سلطة المجتمع، التي تتحول أيضًا إلى قوانين، من خلال قانون آخر هو على وجه التحديد قانون الانتماء إلى الله: وهو القانون الشامل، حتى يمكن لكل مشاركة عابرة في الانتماء الكبير إلى الله (بما في ذلك الأسرة والمجتمع والدولة) أن توجد فقط في المقارنة التي لديهم مع القانون الأبدي، أي مع قانون الله. لذلك، حتى لو كان لديهم تنازل متعجب ومندهش من جانب قراء صحيفة، فلن يتركهم الله في هدوئهم. قد يكون هناك تغيير يبدو أن القانون يضمنه، لكنه لن يكون تغييراً حقيقياً و لا أخلاقياً، لأن الإنسان ليس نتاج المجتمع، والقانون لا يمكن تفسيره فقط باعتباره رأي الدولة الذي تهزه العدالة بعنف، لذلك تضع الدولة نفسها كقانون للسلطة، أي كإله تقريباً.

العنف والعبودية. إن الافتقار إلى الهوية بين الحرية والانتماء، أي حرية غير مدفوعة بالانتماء، هي نذير لحروب الضخمة.

ويقول نيتشه، بطريقة غريبة، في كتابه 'هكذا تحدث ذرادشت': «أنا لا أحب عدلكم البارد، وفي عين قضائكم، يضيء الجلاد بسيفه الجليدي دائمًا بالنسبة لي. تقولون: أين العدالة التي هي حب ولها عيون لترى بها؟ اخترعوا لي، إذن، الحب الذي يحمل على عاتقه ليس كل الأحزان فقط، بل جميع الخطايا أيضاً».[15]

وتواصل هانا أرندت ملاحظتها بذكاء قائلةً: «إنه أمر مثير للاهتمام أن محاولة إنقاذ الطبيعة البشرية على حساب الحالة الإنسانية تأتي في وقت ندرك فيه جيدًا [...] أن محاولات تعديل طبيعة الإنسان بالتعديل الجذري لأوضاعه التقليدية. ليس للتجارب المختلفة التي أجراها العلم والسياسة الحديثان «لتكييف وضع»

---

[14] حز ٢٠: ٢٤-٢٥.

[15] راجع فريدريك فيلهلم نيتشه، هكذا تحدث زرادشت، أديلفي، ميلانو ١٩٩٦، ص ٧٦.

الانسان أي غرض آخر غير تغيير الطبيعة الانسانية باسم المجتمع».[16] يحدد المجتمع هوية الطبيعة البشرية باعتبارها نظام، وبالتالي كسلطة.

«قالَ الجاهلُ في قلبِه: ''لا إلهَ!''» .[17] لقد أصبحت هذه الحماقة نظرية العالم. لذلك نحن أيضًا نضل الطريق، ويمكننا أن نضل الطريق ونحن نشعر بالانسحاق تحت وطأة موجة يبدو فيها الجميع أنهم متفقين على ذلك. لكنه جاهل و أحمق! ففي الواقع، يمكن قتل جميع من يؤمنون بالله في دولة ما (كما فعلوا مع المسيحيين مرات عديدة)، لكن لا يمكن التخلص من الله الذي في وسطهم، لأنه في صميم بنية وعينا وهو المصدر الوحيد للوعي بالذات، لذلك الوعي بالذات هو إثراء لا ينقطع، و يمكن أن يكون حدث اكتشاف مستمر للحقيقة التي- لا تصبح أبدًا هدفًا لقدرتنا على الفهم.

إن المشكلة جذرية، لأن هناك عالمين يواجهان بعضهما البعض: عالم يقبل انتمائه إلى الله والآخر لا يقبله. هناك من يقولون أنهم لا يقبلون، أو يرفضون، أو بالأحرى يشعرون بالصدمة من مفهوم الانتماء الذي نؤكد عليه الآن، ويعيدون القول بأن الإنسان هو مقياس كل شيء. ولكن إذا كان الإنسان هو مقياس لكل شيء ناسياً المأساة التي تمر بها حضارتنا الغربية لتأكيدها الحماسي وغير المنظم، بأن الانسان لا يمكن اكتشافه إلا باعتباره مُنكِر للانتماء; ويسعى هذا الانكار للانتماء الذي يعتبر إنكاراً لله إلى أن يصبح إنكار الانتماء إلى كل شيء آخر (للصحبة ولتاريخ الوطن وللصداقة). ومع ذلك، لا يمكن للإنسان الذي هو مقياس كل شيء، لإنكار الانتماء إلى الله، الهروب من الانتماء لتصورات مسبقة (التي لا يمكن منعها إلا بالكلمات)، والتي، حتى لو لم تكن واعية، تجعله يتصرف وفقًا للتأثيرات غير العقلانية.

نقول لأولئك الذين يتجنبون الانتماء إلى الله أنه بدونه لا يوجد تاريخ ولا تقليد (لكن، إن تم الاعتراف بالانتماء إلى الله، فمن المستحيل عدم شعورنا بالماضي، أي ما أوجده الله قبلنا). وبالتالي، لن تكون هناك مأساة للأنا بعد الآن، حيث لا توجد حرية. ففي الواقع، نحن لا نقارن أنفسنا بالعدم أو بشيء عديم الفائدة، أو بأخلاق مجردة! بل كما قال كامو، «علينا لقاء الحب قبل لقاءنا بالأخلاق. فخلاف ذلك هو العذاب».[18] لكن الحب الذي هو؟ فالحب لا يمكن أن يكون إما محاولة للتملك لأهداف عابرة سريعة الزوال أو صحبة في الطريق،

---

[16] هانا أرندت، اللغة الأم، ميميسيس، ميلانو ٢٠٠٥، ص ٧٧.

[17] راجع مز ١٤ (١٣) : ١؛ مز ٥٣ (٥٢) : ٢.

[18] ألبير كامو، مفكرات شخصية (يناير ١٩٤٢ - مارس ١٩٥١)، المجلد الثاني، بومبياني، ميلانو ١٩٩٢، ص ٢١٧.

على الطريق – في جميع الأحوال وبدون أي تأخير – والذي يبدأ من الرغبة في مصير الآخر. «فقبل لقاء الأخلاق، على الانسان أن يلتقي بالحب»؛ أي يجب «استعادة الأخلاق من خلال الأنت». [19] إن هذان التأكيدان لكامو مهمان للغاية وصحيحان ويقتربان من مفهومنا للأخلاق المسيحية، لأنه بدون قول بطرس لكلمة «نعم»، نعم ليسوع، لما كان في أخلاق هادئة: فربما تدفع أخلاقه الثمن للهيكل وللسياق اليهودي.

إذن، كل من يخرج من الانتماء إلى الله، فهو غريب على الجميع. وبتعريفه فقط من خلال معايير اقتصادية وتجارية، هو يعيش انتماء آخر، ظاهري، غير موجود، وهو الموقف الوحيد لإنكار انتماءه لله: إنه ينتمي إلى العالم، لذلك قال يسوع: «لا أُصَلِّي لأَجْلِ العالَمِ». [20]

وتقول هانا أرندت مرة أخرى: «إن العدم يصبح بديلاً عالميًا للواقع، لأنه يجلب الراحة. راحة لكن بدون واقع. إنها مجرد راحة نفسية ومهديء للقلق والخوف». [21] «عندما يُحرم الإنسان من جميع وسائل تفسير الأحداث، يُترك دون أي إحساس بالواقع». [22] النظام له هذا التأثير.

وهكذا، كما يقول ماريو لوتزي بتعبيره الحاد: «في الإنسان الحديث، لم تعد طلبات ودعوات الذاكرة تتوافق مع دعوات الرجاء، لكنهم يعيشون بشكل مستقل». [23] فالإنسان مدعو لشيء لا يلبي رجاؤه الذي فيه بالفعل؛ ويقوم على الفور بفعل أشياء لا يقترحها عليه رجاؤه، وبالتالي هذه الأشياء الغريبة على الانسان تدمر خطواته.

أود الآن أن أسعى جاهداً إلى استكمال ما قلته، مشيرًا إلى أكثر الخصائص إثارة للإعجاب التي يتم فيها ترجمة المفهوم المسيحي للانتماء إلى الله، والانتماء إلى السر الذي يصنع كل شيء: إنه مثل نور يجب أن ينير جميع العلاقات، بحيث تكون العلاقة مُتناسبة ومُعاشة بطريقة جيدة.

---

19 نفس المؤلف المذكر أعلاه، ص ٨٢.

20 يو ١٧: ٩.

21 هانا أرندت، حياة العقل، المولينو، بولونيا ١٩٨٧، ص ٢٤٩.

22 هانا أرندت، العبرانية والحداثة، فيلترينيللي، ميلانو ١٩٩٣، ص ١٢٧.

23 ماريو لوتزي، الجحيم وعالم النسيان، السدجاتوري، ميلانو ١٩٦٤، ص ١٧.

٣) تاريخية الانتماء

نحن ننتمي إلى السر، أي ننتمي إلى الله، ولكن بأي طريق نذهب إليه، إلى السر؟ إذا تعرفنا في داخلنا على الانتماء إلى السر، فأي طريق يمكننا أن نسير فيه لنلتقي به؟ كيف يمكننا معرفة الطريق الذي رسمه كاستجابة لهذه الحاجة إلى الانتماء؟ لأن الانتماء هو عبارة عن اقتراح واعتراف وامتثال حياتنا لذلك الاعتراف ولتلك الخبرة المباشرة للانتماء إلى نقطة الارتكاز المشار إليها. هل قام السر (الله) برسم مسار أي إجابات لهذه الفكرة أو لهذه الحاجة إلى الانتماء؟ هل رسم السر (الله) بعض المسارات؟ نحن ننتمي إلى السر (الله). وبالتالي، بأي طريق يريدنا؟ كيف نعيش هذا الانتماء للسر؟

إن الانتماء إلى الله، كعامله الجوهري، يتضمن التاريخية. فالتاريخية تعني الأشخاص والأشياء التي نعرفها والتي يمكن لمسها ورؤيتها؛ وهذا يعني الأشياء التي تخصنا والتي يمكن التلاعب بها، لكونها ملكنا. إن الانتماء إلى الله، باعتباره العامل الجوهري، يعني ضمناً التاريخية: لقد كانت ولا تزال هذه عبقرية الخالق، الذي جعل ربوبيته محسوسة وملموسة بطريقة معينة. لهذا يُدعي الرب: فهو الرب. لنتذكر تلك اللحظة التي تحدث فيها موسى إلى الله على الجبل، ومر الله بالقرب منه مختبئًا داخل سحابة قائلاً: «فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ. وَنَادَى الرَّبُّ: ''الرَّبُّ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الْإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ''».[24]

أ) اختيار شعب

يؤكد اليهود والمجتمع المسيحي بوضوح على أن الله هو أساس انتماء كل انسان: انتماء لأي إنسان، حتى لو لم يكن يهوديًا أو مسيحيًا. ولكن هناك اختلاف جذري (حتى بين الاثنين: اليهودي والمسيحي).

إذ لا يمكن لأي انسان أن يتكلم عن الانتماء إلى الله بدون أن يدرك ويتبع ويقتدي بكل ما قرر الله أن يعرفه الإنسان، لأن الله يعلن عن ذاته في التاريخ. فالتاريخ هو الزمان والمكان الذي يبحر فيه الإنسان نحو مصيره.

[24] راجع خر ٣٤: ٥ - ٧.

ويتضح تاريخ العالم كله في خيط يبدأ من رجل من بلاد ما بين النهرين، إبراهيم. اختاره الله ليعرف ذاته للبشر ويخلص الذين أبحروا في نسيان التام أو في تأكيد على شمولية وفقًا لمقياسهم الخاص. وتشكل الأديان الأخرى تفسيراً يعطيه الإنسان عن السر (الله). لكن اختيار إبراهيم هو اللحظة الأولى التي يمكننا فيها تلقي تفسير مفهوم وملموس لعلاقتنا مع السر (الله). ويقول الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر: «إن الله يريد أن يدخل العالم الذي هو ملكه، لكنه يريد أن يفعل ذلك من خلال الإنسان: وهذا هو سر وجودنا، الفرصة الخارقة للجنس البشري!»[25]

ويترك إبراهيم أرضه بدافع من الثقة الخالصة بالله. ويتواصل الله مع ذلك الانسان، وفي سر حضوره، قبل المسيح بألفي سنة ، ويبني فيه القدرة على التفكير، وعلى الحس الداخلي برباط مع ذاته لا يوجد في أي مكان آخر بالعالم. إنه أمر لا يمكن تخيله، ولا تصوره لصعوبة العثور على مترجمين مناسبين. كان إبراهيم هو مصدر هذه الفكرة النقية عن الله والتي كانت في كل التاريخ اليهودي.

ومركز هذه العلاقة التي أقامها الله مع إبراهيم ونسله هو الاختيار. فقد تم اختيار إبراهيم كأب لشعب جديد.

وتكشف طريقة الانتخاب أو الاختيار أو الامتياز عن الطريقة الخاصة الموجودة في داخل أحداث التاريخ الحقيقي، لإبلاغ الإنسان عن ما هو السر (الله). إذ يتواصل السر مع الانسان الذي يختاره وإلى الشعب الذي يمنحه امتيازاً بكشف ما يريده عن ذاته. ولا يمكن حتى تخيل كيفية الحد من حرية الله!

وتدخل عملية الاختيار إلى التاريخ بادعاء قوي بأنه مُعلِم للعالم كله .فمن المزامير، نرى أن اليهود، حتى في زمن يسوع، كان لديهم شغف ورغبة محمومة في الذهاب للتبشير. وكانت حياتهم وحياة مجموعاتهم أداة للتبشير الذي كانت مهمته تعريف العالم بهذا الاله، الذي ورثوا عنه مفهومًا واضحًا، قبل كل شيء باعتباره قوة شاملة وباعتباره غموض («لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي يَقُولُ الرَّبُّ.») [26] وباعتباره العدالة.

وتعلمنا عملية الاختيار أن الله يجعل نفسه معروفًا بطريقة عارضة وملموسة في الزمان والمكان (كم هو حسن حظ الزمان والمكان اللذين يدخل فيهما الله: إذ لا يوجد شيء آخر أجمل من ذلك في

---

[25] مارتن بوبر، مسيرة الانسان. حسب تعاليم الطائفة اليهودية الحسيدية، منشورات كيكايون - جماعة بوزي، مانيانو (بيلا) ١٩٩٠، ص ٦٣-٦٤.

[26] أشع ٥٥ : ٨.

العالم). وأطلق اليهود على هذا المكان اسم الهيكل حيث يتواصل فيه الله مع البشر ويدينهم.

ولا يوجد شعب في العالم له مثل هذه العلاقة مع الله. وقد تأثرت الشعوب الأخرى، وكانوا يستمدون النور ليفهمون في وجودهم ما كان واضحًا هناك. لذلك تضع قراءة القديم وما يولد بعيدًا منذ أصل الأشياء، الإنسان اليهودي في مركز الكون بالنسبة للوعي البشري. وتم استثمار وإثراء الوعي البشري في الواقع من خلال الترجمة الوجودية للانتماء إلى الله، إلى إله الهيكل، لأن طريقة تصور العلاقة بين الله والإنسان في المجتمع اليهودي كانت الهيكل: النصيحة أو المساعدة التي كان يعطيها الله في الهيكل.

«هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ''قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا وَاسْأَلُوا عَنِ السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ: أَيْنَ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّالِحُ؟ وَسِيرُوا فِيهِ فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: لاَ نَسِيرُ فِيهِ!''». [27] والماضي ليس «الماضي»؛ فالماضي هو تشكيل الحاضر. و«تذكر» يقول موسى قرب نهاية حياته «أُذكُرِ الأَيَّامَ الغابِرَة واعتَبِروا السنينَ جيلاً فجيلاً. سَلْ أَباكَ يُخبرْكَ وشيوخَكَ يُحَدثوكَ». [28] لكن كل الثقافة الحديثة هي التي تشعر بالانتماء كعدو، لأن «القدماء والسنوات البعيدة» هي كلمات تشير إلى هذا الأصل السري لما يبث الحياة فينا والذي، كما نعلم، يجعلنا نتصرف.

إن أثقال ذلك الشعب أكبر من كل التيارات الدينية الأخرى، لأن وحدة وقداسة الله، أي السر «تقعان» على عمل كل يوم. إذ تدرك النفس والوعي تدخل الله هذا، لكن الجسد يثقل كاهل النفس، والجسد الذي يَفسد يحد من اتساع النفس («et corpus quod corumpitur aggravat animam»). [29] لكن الله، اله الكتاب المقدس يفرض نفسه. وتدخل وحدة الله وقداسته في الحياة اليومية. « اِسمَعْ يا إِسْرائيل: إِنَّ الرَّبَّ إِلهَنا هو رَبٌّ واحِد. فأَحبِبِ الرَّبَّ إِلهَكَ بكُلِّ قَلبكَ كلِّ نَفسِكَ كلِّ قُوَّتكَ. ولتكُنْ هَذه الكَلِماتُ الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها اليَومَ في قَلبِكَ. ورَدِّدْها على بَنيكَ كلِّمْهم بِها، إِذا جَلَستَ في بَيتِكَ وإِذا مَشَيتَ في الطَّريق وإِذا نِمْتَ وقُمْتَ. وأعقِدْها عَلامةً على يَدِكَ، ولتكُنْ عَصائِبَ بَيْنَ عَينَيكَ. واَكتُبْها على دَعائِم أَبْوابِ بَيتِكَ». [30] وهذا كي نقول كم يتطلب الانتماء إلى السر (الله) ويتضمن اختراق السر لكل عظامنا وكل لحمنا وكل ما نفعله. فالله هو الكل في الكل.

---

[27] أرم ٦: ١٦.
[28] تث ٣٢ : ٧.
[29] حك ٩ : ١٥.
[30] تث ٦ : ٤ - ٩.

إن قرار السر باختيار شعب لنفسه كوسيلة لدخوله إلى العالم وكمعرفة وعمل، هو مخاطرة يتخلى فيها السر نفسه عن ذاته لتعميق وإنضاج انتماء الوجود الانساني إليه من الوجود البشري وبالتالي ضمان الوعي بأمد حقيقة أن الناس والفرد ينتمون له داخل الاحتمالات التي يستثمرهم فيها.

إن الأمر باختصار هو كأنما قال السر: «أريد ونريد اعترافاً من اللاشيء». كيف يمكن الحصول على اعتراف من لا شيء؟ وما الذي كان يجب على العدم قوله أمام الكائن بذاته؟ إن الأمر حقيقي لدرجة أن الطريقة التي نتحدث بها هي طريقة خيالية! ويبدو الأمر كما لو أن الثالوث قد قال: «لنفعل شيئًا يمكن للآخرين من خلاله التعرف علينا». وكأن الله قد سُرَّ بقوله: «حتى العدم يجب أن يسمعنا ويوافق علينا. والعدم يجب أن يقول: "أنا عدم، لكنك أنت تكون"». وكيف فعل الله ذلك، وخلق شيئًا كهذا؟ لقد خلق الإنسان والذات الانسانية، التي هي حرية. لكن ما هي الحرية؟ الحرية هي الاعتراف بالكائن بذاته (الله)، والتمسك به. لذلك، فإن عدم الاعتراف بالكائن بذاته «يقيد» الكينونة التي وهبنا إياها ويجبرها ويخنقها ويضعفها؛ وبغباء بعد ذلك يجد الانسان من هذا الضعف ومن هذه التناقضات التي وضعها الله والحياة أمامه، ذريعة للتفلسف واستخلاص عواقب كثيرة: كأنما كان هناك حريقًا في بيته، وبدلاً من أن يلقي الماء على النار يلقي بالماء بعيداً في الاتجاه المعاكس للنار.

إن قرار السر (الله) باختيار شعب لنفسه هو مخاطرة يتخلى فيها السر نفسه عن ذاته. ويصير الزمن الذي يمر تقدمًا في التاريخ. ويتألف التاريخ من أحداث: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. إنه نهر وواقع متحرك يُولد من مبادرة السر (الله)، من خلال ينبوع تاريخي، وإبراهيم، عبر ينابيع تاريخية وعبر قادة شعبه من بعده. لذلك من المثير للإعجاب أن يستخدم الله شعبًا وأن هذا الشعب «يدعي» بأنه مختار (وكان علينا نحن أيضًا أن نعطي عنواناً لمجلد عن المسيحية "في أصل الزعم المسيحي").[31] وبحدث وراء حدث يتأكد وجود عائلات معينة و قبائل معينة يحددها جميعاً الموقف الأصلي للأب. وبنفس طريقة القبيلة السابقة، أقاموا علاقات مكثفة كانت زاخرة بالمعنى. وكان المحور الأكثر شهرة وأعظم نقطة لكل هذا: هو موسى. ففي زمن موسى، كان التاريخ مشبعًا بالفعل بعوامله الخاصة، وأنه صار أعظم قائد وأعظم معلم مستدعي للرباط الذي يربطهم بالله، ولاحترامه وحبه للمكان الذي تم فيه استدعاء خبرة الانتماء مرة أخرى وحيث وجدوا

[31] راجع الأب لويجي جوساني، في أصل الزعم المسيحي، ياكابوك، ميلانو ١٩٨٨. أعادت نشره دار ريتسولي للنشر في عام ٢٠١١.

بوادر وعلامات الرجاء الذي إنطلق منه جموع الشعب وبه قبلوا المُضي في مسيرتهم (الى أرض الميعاد) .

لذلك يحدد العهد الطريقة العليا للعلاقة بين الإنسان والله، وبين الإنسان المختار والله (حتى يقوم الانسان المختار بإعلان هذا للعالم أجمع: إلى شعبه ومن خلال شعبه إلى العالم بأسره). واكتملت هذه الطريقة، التي بدأت مع شعب الكتاب المقدس، باعتبارها تحقق نهائي في الشعب المسيحي. لذلك، كل من يختاره الله، لينتمي إلى الله، يجب أن ينتمي إلى هذا الشعب (لهذا السبب قلنا أيضًا أننا يهود). « وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: ''أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً. فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأُكَثِّرَكَ كَثِيراً جِدّاً''. فَسَقَطَ أَبْرَامُ عَلَى وَجْهِهِ. وَقَالَ اللهُ لَهُ:».[32] ليس هناك أي قصة أدبية تحكي أشياء بهذه الدرامية.

كما يقول جوزيف روث في كتابه ''يهود تائهون'':«لا يوجد شعب في العالم لديه مثل هذه العلاقة مع الله. إنه شعب قديم عرف الله منذ زمن بعيد! واختبر صلاحه العظيم وعدالته التي لا هوادة فيها، وكثيرا ما ارتكب الخطايا التي كفَّر عنها بقسوة، ويعلم أنه يمكن أن يتعرض للعقاب، لكن بلا تخلي من الله عنه».[33]

«أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ وَتَكُونُ أَباً لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ . وَأُثْمِرُكَ كَثِيراً جِدّاً وَأَجْعَلُكَ أُمَماً وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ.وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْداً أَبَدِيّاً لأَكُونَ إِلَهاً لَكَ مِنْ بَعْدِكَ».[34] «إلهك أنت ...» إلهك! أنت من الله، أي من السر، لأنه صنع لك كل شيء! ويقول الله «إلهك» لمن يكون السر (الله) بالنسبة له هو كل شيء: إنه يأتي من عند الله، وبالتالي فهو من الله.

«لا لأَنَّكُم أكثرُ مِنْ جميعِ الشُّعوبِ فأنتُم أقلُّها. بل لِمَحبَّتِهِ ومُحافَظتِهِ على اليمينِ التي حلَفَها لآبائِكُم».[35] وهذه المحبة وهذا الوفاء تدوم في الزمن.

إن كلمة «عهد» تعني الوعد بالسعادة لكل واحد والنصر النهائي لشعبه على كل الأمم. لذلك فإن العهد (أي العلاقة بين الله وشعبه المختار) هو التعريف الرائع لسلوك الله مع العالم المخلوق: فالله يريد خلاص كل البشر الذين حُكم عليهم بالموت (لأن هذه هي قراءة كل البشر النابعة من عدم استقرارهم وأمانهم). ففي الواقع، أنه بدون علاقة مع الله، ينتهي الإنسان.

---

[32] تك ١٧: ١-٣.

[33] جوزيف روث، يهود تائهون،أديلفي، ميلانو ١٩٩٥، ص ٣٣.

[34] تك ١٧: ٤، ٦-٧.

[35] تث ٧: ٧-٨.

يشير العهد ويحدد «كيف» أن ما ينتمي إليه الإنسان (والكون)، أي الله الخالق، يقف بجانبه. «هذِهِ الوصيَّةُ التي أنا آمُرُكُم بِها اليومَ لا تصعُبُ علَيكُم ولا هيَ بعيدةٌ عنكُم. فلا هيَ في السَّماءِ لِتَقولوا مَنْ يصعَدُ لنا إلى السَّماءِ، فيتَناوَلَها ويُسمِعَنا إيَّاها فنَعمَلَ بِها. ولا هيَ في عَبرِ هذا البحرِ لِتَقولوا مَنْ يَعبُرُ لنا هذا البحرَ، فيتَناوَلَها ويُسمِعَنا إيَّاها فنَعمَلَ بِها. بل هيَ قريبةٌ مِنكُم جدًا. في أفواهِكُم هيَ وفي قلوبِكُم لِتَعمَلوا بِها».[36] كان هذا الفصل من سفر التثنية دائمًا غذاء وتعزية.

لذلك فإن العهد يشير إلى: ١) أن البشرية كلها تنتمي إلى سر الله، الذي يدخل حياة البشر، الذين ابتلعهم الشر، وأنه ينوي خلاصهم (إن الشر هو الخطيئة الأصلية، التي يقع فيها البشر المخلوقين، والذين ينوي الله خلاصهم)؛ ٢) أن طريق هذا الخلاص هو التأكيد أكثر فأكثر على قيمة الله من خلال من يختارهم أولاً، حتى يكونوا على دراية به وبحضوره وبالتالي يكونون مرسلين لهذا في العالم، حتى يصبح الجميع على دراية به وبحضوره. وهذا هو المفهوم الحقيقي والكامل والشامل للانتماء. (لأن هناك أيضًا قاسمًا مشتركًا للانتماء؛ فواحد ينتمي إلى كلبه: فإذا لم يكن هناك أحد في الليل غير الكلب ويسمعه ينبح، فهو يعتمد عليه. لكن الأمر مختلف قليلاً هنا!) إذ لا توجد حياة إنسان ليس لديها هذا الدافع وهذا الهدف، وليس عليه أن يخدم هذا: أن يكونوا مرسلين لله، لأن الله هو الكائن بذاته، وهو كل شيء، وهو الكائن بذاته الذي خلق كل شيء؛ والكائن بذاته يعني الإيجابية، أي في النهاية هو إيجابي (كما هو واضح بشكل قاطع في فكرة الرحمة التي تحدثنا عنها في أوقات أخرى).

ب) يسوع الناصري

في هذه النقطة الثانية - بعد أن ذكر البداية الغريبة والتصور الغريب للشعب اليهودي كمكان وثيق الصلة بحضور الله، حيث يمكن أن تعيش العلاقة مع الله - وفي لحظة تاريخية نموذجية، تنتمي ولادة معضلة المسيا الذي من خلاله يخلص الله الانسان. والذي دعاه الأنبياء خادم الله.

وكان هناك فراغ في حياة وضمير الشعب اليهودي: انتظارهم للكيفية التي سيستخدمهم بها الله للوصول إلى باقي البشر. وكانت إجابة الله أقوى من المعرفة الخالصة له ومن الحدث الرهيب غير المفهوم ومن الخطيئة الأصلية: انه الإعلان عن عامل جديد يدخل تاريخ الانسان. هذا هو مضمون الوعي والانتظار المقدر له أن يصل إلى العالم بأسره.

---

[36] تث ٣٠ : ١١-١٤.

ويظل العهد هو الطريقة التي لا يمكن تصورها والتي يمتلكها قلب الإنسان كأفضل طريق لحياته ولأمانة الشعب للإله الأمين: فأمانة الشعب الذي سينفذ الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم والذي أتي به المسيا الى العالم، أي من المسيح، يسوع الناصري. فالله لا يطلب شيئاً أبدًا سوى إعادة الحدث الأولي بأفق أعمق وأرحب.

وتمر السنين والآلاف من السنين، ويظل أمراً يثير للإعجاب، وسط الشعب المختار بكامله، هذا الجزء الصغير الذي يحفظ حياً، باعتباره معنى للحياة، الوعد الذي قطعه معه السر (الله). وتحديداً، باستخدام مضمون وعي الأنبياء والقدماء، تلتزم هذه «البقية» وتشعر بالصدمة من حقيقة أن تيارًا معينًا يشير كلحظة لتعريف ماهية الله بالنسبة لهم (أي «الكل في الكل»)، أي في يوم من التاريخ. وعند نقطة معينة، يظهر يوماً من أيام التاريخ. وحتى من بضع مئات من السنين قبل المسيح، قال القدماء والأنبياء هذا: سيكون هناك رسول من الله سيقوم باصلاح الشعب؛ وكان هذا حلمًا عند اليهود، مرتبطًا بانتظار المسيا، وبالانتصار السياسي الذي سيحققه الشعب اليهودي. ويشير هذا التيار، كلحظة تعريف لماهية الله بالنسبة لهم، إلى تاريخ قريب من أورشليم هيرودس، وأيضًا (في ارتجاف بعض الأنبياء) اسم المدينة التي سيظهر فيها المسيح.

لا يسعنا إلا أن نطبق كل هذا على أنفسنا! فقبل ثلاثين عامًا، كان بإمكان المسيحي أن يستنفد حكمه على العالم وفقًا لمصيره بالالتزام الأخلاقي لضميره. ليس الآن: إذ نحن مدعوون إلى أن ندرك كل الجوانب التي يرغب السر (الله) في الاعتراف بها، والتي من أجلها نفدي كرامته الإلهية من النسيان والفساد والاغتراب، التي عثرنا فيها على أخطاء، ومع الآخرين من البشر، والمختارين كقبيلة جديدة أو شعب جديد في العالم، منبوذين – كما بدا لهم – ومُعَاقَبون على جرائمهم.

ويصبح معنى السر (الله)، اللانهائي، سلوكاً مختلفاً في التاريخ. إنها الرحمة التي تعمل على الناس وعلى العهد بالعدل (العدل هو الكون الذي يتم فيه تصور تصميم الله باعتباره مُتحقِق في العالم ومُعترف به من قِبل المختارين). ولا يمكن أن يتوانى الله عن دعم ومساندة الإنسان الذي خلقه لكي يكون له «محدود»، كائن محدود يشارك معه ويعترف به ربًا على نفسه. وينطبق هذا الاعتراف على كل الخليقة!

ولا يعترف الجنس البشري كله بالله، بخيانة ذاته: حتى لو أظهر الله نواياه، وطريقته في السيطرة في «بقية» من البشر. إن الشعب اليهودي يجعل البشرية تعي بأن هناك شرًا غامضًا في قلب الإنسان.

تستمر الخطيئة الأصلية وربما يكون العدل مستحيلاً، لكن «البقية من شعب إسرائيل» لا يستطيعون مشاهدة غروب الشمس الجميل هذا في المساء أو الانغماس في فجر الصباح، إن لم يكونوا في انتظار ويعرفون الانتظار.

وقد أعطى الرب الاله والسر على كل حالة الانتظار هذه وكل الرغبة النقية والتقيّة حقًا، إجابة بطريقة إيجابية: «أنا معكم». بينما الآخرون، كما قلت من قبل، استسلموا لتجارب العالم ومغرياته، أعطى الله إجابة إيجابية لهذا الشعب: أعطاهم المسيح. وتُدخِل إجابة الله في نظر الإنسان شيئًا جديداً وإيجابية عظيمة، حتى لو كان الشعب، كما هو، لا يعترف بالمسيح في يسوع الناصري. لكن تدرك «بقية» من شعب إسرائيل ، في اليوم الذي قُدِّم فيه الطفل إلى الآب في الهيكل: كائن مولود من امرأة، بشريٌ تمامًا، سيكبر ويفهم ما فعله السر فيه ومعه. ثم يصبح أعظم ويقول أمام الجميع: «أنا والآب واحد».[37]

لكن حضور يسوع، كاستجابة على الانتظار الطويل للشعب ولجميع الشعوب، له مدة تغطي التاريخ بأكمله. نحن نعلم أن الانتظار هو انتظار الفادي وبالتالي انتظار السعادة الشخصية. إن انتظار أي انسان هو انتظار الفادي. ويقول كامو: «إن استطاع هذا الإله أن يثير المشاعر فذلك بسبب وجهه كإنسان».[38] إن يسوع الناصري، الذي أعطى له الآب كل شيء في يديه، يثبت ذاته في التاريخ في جسد سري، حيث يدمج في نفسه جميع المختارين، أي كل الذين يختارهم في المعمودية (هو الذي يختار)، ويجعلهم جزءًا من جسده، مؤكداً بنفسه على ذلك حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه: يمر جسد المسيح هناك. وتُسمى هذه الوحدة في كل عصور التاريخ العهد الجديد والأبدي.

ويقول بيجي: «إن المسيحي لا يُعِرّف نفسه وفقًا للحد الأدنى، بل من أجل الشركة. ونحن لسنا مسيحيين لأننا وصلنا إلى مستوى أخلاقي وفكري وربما روحي معين. ونحن مسيحيون لأننا «ننتمي» إلى سلالة معينة صاعدة [...] إلى جنس روحي وجسدي وزمني وأبدي ، إلى دم معين».[39]

---

[37] يو ١٠ : ٣٠.

[38] ألبير كامو، مذكرات شخصية (مايو ١٩٣٥ - فبراير ١٩٤٢)، المجلد الأول، بومبياني، ميلانو ١٩٩٢، ص ١٦١.

[39] شارل بيجي، لاهوتي جديد، م. فيرناند لوديه، «كراسات الأسبوعين»، رقم ٢، المجلد الثامن، ٢٥ سبتمبر ١٩٩١، شارل بيجي. أعمال نثر كاملة، المجلد الثالث، جاليمارد، باريس١٩٩٢، ص ٥٧٣ - ٥٧٤: الترجمة هي ترجمتنا.

من هو في المسيح هو خليقة جديدة

حدث لإنسانية مغايرة

أود أن أبدأ بقراءة مقطعين من أغنية الانتماء لجابر، والتي يعرفها الكثيرون: «الانتماء / ليس جمعاً عشوائياً من الناس / وليس موافقة على تجمع ظاهري / الانتماء / هو وجود الآخرين داخل الذات». لكن كيف يتحقق هذا (الذي يبدو لي سرابًا) «وجود الآخرين داخل الذات»؟ وتقول الجملة الأخيرة من الأغنية: «سأكون متأكدًا من تغيير حياتي / إذا استطعت أن أبدأ / بقول نحن».[40]

إن الانتماء هو خلاصة الموقف الذي يجب أن يتخذه الإنسان تجاه الله؛ وهو دليل طبيعي يسمح بتكوين وجهة النظر هذه، والتي تصبح بعد ذلك مفيدة للغاية لذاكرتنا. إذا كان الإنسان لا ينتمي إلى أي شيء ، فلن يكون شيئًا. إذ يعني الانتماء بشكل طبيعي، على الأقل بشكل طبيعي، حقيقة أن أي ذات لم تكن موجودة وأصبحت موجودة الآن. وإذا لم يكن الإنسان منتميًا إلى أي شيء، فإن صورة العدم في وعيه الذاتي ستكون أمامه أو خلفه، عندما تكون الذاكرة مُركزة على شيء آخر، للحظة أو للحظات قليلة. فلو لم يكن هناك وعي بالانتماء، سيجد الانسان نفسه – إذا فكر وتأمل – أمام عدميته.

وقال باڤيل فلورنسكي عن حق: «من يريد الحقيقة لا يمكنه أن يجد السلام في مجرد العدمية». ويواصل «لأنه إذا لم يشارك العقل في الوجود، فلن يشارك الوجود أيضاً في العقل».[41] إن فعل المعرفة ليس قيمة موضوعية فقط بل هو فعل وجودي أيضاً؛ وهو ليس مثالياً فقط، بل هو حقيقي أيضاً. فاذا لم يشارك العقل في الوجود، وإذا لم يعترف بأن شيئًا ما قبله يفرض نفسه عليه، بل، إذا لم يعترف أنه تم خلقه من أجل هذا اللقاء الباطني، الذي يتجاوز وعيه بذاته، فلن يمكنه حتى

---

[40] ج. جابر، «أغنية الانتماء» من الألبوم المزدوج المعنون حماقة تم امتلاكها بشق الأنفس، جابر ٩٨-٩٩، © جيوم، ١٩٩٩.

[41] باڤيل فلورنسكي، القلب الملائكي. كتابات لاهوتية ونسكية، بييمه، كازاله مونفيراتو ١٩٩٩، ٢٠٣ - ٢٠٤.

البدء في المعرفة. وقد أكد القديس توما الأكويني على هذا بوضوح، قائلاً بأن ما هو حقيقي واللقاء مع ما هو حقيقي يثير الذات في الحال التي تتأثر به.

إن الانتماء إلى الله هو أوضح شيء يجب أن يعترف به الانسان الواعي بطريقة طبيعي («يجب عليه» الاقرار به: يمكنه الاعتراف به!). إن شمولية الانتماء هو الشيء الأكثر وضوحا، والذي هو بالتحديد الانتماء إلى الله: إذ لم يكن الإنسان موجودا، بل خلقه الله، أي خلقه آخر، مثلما هو الحال مع الكون. فليس هناك شيء في الكون يخلق نفسه بنفسه،لأن هناك «السابق» عليه الذي يخلقه: إذن هو «مخلوق» وبالتالي «ينتمي إلى». فالله هو الخالق، والخليقة تنتمي إلى الخالق. هذه ليست صورة يمكن أن تتحدد من خلال استيعابنا للأشياء وامتلاكنا للعلاقة التي نزعم عزلها باعتبارها الشيء الوحيد الذي يهمنا في العالم!

كما قلنا في نهاية هذا الصباح، إن الانتماء إلى الله يتطابق مع الانتماء الكامل، والشامل للإنسان، إذا صار الله ذلك الانسان. فإذا قام الله باستيعاب وفهم ذلك الانسان، فإن الانتماء إلى الله يتطابق مع الانتماء إليه (الى المسيح). فليس هناك أي عقل بشري يمكن أن يمنع اللامحدود من «القيام بأمر» محدود، حتى لو بدت هذه الفرضية أمراً غير معقول بالنسبة له.

والآن نود أن نرى ما يعنيه الانتماء إلى المسيح في كل الوجود الشخصي للانسان («الله هو الكل في الكل» وبالتالي «المسيح هو كل شيء في كل شيء»). إنه حدث لإنسانية مغايرة: ففي المسيح حدث لانسانية مغايرة، ونحن نُولَدُ في المسيح كإنسان جديد، وهو شيء مختلف عن الآخرين. هذا الحدث له مكان حيث يتم منح وظهور: المعمودية، لأن المعمودية هي الفعل الذي يأخذ وينتقي ويختار بها المسيح حياة أي انسان. إذ نحن نولد في المسيح كانسان جديد، وهو شيء مختلف عن الآخرين، لأن (هذا الانسان الجديد) قد تعمد. والمعمودية، كمكان حيث يموت السر (الله) داخل شرور الإنسان ثم يقوم من جديد بقوته الإلهية التي بداخله، هي المكان الذي فيه يحصل

الانسان، بفضل انتمائه إلى الله، على طبيعة فائقة وعظيمة من الله ذاته.

ويكتب لنا القديس بولس: «إِذْ فيهِ قدِ اخْتارَنا عن مَحبَّةٍ مِنْ قَبْلِ إِنْشاءِ العالَمِ، لِنكونَ قِدِّيسينَ، وبغَيْرِ عَيْبٍ أَمامَه؛ وسَبَقَ فحدَّدَ، على حَسَب مَرْضاتِهِ، أَنْ نَكونَ لهُ أَبناءً بِيَسوعَ المسيحِ، لتَمْجيدِ نِعمتِهِ السَّنيَّةِ التي أَنْعَمَ بها عَلَينا، في الحبيب»،[42] بإرادة المسيح، لأن من يختار هو المسيح، فهو الله في يسوع الناصري. «أَمَّا أنتُم فلا تَسلُكونَ سَبيلَ الجسَدِ، بَلْ سَبيلَ الرُّوحِ، لأَنَّ رُوحَ اللهِ يَسكُنُ فيكُم. ومَنْ لا يكونُ لَه رُوحُ المَسيحِ، فما هوَ مِنَ المَسيحِ».[43]

إذن في المعمودية أصبح ممكناً للإنسان ممكناً أن يصير عظيماً وإدراك ذاته والوعي بها الذي يؤدي إلى الإعلان عن علاقة، وتنساب أيضاً إلى روحه كإعلان عن علاقة استثنائية و التي «ربما تكون قدرته فوق العادة». «من يستطيع أن يحدثنا عن محبة المسيح للإنسان التي تفيض بالسلام؟[44] ولكن الانسان الجديد تم حمله وولادته بطريقة مختلفة عن الطريقة الطبيعية: إنها ولادة ثانية تحدث عند الولادة الأولى.

والشيء المثير للاهتمام والذي لا يزال مثيرًا للاهتمام الآن، هو أن كل مُعمدْ لديه رباط كبير مع الآخر، بالقدرة على الظهور كوحدة في مواجهة كل شيء مختلف: وهنا الوحدة المعطاة لنا تؤكد حقيقة أن كل معمد يعكس فيه وحدة الله كسر. ولأن هذا هو سر، كذلك الحدث أيضاً.

وإذا صار الله واحد منا ليجعلنا قادرين على الوجود بشكل جيد، أي أن نعيش الإيمان بالمسيح، والشرط هو قبول المسيح والعيش معه والمشاركة بطريقة حميمة في حياته وبالتالي المشاركة في صليبه وقيامته (وتُعد طقوس الكنيسة قبل أي شيء هي الطريق لنعيش المشاركة الحميمة في حياته). وهذا يجعل الإنسان قادرًا على أن يتحقق في أعماق اتحاد (لذلك لن يجد جابر على هذا الطريق ما يقوله في نهاية أغنيته: «ربما أكون متأكدًا من تغيير حياتي / إذا كان بإمكاني البدء /

---

[42] أفس ١: ٤-٦.

[43] رو ٨: ٩.

[44] راجع ديونيسيوس الأريوباغي، عن الأسماء الالهية، الجزء الحادي عشر، ص ٥، فقرة ٩٥٣ أ.

بالقول نحن»؛ لكننا «مُلزمون»، إذ أنه تعريف تاريخنا). إذا صار الله واحد منا ليجعلنا قادرين على الوجود بشكل جيد، أي أن نعيش الإيمان بالمسيح، بشرط قبول المسيح، والاعتراف بانتمائنا له، وبالتالي نعيش معه، أي المشاركة الحميمة في أحداث حياته (بالذاكرة وبطقوس الكنيسة)، للنظر إلى الانسان الآخر كجزء من الذات المُتحققة في عمق الشركة: فمن أعماق كيان كل واحد فينا المتحد وجودياً بالسر (الله) الذي يتواصل معنا في علامة الأسرار الفائقة وهي الكنيسة.

ويقول القديس أغسطينوس: «لو كان قد جاء كإله لما تم الاعتراف به. في الواقع، لو كان قد جاء كإله، لما جاء لهؤلاء الغير قادرين على رؤية الله. فباعتباره الله، لا يمكن القول أنه جاء أو ذهب، لأنه، باعتباره الله، موجود في كل مكان، ولا يمكن احتواؤه في أي مكان. كيف جاء بدلا من ذلك؟ في إنسانيته المرئية».[45]

ويقول أحد الآباء الأوائل في تاريخ الكنيسة، القديس إيريناوس من ليون: «لقد وضع كلمة الله مسكنه بين البشر وصار ابن الإنسان حتى يعتاد الإنسان على قبول الله وحتى يعتاد الله على وضع مسكنه داخل الإنسان، حسب مشيئة السر، أي مشيئة الآب».[46]

ويقول القديس برناردوس: «أتى الله بالجسد ليكشف نفسه أيضًا للبشر الجسديين، حتي يتعرفوا على صلاحه بإظهار ذاته في الإنسانية. وبإظهار الله لذاته في الإنسان، لم يعد من الممكن إخفاء صلاحه عنه. هل هناك أي دليل على صلاحه أفضل من اتخاذه جسد انسان؟ [...] وكما جعل نفسه صغيرًا بالتجسد، هكذا أظهر عظمته في خيره وصلاحه؛ وتزداد معزته عندي كلما ازداد تواضعاً من أجلي».[47]

لا يمكن أن يكون الانتماء إلى الله كذلك إلا إذا أصبح إنتماءاً إلى المسيح. فالشعب المختار، أي البشر المدعويين يكرسون وكرسوا حياتهم كلها في هذا الانتماء للمسيح، الله المتجسد، الإله الذي ظهر في تاريخ الإنسان مثل أي إنسان والذي قُتِل من اجل الشعب وقام من بين الاموات، والذي أعطاه السر القوة، أي الروح، وأخبر بذاته، و أعطى

---

45 القديس أغسطينوس، شرح لانجيل القديس يوحنا، العظة ٢، فقرة ٤.
46 القديس إيريناوس من ليون، ضد الهرطقات، المجلد الثالث، ص ٢٠، فقرة ٢.
47 القديس برناردوس من كيارافالليه، الحديث الأول عن عيد ظهور الرب، ١-٢.

السلطة على كل شيء. لهذا نقول أن معنى التاريخ هو المسيح يسوع الناصري.

الانتماء إلى المسيح هو شيء لم يعد يترك الأنا منغلقة داخل الذات ليكون لها اهتمامات وانشغالات مثل كل الآخرين من البشر. إن ما خُلِق من أجله ويفعل كل شيء من أجله هو حضور.

إن الانسان المُعمّد الذي اختاره الله لم يعد في استطاعته البقاء داخل ذاته، ليكون لها اهتمامات وانشغالات مثل كل الآخرين من البشر. إنه يعيش ويفعل كل شيء من أجل حضور الله الذي خُلِقَ من أجله ويعي بأنه مخلوق: من أجل حضور المسيح في كنيسته.

لهذا السبب، كتب القديس بولس في رسالته لكنيسة كورنثوس الأولى: «ونَحنُ أسرى مَحبَّةِ المَسيحِ، بَعدَما أدرَكْنا أنَّ واحدًا ماتَ مِنْ أجلِ جميعِ النّاس، فجَميعُ النّاس شارَكوهُ في مَوتِهِ. وهوَ ماتَ مِنْ أجلِهِم جميعًا حتّى لا يَحيا الأحياءُ مِنْ بَعدُ لأنفُسِهِم، بَلْ لِلَّذي ماتَ وقامَ مِنْ أجلِهِم».[48] هكذا كان المسيحيون يعاملون بعضهم في تلك البدايات، أي في هذا الانتشار الأول للمسيحية. وفي رسالته إلى أهل رومية، في الفصل الرابع عشر، يقول: «فما مِنْ أحدٍ مِنَّا يَحيا لِنَفسِهِ، وما مِنْ أحدٍ يَموتُ لِنَفسِهِ. فإذا حَيينا فللرَّبِّ نَحيا، وإذا مُتنا فللرَّبِّ نَموتُ. وسَواء حَيينا أمْ مُتنا، فللرَّبِّ نَحنُ».[49] ويقول في رسالته إلى أهل غلاطية: «معَ المَسيحِ صُلِبتُ، فما أنا أحيا بَعدُ، بَلْ المَسيحُ يَحيا فِيَّ. وإذا كُنتُ أحيا الآنَ في الجَسَدِ. فحَياتي هِيَ في الإيمانِ بابنِ اللهِ الّذي أحبَّني وضَحَّى بِنَفسِهِ مِنْ أجلي».[50] لا يمكن لأي خيال بشري أن يفترض هذه الأشياء.

لذلك فإن الانسان الجديد لديه قلق مثل جميع الآخرين، ولكنه قلق مختلف ومنظم أمام الأدوات اللازمة للعمل، أي للعمل الذي هو انتماء مُعاش للمسيح ووعي معاش بالانتماء إلى المسيح.

---

48 ٢ كور ٥ : ١٤ - ١٥.
49 رو ١٤ : ٧ - ٨.
50 غلا ٢ : ٢٠.

بهذه الروح يكون الموت من أجل المسيح وارضاع طفل هو نفس الشيء. «نَحنُ خَليقَةُ اللهِ، خُلِقنا في المَسيحِ يَسوعَ لِلأعمالِ الصَّالِحَةِ الّتي أعَدَّها الله لنا مِنْ قَبلُ لِنَسلُكَ فيها».[51]

في ملكية الله هذه التي يدرك الإنسان أنه ينتمي إليها لأن كل شيء يأتي منه، يكتشفه كحدث تاريخي. لذلك يعيش الانسان المختار كل شيء كديناميكية لهذا الانتماء؛ وبالتالي، في الشعب المسيحي الذي شكلته الطقوس، يصبح كل شيء دليلاً خلاقًا تقريبًا (فليس هناك شيء يبقى مستبعداً، ولا شيء غير نافع، ولا توجد علاقة تقلل من قامة الروح والقلب)؛ يصبح كل شيء دليلاً خلاقًا تقريبًا، أي دراماتيكي، والدراما تميز الشعب المسيحي دائماً. إن كل شيء هو عمل المسيح، ومن خلال الحوار مع المسيح وطريقة حضوره، ومع المقربين منه أو مع الغرباء: هو حوار وإجابة.

نحن لا نخجل ولا نتردد في القول بأننا كائنات مختلفة: إذ لدينا طريقة لرؤية وتصور العمل الذي يختلف تمامًا عن عمل الآخرين من البشر.

فعندما حددنا الحياة في ٣٠ مايو بناء على توصية التسول، أي حاجة الانسان القصوى التي في ضميره الأكثر حيوية للانتماء إلى المسيح والله، تحدثنا عن الصلاة كأعلى تعبير عن حريتنا، لأن الصلاة هي الاعتراف بالكائن بذاته الذي يخلق كل شيء.[52] وهذا يعطي قدرة قوية على الشعور بالإيجابية تجاه كل شيء: كل شيء، حتى الموت. وعلى صرخة الراعي براند اليائسة في مسرحية إبسن التي تحمل نفس الاسم (التي تم الاستشهاد بها مرات عديدة!) – «أجبني، يا الله، في الساعة التي يطغى فيها الموت علىَ: إذن كل إرادة الإنسان ليست كافية لاتباع مجرد خيط للخلاص؟»–،[53] وترد الإيجابية المتواضعة للقديسة تيريزا الطفل يسوع التي تكتب: «عندما أقوم بأعمال المحبة، فإن يسوع وحده هو الذي يعمل فيَ».[54] إنها العبارة التي تعترف فيها نفس

---

51 أفس ٢: ١٠.

52 يتم الاشارة هنا إلى اللقاء مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني مع الحركات الكنسية و الجماعات الجديدة بميدان كنيسة القديس بطرس في روما في ٣٠ مايو ١٩٩٨. راجع كتاب الأب لويجي جوساني و ستيفانو ألبرتو و خافيير برادس، إيلاد آثار في تاريخ العالم، كتاب سبق ذكره، ص ٧-١١.

53 راجع هـ. إبسن، براند. قصيدة درامية من خمسة فصول، بور، ميلانو ١٩٩٥، ص ٢٤٠.

54 القديسة تيريزا من ليزيو، قصة نفس. مخطوطات السير الذاتية، أنكورا، ميلانو ١٩٩٧، ص ٢٩١.

القديسة تيريزا من الطفل يسوع بقيمته في التأكيد على أنه كل الخير، وعلى أن قدرتها على عمل الخير، وأن حياتها كلها من الرب المتجسد، والمائت والقائم من بين الأموات من أجلنا. «عندما أقوم بأعمال المحبة، فإن يسوع وحده هو الذي يعمل فيَ».

٢) الهدف من الانتماء

ما الهدف الذي وُلِدت من أجله هذه الخليقة الجديدة؟ ما الهدف من تدخل الله في العالم لتحقيق هذه الخليقة الجديدة؟ لندرس الأمر، أي، الهدف من الانتماء.

إن أول شيء رأيناه اليوم هو أن الانتماء الى الله يجب أن يصبح انتماء الى المسيح و أنه بهذا يدخل في العالم انسان جديد، خليقة مختلفة (في السنوات الأولى لدراستي بالمعهد الاكليريكي، عندما كنت أسمع هذه الكلمات: «انسان جديد»، لم أكن أفهمها ولم أفهمها جيداً حتى عندما تخرجت من المعهد؛ كنت سأفهمها بعد ذلك، فالوقت ثمين باعتباره أداة الله).

أ) لمجد الأب

تُولد الخليقة الجديدة كي يتم التصميم السري للآب، من خلال المسيح، بالتفاني غير المشروط للآب. فالمسيح، بتفانيه غير المشروط للسر ذاته، يغيرني أيضًا مع كل الحشد البشري الهائل الذي، بحسب تصميم الله السري، يتجمع للدخول إلى النهر الذي مياهه هي تاريخ الخلاص، لذلك كل ما انكشف على يد يهودي الناصرة يتدفق في بحر المسيح: حتى يتمّ سرّ الآب فيّ، وبالتالي في العالم. إنه سبب خلق الآب للإنسان ، لأنه أراد أن يُعرف من العدم، من اللاشيء. إن هذه المجانية المطلقة التي يتم فيها وضع عمل الكائن الواعي، أي المخلوق الذي يدرك أن الله فقط هو (الخالق) قد وجدت طريقة ممكنة لمضاعفة هذا اللقاء المفارق إلى أجل غير مسمى.

والكلمة الأولى التي يمكن قولها باعتبارها هدف ضرورة عيش وعي الانتماء هي: مجد الآب، حيث تتضح العلاقة بين الوجود والعدم

بين الله والخليقة (مع التأكيد دائمًا على أن الأنا هي وعي الذات بالكون بأسره، أي بالخلق).

إن السر (الله) قام بالخلق بطريقة سرية، وأراد حوارًا مع العدم، مع المتسول. نحن لا شيء. والسر (الله) قام بالخلق بطريقة سرية، وأراد حوارًا مع العدم، من أجل تلك الوحدة الغير ممكن تصورها. ولا تعريفها، التي بين إرادة الله التي تسأل الإنسان: «من أنا بالنسبة لك؟» والانسان الذي يقول: «أنت كل شيء»، أو: «أنا لا أعرفك. ولا أعرف من أنت. فأنا حر». إن التعبير الأول فقط هو صحيح وحقيقي وليس كذبة. لهذا السبب قلنا في ساحة القديس بطرس في ٣٠ مايو، أن الانسان الحقيقي هو المتسول.

لقد قام السر (الله) بالخلق بطريقة سرية، وأراد حوارًا مع العدم، مع المتسول، لمجده - لمجد الله. إنها أشياء يمكننا الادراك المباشر لخلقها وأهميتها وعظمتها، لكن بدون فهمنا لكيفية حدوثها. سيتم إنارة «الكيف» في الأبدية؛ إذ يبدأ الآن في أن يكون على الأقل عنوانًا لمعضلة تتضح عواملها.

ب) شعب جديد

إن هذا المتسول، الانسان المُعَمد، لم يبق واحداً، لكنه أصبح «كنجومِ السَّماءِ والرَّملِ الذي على شاطئِ البحرِ»،[55] أصبح شعباً، «كيانًا عرقيًا فريدًا»، كما قال البابا بولس السادس.[56] يتكون هذا الشعب من أناس يعبرون عن أنفسهم ويتوسعون في الكثير مما أعطاهم الله؛ إذن هو شعب خلقه الله وقاده من خلال بعض الذين سمح لهم الله بالتعبير عنه بقوة متزايدة في اتساعها.

وهذا الشعب، في امتلائه، هو علامة سرّية على حضور المسيح (إن علامة الأسرار تعني العلامة لا تتطابق في الفضاء مع السر فحسب، بل أن مضمونها هو علامة تتحقق، وتحققت). لهذا السبب فإن لها جانبًا حساسًا ومرئيًا وملموسًا، مشابهًا لما فعله الله في التجسد، بتجسده. فإذا لم تكن حقيقة مجسدة، فهي ليست المكان الذي يتصرف فيه الله باعتباره المسيح. فإنسانية يسوع الناصري، التي

---

55 تك ٢٢ : ١٧.

56 البابا بولس السادس، عرض للسنة المقدسة في مستقبل الكنيسة، الاجتماع العام، ٢٣ يوليو ١٩٧٥، «المراقب الروماني»، ٢٥ يوليو ١٩٧٥، ص ١.

دُعيت للمشاركة في سر الطبيعة الإلهية، تمتد، كي تتحقق الطريقة التي أسسها الآب، في واقع حساس ومرئي وملموس: أي في شعب لديه جانب ذكي وعاطفي. إنه جسد المسيح النقي، أي جسد المسيح الملموس، الذي تملأ فيه الأولوهية الغير المرئية المناطق التي يعطيها الآب للابن. وهذا الملئ يُولِد بشر بعقلية جديدة وخصوبة جديدة.

«إن تلك النعمة التي جعلت الكنيسة جسد المسيح تضمن بقاء جميع أعضاء المحبة [أي الحب، جميع أعضاء المكان الذي أظهر فيه الله محبته للبشر] متماسكين ومثابرين في وحدة الجسد. كما قال القديس فولچنسيو دي روسبهِ «فلتكن هذه صلاتنا».[57]

إن مصدر نشأتنا نحن المسيحيين هو الكنيسة، مكان المسيح اليوم، ومن المبادرة الحرة لروح المسيح الذي يجعل الانتماء إليه مفعماً بالحياة ومفهومًا ومرغوباً. و الوضع التاريخية لحدوث هذا العبور (الوضع «التاريخي» و «الواقعي») هو الكاريزما. فالكاريزما هي تدخل من روح المسيح لتعظيم الانتماء الى المسيح في العالم: إنها حقيقة تاريخية نُولد فيها ويفاجئنا الروح فيها بما وضعنا فيه الله الآب. لقد وضعنا تصميم السر الخالق، أي الله الآب في مسار محدد وعلى طريق محدد داخل الكنيسة، وأدخلنا في حدث المسيح، وأشركنا في جعلنا خاصته كوعي ومحبّة، أي كعقلية وطريقة للتعامل مع العاطفة الانسانية وتحقيقها.

إذن يكمن الجديد في فهم الطريقة التي يهدف بها المسيح وروحه إلى الاتيان بعقلية مختلفة فينا، أي طريقة نظر جديدة، ولكن أيضًا طريقة للحكم واستخلاص النتائج من هذ الحكم، وطريقة للمعرفة بالمعنى الكامل للكلمة، مختلفة وجديدة، وطريقة عاطفية، بالمعنى الواسع للمصطلح، والتي تسمح بمعرفة واضحة وصحيحة لعلاقتنا مع كل شيء، ولكن قبل كل شيء، طريقة مختلفة للدينامية واهتزاز الطبيعة ذاتها بالحب الطبيعي.

إن مصدر نشأتنا نحن المسيحيين هو الكنيسة، مكان المسيح اليوم، ومن المبادرة الحرة لروح المسيح الذي يجعل الانتماء إليه مفعماً

---

[57] القديس فولچنسيو دي روسبهِ، *Ad Monimum libri III*، الثاني، ١١-١٢.

بالحياة ومفهومًا ومرغوباً. وهذا يدل على واجب وقانون نهائي لوعينا يصل إلى كل محيط أفق الانسان.

ج) للمجد الانساني للمسيح

إن الهدف من كل هذا، والهدف الذي من أجله دخل الإنسان الجديد إلى العالم هو المجد الانساني للمسيح. والحضور الكامل للمسيح في الواقع لا يمكن الهجوم عليه بشريًا، ولكن بخلق حالة مادية كجسد – في الفرد وفي المجموعة وفي الجماعة – يكون ذلك عرضة للاضطهاد الجسدي، على وجه التحديد بسبب الحقيقة والمحبة التي يثيرها المسيح بقوة الحقيقة وعظمة وإخلاص المحبة التي يثيرها المسيح.

وما حدث بالفعل يمكن أن يحدث مرة أخرى في الواقع، كما يقول إليوت عندما تحدث عن حاجة المسيحيين لاقامة المذبح وبناء المذبح الذي سيدمره الأعداء؛ وسيتبع هذا الدمار زمن آخر للبنيان. وسيكون هذا البديل في المستقبل طالما يشاء الله ذلك.[58]

لذلك بالنسبة للمسيحي – وهذا مهم كمعيار عقلي وكصفة حقيقية للحب – هناك استحالة تذوق الهيمنة والاستيلاء على السلطة، لأن هذا يخص الله، والله هو الذي يشير إلى ذلك.

في كل لحظة من تطور هذا الجسد، يكون الاضطهاد ممكنًا، ولكنه أيضًا صعود للبشرية، التي تصبح بالتالي ممتلئة بإدراك حضور المسيح، وبالمعجزة كتغيير أخلاقي والتزام جمالي. وإلى جانب الحقيقة التي يعترف بها الذكاء، يمكن لهذه الإنسانية أن تلد مجتمعًا جديدًا، يمكنه الوصول إلى مستوى غير مفهوم للإنسان ولقياسه. إنه مجتمع يمكن أن يظهر على أنه أسرار في التاريخ من وجهات نظر عديدة، كمجتمع القرون الوسطى، في جزء معين من تاريخ العصور الوسطى.

إن المعنى النهائي للكون (الذي يوجد فيه هذا التاريخ البشري)، والذي «يحدث» على طول المسار الكامل لحياة هذا الشعب – والذي يبدأ من أندراوس ويوحنا حتى الابن يأتي ابن الانسان في الأيام الأخيرة من الزمان – وهو يسوع الناصري الذي يعطي الآب كل شيء في

---

58 راجع ت. س. إليوت، «الخورس السادس»، الخورس من «الصخرة»، عمل سبق ذكره، الصفحات ٨٧-٨٩.

يديه.[59] إن الآب هو الذي يختار الشعب، ويعترف بقداسته في أولئك الذين يعترفون بتحقق عهده، وفي أولئك الذين يرون أن انتمائهم إليه يحيا بشكل قوي (على سبيل المثال، حنة وسمعان، من بين بقية إسرائيل، ومريم ويوسف ...). ومع ذلك، بما أن الآب قد أعطى كل شيء للابن في يديه، فإن أصل دعوة الفرد، وبداية شعب الكنيسة وتحققها هو وجود انسان، يسوع الناصري، الذي هو لي حضور الكائن بذاته، السر، أي الله. إنه واقع بدأ قبل ألفي عام. لذلك فإن حياة المسيحي هي ذاكرة وحيوية ويقين، أي رجاء في الوعود التي يقدمها يسوع، كي تتحقق في كل إنسان دعاه. أفكر دائمًا في ذلك عندما نتلو في صلاة التبشير الملائكي هذه الصلاة الجميلة، والتي نصلي فيها إلى الله بأننا من خلال بشارة الملاك علمنا بتجسده وموته وقيامته وجعلنا شركاء في مجد المسيح. ومجد عملنا، أي تشكل المبدأ الذي نعيش من أجله، والحضور الذي نكرس له حياتنا، هو في إنسان، يسوع الناصري، لذلك سُمي بالمسيح، باعتباره المسيا الذي كان اليهود ينتظرونه: وبدلاً من ذلك، قتلوه لخلاص الشعب.

فهذه الذات الجديدة تعرف بطريقة مختلفة، وترتبط بشكل إيجابي بجميع الكائنات، ضمن حد (الحد الذي حددته الخلق، أي وفقًا لطبيعتها الأصلية)، وفي كل ما تفعله وفقًا لتصميم الله، أي تصميم المسيح.

لذلك من الضروري بالنسبة للمسيحي أن يحب المسيح. فبالنسبة للمسيحي الواعي، الذي يقبل كل الظروف الحتمية في حياته كتعبير عن الانتماء إلى السر، أي إلى الله، وتعبيراً عن الوعي هذا الانتماء، يجب أن يقود كل شيء إلى محبة المسيح الذي هو المصدر والينبوع. لذا، فإن حب المسيح هو الطريقة الدينامية لكل العلاقات مع كل الأشياء، مع كل الناس، وهو معيار ومقياس كل شيء، وغاية كل عمل: فنتيجة محبتنا للمسيح هي مواجهة كل شيء حسب عقلية المسيح، واتخاذ عقلية المسيح، والسلوك حسب عقلية المسيح.

هناك مشاكل، تم الإشارة إليها بإيجاز، والتي تشكل العوامل الأساسية للحياة الاجتماعية وللحياة الانسانية في المجتمع: العمل

---

[59] راجع يو ١٧: ١-١٠؛ مت ١١: ٢٧؛ لو ١٠: ٢٢؛ يو ١٥:١٦

والمشكلة العاطفية (إشباع المشكلة العاطفية) والعدالة. الكلمات الثلاث التي حاولنا من خلالها تحديد كل الحماس والقدرة على النشاط وكل الالتزام بحرية الإنسان – العمل والعاطفة أو المشكلة العاطفية والعدالة – هي موضوعات تم تناولها بطريقة ما والتي نحن بالفعل نعرف تطوراتها؛ ولكن، أتمنى أن يتم تعميقها في حياة جماعاتنا.

د) العبور إلى المعنى النهائي: الإيمان والرجاء والمحبة

ملاحظة أخيرة. قلنا أنه من الضروري أن نحب المسيح في كل الظروف الحتمية في حياتنا بطريقة ديناميته وبطريقة عاطفته. وهكذا يتم تصور العبور الأقصى لوعي الانتماء إلى معنى الوجود والكون وكل التاريخ، والذي هو الدينونة الأخيرة. لا أحد يعرف يوم هذه الدينونة، لأن الآب فقط هو الذي يعرفه. فالآب هو الذي وضع التصميم السري، الذي يعرف فيها تاريخ المسيحيين أزمنة جيدة وأزمنة سيئة، مثل تدفق أحداث تاريخ الشعب اليهودي. وهذا هو، أو يجب أن يكون، مبدأً واضحًا جدًا في حياة الانسان المسيحي.

إن الاختلاف الأكثر وضوحًا بين الإنسان المسيحي كعقلية (أي كذكاء وعاطفة، لأن من سمات التصور المسيحي والعقلية المسيحية، هي الإشارة إلى الرباط الأصلي والعميق بين المعرفة والمحبة؛ والتي من أجلها نقول، أو عادة ما نقول أن الحب المشترك، وبالتالي صداقة.. لا يمكن أن يظهر إلا من حكم: فالحب الذي لا ينبع من الحكم ليس انسانيًا)، وهذا الاختلاف الأكثر وضوحًا للإنسان المسيحي، كعقلية، أي ذكاء وحب، عن من لا ينتمي إلى المسيح هو حقيقة أنه يعيش ظروف الوجود والتاريخ بدءًا من اليقين الإيجابي حول كل شيء: فمن المستحيل الحفاظ على هذا الموقف إلا في الحدث المسيحي.

لنفكر، على سبيل المثال، في والدين أمام فقدان ابنهما، أو في جماعة مسيحية كانت متحمسة في البداية ثم أصبحت بلا شكل واضح، كما سبق أن وصف بعضها القديس يوحنا في سفر الرؤيا («أنا أعرِفُ أعمالَكَ، وأعرِفُ أنَّكَ لا بارِدٌ ولا حارٌّ، ولَيتَكَ كُنتَ بارداً أو حارّاً! . سأتَقيَّؤُكَ مِنْ فَمي لأنَّكَ فاتِرٌ، لا حارٌّ ولا بارِدٌ. تَقولُ: ''أنا غَنِيٌّ وأنا

اغتَنَيتُ فما أحتاجُ إلى شيءٍ''. ولكِنَّكَ لا تَعرِفُ كَمْ أنتَ بائِسٌ مِسكينٌ فَقيرٌ، عُريانٌ وأعمى.») .[60]

لنفكر في عائلاتنا، وفي كل شخص، عندما يحدث شيء خطير في حياته؛ كان يعتقد دائمًا أن حياة المؤمن لا يمكن أن يكون فيها مثل هذه التناقضات القاسية، ولكن الآن في الاختبار تقود لتأكيد رجائه. إنها دائمًا نمو في القداسة، ونمو في وعي المرء بانتمائه، وقبوله بذكاء للتجارب التي يرسلها الله، وفهم أن الرب يرسل لنا هذه التجربة كي تنمو محبتنا وعاطفتنا له.

إذا غابت هذه القدرة على الرجاء، فإن بعض خبرات الكنيسة تحاول أيضًا إنقاذ مكان لها في العالم، بتبني معاييرها كمصدر للكرامة والاحترام (وعكس كل هذا يكمن في حقيقة أن إنساناً مسيحيًا يحاول تأكيد رجائه في العالم). وقد يكون هذا من أعراض الانتماء إلى المسيح الذي يتلاشى، ومن خلاله يتردد صدى السؤال الدرامي للمسيح حول ذلك اليوم وتلك الساعة التي لا يعرفها الابن: «أقولُ لكُم: إنَّهُ يُسرعُ إلى إنصافِهِم. ولكِنْ، أيَجِدُ اَبنُ الإنسانِ إيمانًا على الأرضِ يومَ يَجيءُ؟».[61]

هذا هو الاختبار الرئيسي للإيمان! فالإيمان بالمسيح هو الاعتراف بالمسيح حاضراً، الذي هو أساس رجائنا: في أي حال، وحتى في وجه الموت. هذه هي الطريقة التي يتم بها تصور العبور الأخير إلى معنى وجود الكون وكل التاريخ، والذي هو الدينونة الأخيرة: فالعبور الأخير إلى المعنى، أي الاجابة الأخيرة لمشكلة الانتماء بأكملها. والوصول إلى هذا المستوى، إلى الاعتراف بالهدف النهائي للانتماء، هو جائزة تتحقق من وتؤكد وتؤكد وتتحقق من القيمة العظيمة للانتماء ككلمة تنضج في نفوسنا.

وكونك مسيحيًا هو انتماء للمسيح، وإلى «كيف» أظهر شخص المسيح نفسه للإنسان. فشخصية المسيح تعبر عن نفسها وتتمدد في تاريخ شعب (المؤمنين). لذا فإن انتمائنا إلى المسيح يتوافق مع انتماء شعب المسيح، أي مع كنيسة الله. وطريقتنا في عيش كنيسة الله هي الكاريزما (موهبة الروح القدس).

---

[60] الرؤ ٣: ١٥-١٧.
[61] لو ١٨: ٨.

قال القديس بولس للمسيحيين الأوائل في مدينة تسالونيكي: «لأنَّ اللهَ جعَلَنا لا لِغضَبِهِ، بل لِلخلاصِ بربِّنا يسوعَ المَسيحِ. الّذي ماتَ مِنْ أجلِنا لنَحيا كلُّنا معَهُ، سواءٌ كُنَّا في يقظَةِ الحياةِ أو في رقدةِ المَوتِ. فساعِدوا وشجِّعوا بعضُكُم بعضًا مِثلَما تفعَلونَ الآنَ. [...] إفرَحوا دائمًا، واظِبوا على الصَّلاةِ، احمَدوا اللهَ على كُلِّ حالٍ، فهذِهِ مشيئَةُ اللهِ لكُم في المَسيحِ يسوعَ. لا تُعيقوا عملَ الرُّوحِ، ولا تستَهينوا بالنُّبوَّاتِ، بل امتَحِنوا كُلَّ شيءٍ وتمسَّكوا بالحسَنِ».[62] هذا هو اكتشاف الثقافة المسيحية. ففي بداية المجموعة الصغيرة لشبيبة الطلبة، كان تعريف الثقافة الذي قدمناه على الفور هو نص القديس بولس: «لا تستَهينوا بالنُّبوَّاتِ، بل امتَحِنوا كُلَّ شيءٍ وتمسَّكوا بالحسَنِ». لكن لماذا نقارن كل شيء مع هذا اللقاء بطريقة تجعل القيمة كلمة قابلة للتطبيق عليها؟ هذا هو الاكتشاف الدائم الذي يولد من الانتماء إلى المسيح، والانتماء إلى المسيح: هو العاطفة تجاه كل شيء.

وتلك الإيجابية التي ذكرناها سابقًا هي عاطفة لكل الأشياء، ومشاركة في المحبة وفي المجانية التي رأى بها الله كل شيء وفعل كل شيء ويفعل كل شيء لخليقته.

وتقول صلاة أخرى للكنيسة في سبت الأسبوع الخامس من الصوم الكبير: «إن الله الرحيم والأمين، الذي خلق الإنسان وجدده [برأس إبراهيم، الذي يتطور ويتطور في تاريخ الشعب اليهودي، انتظر الله لحظة استجابته الكاملة للأمانة التي كانت في شعبه، العصر الذي جاء فيه المسيح: صار الله إنسانًا، جاء المسيح، هذا هو تجديد الإنسان، لوجود الإنسان]، انظر بإيجابية إلى الناس لديك تم اختياره لنفسك واستدعاء الأجيال الجديدة في عهدك دون أن تمل أبدًا، حتى يفرحوا، وفقًا لوعدك، بتلقي كرامة أبناء الله التي تتجاوز، بما يتجاوز كل أمل، إمكانية طبيعتهم ذاتها».[63]

---

62 ١ تس ٥ : ٩-١١. ١٦-٢١.

63 «بداية الاجتماع الليتورجي»، سبت الأسبوع الخامس من الصوم الكبير «في رموز التقاليد»، في كتاب رتبة القداس اليومي للقديس أمبروزيوس. زمن المجيء، عيد الميلاد، الصوم الكبير، عيد الفصح، المجلد الأول.

وصلاة الكنيسة هذه هي بالتحديد مختصر لما يجب أن يمتلكه المسيحي كمحتوى للوعي الذاتي وكمبادئ توجيهية للتعمق الشخصي وكمعرفة بما حدث وكاتباع وجداني للمسيح. لأنه إذا كانت معضلة الإنسان هي محبة الآب، أي محبة السر، فإن معضلة الإنسان المسيحي تصبح محبة للمسيح. لكن محبة المسيح هي الطريقة التي أراد السر من خلالها تعليم البشرية: من خلال ما لمسناه وما نلمسه، لأن محبة يسوع هي محبة واعية وعاطفة كبيرة لجسده، وهذه المحبة هي حياة جماعاتنا.

الاجتماع العام والخلاصة

جان كارلو تشيزانا: قمنا مساء أمس بعمل المراجعة التقليدي في الفنادق؛ في هذا العام، بذلت الجماعات جهدًا حقيقيًا لتلخيص المناقشة التي جرت في سؤال واحد. ملاحظة أولى: جميع الأسئلة التي وصلت تقريبًا تتعلق بالدرس الأول؛ وهذا يعني أنه يجب قراءة الدرس الثاني ومراجعته بعناية، نظرًا لمركزيته وإيجازه. السؤال الأول هو الآتي: لماذا تم تفضيل مصطلح «الانتماء» هذا العام، بعد الإصرار العام الماضي على مصطلح «المعرفة»؟

الأب لويجي جوساني: تم الإصرار على مصطلح «الانتماء» لأنه أولاً وقبل كل شيء يتم تنمية مضمون المعرفة للوصول إلى التعبير، أي الإعلام، بمعيار نسميه أيضًا العقلية، وتحديداً الاعلام بما ننتمي إليه. وسواء كنا على وعي بذلك أم لا، فإن الطريقة التي نشعر ونرى ونحكم بها تأتي مما ننتمي إليه. هذا هو السبب في أننا لا نصنع ديانة مسيحية، ولا يمكننا أن نطلق على أنفسنا مسيحيين، إذا لم نحاول، بمساعدة الله، النظر إلى كل الأشياء – الخاصة بالحياة الشخصية، ولكن أيضًا الخاصة بالعالم، حالات الطوارئ الرهيبة في هذه الأيام – وبالصلاة إلى الله، لا يمكننا الاستجابة لها إلا بمعيار تلقيناه من الكنيسة التي ننتمي إليها.

ستيفانو ألبرتو (دون بينو): عاد هذا السؤال عدة مرات: «هل يمكن شرح العلاقة بين الانتماء والحرية بشكل أفضل؟». لأنه وفقًا للعقلية السائدة – كما كتب أصدقاء فندق – أنه يُنظر إلى الانتماء، «الوجود من»، على أنه إنكار ونفي للحرية. بينما أنت تحدثت عن الحرية كعامل أساسي ونتيجة قبل الانتماء. ثم: «لماذا هناك تمرد على تصور الذات باعتبارها منتمية؟».

الأب لويجي جوساني: إذا كان الانتماء هو تبعيتنا وأننا مخلوقين ووعينا بأننا مازلنا مخلوقين من الخالق، الله، سر الله، فما الذي تلقيناه من سر الله؟ كل شيء! وبالتالي ما يمكننا أيضًا تسميته بـ «الحرية». ولذلك فالانتماء هو مصدر الحرية. ويمكن القيام بذلك بشكل أو بآخر؛ ولكن ما إذا كان يتم تنفيذه بشكل أو بآخر لا يعتمد على الحرية

فقط، بل يعتمد أيضًا على عامل آخر، وهو إرادة السر، إرادة الله السرية. على أية حال، يبدو لي رداً كاملاً عندما أقول لكم أنه اذا كان الانتماء يشير إلى العامل الذي أعطانا ويعطينا الوجود، فإن الطاقة التي تشكل فينا موقف.الحرية.تأتينا من.الانتماء. ففي الواقع.، الحرية.لا تخلق نفسها.

جان كارلو تشيزانا: ولكن، إذا كان الأمر كذلك، فلماذا نتمرد كثيرًا؟

الأب لويجي جوساني: نحن نتمرد كثيرًا أولاً وقبل كل شيء لأننا لا نعرف مصطلحات القضية، ولا نعرف ما هي الحرية، ولم نفكر أبدًا في هذا الأمر. ومع ذلك، يتم استخدام الكلمة من قبل الجميع، لأنها كلمة تنبع من خبرتنا (فكل الأشياء التي تهم الانسان يجب فهمها في اطار الخبرة التي يعيشها الإنسان). والجميع يستخدمها حسب تيارات الفكرية أو المصلحة أو السلطة. ولكن، من خلال «إزالة شوائب» تفسير الكلمة والذهاب إلى جوهرها، يبدو لي أن الحرية (كما قلنا قبل عامين) هي الاعتراف بالذي يمنحنا الوجود، وهو الذي يصنعنا ويخلقنا، وكل ما يتعاون بإخلاص ونشاط، والذي اتخذه الله كأداة لتحقيق أفكاره عن حياتنا، وصوره عن وجودنا. وكي نكون شاملين (في الاجابة)، يجبرنا هذا على أن نقول: الحرية هي الاعتراف بأن الله هو كل شيء في كل شيء، كما لو أن الله خلق العالم والخليقة كي يتحدى اللا شيء وكي يتحدى العدم (هذه تعبيرات اصطلاحية، ولكني لا أعرف كيف أجد أفضل منها كي أشرح بطريقة مفهومة ماهي الحرية، وما هو الخلق)، كما لو أن الله أراد أن تكون خليقته حقيقة واقعة تعترف بأنه كل شيء، مثل صدى مجد داخل السر (الله).

والجانب الأخير من السؤال المطروح هو لماذا نتمرد. يكاد يكون أمراً سخيفاً أن نطرح على أنفسنا هذا السؤال، لأننا لا نلمس، ولا يمكننا المعرفة الكاملة والشاملة للسر (الله)، والعلاقة بين السر والمخلوق. في النهاية، في رأيي، لا يمكننا الوصف بكلمات سبب رفض الانسان لأعظم دليل لديه. ويصبح الأمر أكثر إلحاحًا وصادماً لأننا عندما نفكر في الشيطان، الملاك المتمرد، الذي لا يمكن وصفه إلا بأنه كائن لا يعترف أنه من صُنع آخر («لا، لا أعترف بك، إنك لم تمنحني الوجود»)، يبدو لنا كانكار وكذب يتبين أنها نفي. هناك جانب من هذا الموقف لا يزال يكتنفه الغموض بالكامل؛ وبكلمات أخرى، لا يمكن للحرية تعريف ذاتها. والتمرد لا يمكن تفسيره إلا على أنه صمت كئيب أمام النفس وأمام الباب الأخير وهو باب شعورنا بأننا مخلوقين:

«أنا لا أعترف بك». لكن لا شيء يمكن أن يقضي على ما قبله، وهو أن الله هو الكل في الكل. فالكائن بذاته هو كل شيء في كل الموجودات.

جان كارلو تشيزانا: كيف يمكن تجنب إغراء الهيمنة في المسؤولية التاريخية التى لدى المسيحيين؟

الأب لويجي جوساني: يتم تجنب الهيمنة كدافع لالتزام الشخصي، عندما لا يلتزم الانسان بالعطش للنجاح بسبب حب الذات أو الأنانية أو المصلحة (الأنانية أو المصلحة)؛ إذن نجد الحل في التعارض بين الهيمنة والمسؤولية التاريخية. فبعد أن قلنا هذا عن الهيمنة، التي هي كبرياء وغطرسة تنبثق من مؤامرة العنف التي تسود أيامنا (للأسف!)، دعونا ننتبه إلى المسؤولية التاريخية للانسان المسيحي. يحتاج الأمر إلى اسم آخر للاستشهاد بها، وليس رغبة تسلطية للنجاح الشخصي أو للفخر الذاتي كإشباع وكمجموعة من الأشياء التي تهمنا. إن المسؤولية التاريخية للمسيحي هي مسؤولية أخرى: معطاة لنا من خلال حقيقة أن حب المسيح، الذي يشارك فيه كل واحد منا في الكنيسة، فإن محبة المسيح التي تغزو روحنا بطريقة شخصية، تؤدي إلى التزام ذو إسم مختلف وطبيعة مختلفة. وهو اهتمامنا بحياة الآخرين وبحياة جميع البشر مستخدمين كل الطرق والأدوات التي يسمح الله للإنسان أن يجدها والتي هي حقيقية وصحيحة!. لكن المحبة التي تدفعنا ليست كذلك ولا يمكن تسميتها على أنها سعي وميل للهيمنة والتسلط. إذ يجب على المسيحي أن يحاول النضال من أجل إيمانه أو من أجل الحرية والعدالة للآخرين، حتى بمحاولة الحصول على مناصب في السلطة؛ ولكن إذا لم يصل إليها، فلم يكن هذا هدفه، وليس واجبه النهائي أن ينجح في ذلك، لأن الظروف التي يتركه الله فيها ويضعه للعمل، قد لا تسمح بذلك. فحتى يسوع، الذي جاء ليضع السلام للعالم، تم قتله!

دون پينو: يوجد الآن سؤال أكثر تحديدًا يشير إلى مقطع من الدرس الأول: «ماذا يعني أنه حتى العدالة يجب أن يحكم عليها قانون الانتماء؟».

الأب لويجي جوساني: إن العدل ليس شيئًا موجوداً في الهواء، كأحد النجوم، ولا يعمل في الهواء بدون إنسان فاعل. لذلك، يجب على الانسان الذي يحكم على انسان آخر قادرًا على فعل ذلك بضمير يتبع قانون الله، لأن ذلك الانسان ينتمي إلى الله مثلي ومثلك. ولكن، إذا كان

على علم بذلك، فلا يمكنه الحكم على انسان لينتفع بميزة سياسية، على سبيل المثال، أو لضمان مستقبله الوظيفي في سلك القضاء. لذلك، أعتقد أنه من الصعب جدًا الامتثال إلى وطاعة قانون الله في كثيرمن الأمور، كما هو بالنسبة لي ككاهن كذلك بالنسبة لمن هو قاضي (حتى لو لم أكن قاضيًا في محاكمنا، فأنا أمام الله يمكنني فعل ذلك: فالاعتراف هو، أليس كذلك؟). هناك تفصيلة تظهر على السطح وتوضح أن هناك شيئًا غامضًا في الأمر: إنه غياب الحب للشخص. وبهذا المعنى اقتبست عبارة نيتشه («في عين قضاتكم، يضيء لي الجلاد دائمًا بسيفه الجليدي»).[64] وأيضًا لأنها دائمًا – دائمًا! – ضد المصلحة النهائية والحقيقية للمجتمع، إذا بدأ القاضي، الذي يمثل المجتمع في ذلك الموقف الصعب، بقراءة تبدو غاضبة ومبالغ فيها لما يمليه القانون بدون مراعاة الأشياء التي قلناها: هذه التبعية لله والتي هي تبعيته أيضاً.

جان كارلو تشيزانا: من ناحية أخرى، يمكن القول أيضًا، بما أن الانسان ينتمي دائمًا إما إلى الله أو للشيطان، كما قيل، خاصة إذا لم يلاحظ الانسان ذلك، فإنه يحكم وفقًا للسلطة المهيمنة.

الأب لويجي جوساني: بالتأكيد! ولكن، فإن السلطة المهيمنة «تنجح» – عبر جميع وسائلها، وتزداد في اختراقها للحياة الشخصية وبطريقة نفسية، وتصبح قادرة بشكل متزايد على تقديم بُعد مشترك للجميع، في العديد من الأشياء – إذا لم نكن ننتمي بالفعل إلى شيء ما، ليس بصفة مؤقتة، ولكن كحكم على أنفسنا: وعلى ما نحن عليه وما نفعله في العالم، كما سمعتم بالأمس من عبارات الرسل الأوائل، القديس يوحنا والقديس بولس: «فما مِنْ أحدٍ مِنَّا يَحيا لِنَفسِهِ، وما مِنْ أحدٍ يَموتُ لِنَفسِهِ»؛ لكن «إذا حَيينا فللرَّبِّ نَحيا، وإذا مُتنا فللرَّبِّ نَموتُ. وسَواء حَيينا أمْ مُتنا، فللرَّبِّ نَحنُ».[65]

جان كارلو تشيزانا: يصف السؤال الذي أقرأه الآن وضعاً واسع الانتشار ويتم التعبيرعنه بعبارات أولية إلى حد ما، لكنها واضحة: «هناك معادلة تجعلني أرتعد. إن إله إبراهيم الذي يتجلى في المسيح والذي يستمر في الكنيسة والذي يصل إلينا بموهبتك الروحية، يتجسد في الاشخاص وفي المسؤولين عن مدينتي والذين أطيعهم: تسبب لي مشكلة. ما معنى الانتماء في طاعة هؤلاء الأشخاص؟».

---

[64] راجع فريدريك نيتشه، هكذا تحدث زرادشت، مؤلف سبق ذكره، ص ٧٦.
[65] راجع رو 14: 7-8.

الأب لويجي جوساني: إن «الطاعة» هي كلمة يجب أن تظهر على نطاق واسع في التأمل كما قدمناها هذا العام. لأنه إذا وُلِد الإنسان من آخر – وإذا كنت من صُنع آخر (الله) – فمن البديهي أنه يجب أن يطيع هذا الآخر. وإذا وُضِعَت أمام ما انبثقت منه، فالطاعة هي الفضيلة التي تضمن نمو ما أُعطى له. لكن على العكس من ذلك، يتم الاعتراض على الطاعة بشدة وبشكل حاد، أولاً وقبل كل شيء كإغواء لضميرنا، في عصر مثل عصرنا، حيث لا يتم على الإطلاق ملاحظة بيانات وأحداث الوعي الطبيعية والتي كشفها الله بيسوع، أي غير مفهومة وبالتالي يتم التغاضي عنها، لأنها تظهر على أنها إنكار لحريتنا أو لحرية أو لمتعة، ويبدو أنها تتعارض مع الوجود. ولكن على وجه التحديد يجب علينا طاعة من نتبعه ومن خلقنا. لأن لا شيء يخصك هو ملكك في الأصل، إن كل شيء أُعطِي لك. وأُعطي لك ليس بدون ذكاء وحب. فالآب الذي في السموات لديه خطة لك. وهي ما أعطاك للعيش وللوجود يتميز بـ «سمات» في تطوره – في مكوناته وكيف يجب استخدامه –: وهذه هي القوانين، القوانين الأخلاقية (القانون الأخلاقي لم يخترعه الإنسان، بل وضعه انسان واعٍ وعارف بأصله). ففي الأصل، تتم الاشارة إلى ظواهر تطور القدرات التي يجب أن يمتلكها الإنسان. لذلك فإن الطاعة كفضيلة هي أمر خاص بالانسان المسيحي. في الواقع، أطاع المسيح حتى الموت مثل موت الصليب. يبدو أن كل شيء في حياتنا قد تم، ويبدو أنه يتحدث ضد هذه الكلمة. من ناحية أخرى، المعيار الذي نعيش به الأشياء، وما نرغب فيه، وكيف نحاول الحصول على ما نرغب فيه، وما هو مفيد لنا، وما هو جميل، والمعيار (لقد رأينا ذلك أيضًا في هذه الأيام) هو في نهاية المطاف من آخر (الله). فالطاعة هي فعل الأشياء بمعيار آخر (الله). إذا كان الإنسان من صنع الله، فإن حياته كلها تعتمد على الله، ولهذا بدأنا، منذ ثلاث سنوات، في الرياضة الروحية قائلين: «الله هو الكل في الكل». ولكن، في العقلية الحديثة، العامل، أي الإنسان الذي يعمل، الذي شَكله الله وصنعه، الحاضر فيه منذ الأصل، ولكن الانسان تخلى عن الأصل: فقد أُعطي الانسان الأصل باعتباره أمرًا مسلماً به وهكذا يصبح ضبابيًا بمرور الزمن، حتى يختفي. ويحل محله «العالم» – كما يقول السيد المسيح – بدءاً من روضة الأطفال وفي زملاء الدراسة وحتى الجامعة في تزايد دائم بأحكامه ودعواته ونصائحه وجاذبيته. ثم نكبر ويبدو لنا أننا صرنا كبار بالتحديد لأننا، بعد أن نسينا أصلنا، نقوم بمعارضة الواجب. إن عدم طاعة أي شخص، أو بالأحرى عدم طاعة الأب والأم، وعدم طاعة الماضي، والاقتراحات التي يشعر المرء، بناءً على الماضي، بواجب فعلها

وتنفيذها أصبحت سلوكاً كلاسيكياً للإنسان. فالقطيعة مع الماضي هي عبقرية وزراء التعليم في حكوماتنا.

جان كارلو تشيزانا: ومن الجانب الآخر، من يطيع يبحث عن الكاريزما (الموهبة)، أي يبحث عن الأصل، ومن يتذكر لا يتذكر نفسه، بل يتذكر الكاريزما وما تعترف به الكنيسة.

الأب لويجي جوساني: أشكرك على هذه الملاحظة، لأنك لمست نتيجة طبيعية شيقة للغاية تتعلق بمشكلة طاعة الكنيسة والحركة، والتي غالبًا ما تبدو غير متطابقة، وغير مقنعة. لكن ما تسمعونه منا هو مقنع بما يتناسب مع بساطتكم وصراحتكم. وإلا، فلابد أن الله قد أخطأ في أن يصير إنساناً! لأنه إذا لم يصير انساناً، فلن تكون هناك كل هذه العواقب. ولكن، كما قال القديس غريغوريوس النزينزي: «لو لم أكن مِلْكُكَ أيها المسيح، لشعرت بأنني خليقة منتهية»،[66] ولن أكون انساناً، لأنك أنت (أيها المسيح) أعطيته كل شيء كي يكون انساناً. لقد أراد الله أن يأتي ويتحدث وسط البشر اليائسين، ولكن أيضًا المتفرقين والتائهين بسبب البلبلة والاضطراب؛ فصار الله انساناً بيننا: كما حدث منذ ألفي عام، والآن هو بيننا. وهنا النقطة الأصلية. لقد كان بامكان للمسيح أن يقول ويفكر كإنسان: «أنا هنا إلى الأبد، لقد أعطاني الآب العالم كله بين يدي وأنا هنا لإنقاذه؟ ولكن إن قبلت الموت، وإذا قبلت أن تُصلب، فكيف يمكن فعل ذلك؟». إذن، هناك، عند هذه النقطة، التي تخيل فيها كيف يكون حاضرًا، وفقًا لمثله الأعلى، المثل الأعلى الذي قام الأب، سر الله بزرعه في قلبه الانساني: وفكر في هذا الشيء العظيم الذي هي الكنيسة؛ الكنيسة التي تبدأ في الظهور عندما يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه (وهذا هو مبدأ أخويتنا، الأخوية). لكن رئيس جماعتك قد يكون انساناً فقيرًا، وربما لا يعطيه أحد قطعة نقود واحدة. ومع ذلك، فقد تعودنا على عدم وجود هذا الاعتراض من الله وكذلك من الباباوات الذين عرفناهم، والذين كانوا مهرة جدًا ومؤمنين حقًا ومؤمنين بذكاء. وهكذا مثل الكنيسة، فإن الحركات في الكنيسة بالأحرى، وكل ما يشارك في الكنيسة: من أبرشيات ورعيات وحركات وكل هذه المؤسسات الثلاثة جميعها تندد بوضوح أكثر بأن كلمة الله ونعمته تنقلها أيادي مرتعشة، مثل أيدي إنسان في السبعين من عمره، ثم هناك اليد المرتعشة: ويتناول الواحد منا القربان المقدس من اليد المرتعشة كما كان ينبغي أن يتناولها عندما تكون اليد مستقيمة! لكن

---

66 القديس غريغوريوس النزينزي، «كارمينا» الثانية / الأولى، كارميه الرابعة والسبعين، الأبيات ٤-١٢، من كتابات آباء الكنيسة اليونانيين، السابع والثلاثين، باريس ١٨٦٢، المجموعة ١٤٢١ - ١٤٢٢.

تظل الكنيسة صالحة لأن المسيح هو مؤسسها وحيث أنه لا يستطيع التخلي عنها؛ لأن الروح نزل على الرسل وعلى السيدة العذراء، في البداية، وأعطى ذاته للبشرية جمعاء: ويبقى المسيح هنا للجميع إلى أبد الدهور.

وهكذا، توجد أدوار للبعض في الجماعات المحلية؛ والاحتياج هو أن ما يقولون إنهم يفعلونه يجب أن يتساوى تمامًا مع ما يجب على كل مسيحي فعله، أو حتى في الأعمال الخيرية وفي العلاقات، يجب أن يحظى بالاحترام والحب الكاملين. إن الطاعة هي أصعب وأقسى شيء على الفرسان والرهبان والعلمانيين في الحركات الكنسية.

***

أود أن أترك لكم أمنية. بعد كل ما سمعتموه ربما لم يتم استيعابه وفهمه، ومع ذلك أترك لكم الأمنية لأنني لا أعرف أن أقول لكم شيئاً آخر أفضل منها.

أتمنى لكم أنه في الحياة، بعد لقائكم بهذا الشيء العظيم، الذي هو نعمة من الله، مثلما نسمعه يقال الآن بشكل طبيعي وعفوي في جميع الأماكن التي يتواجد فيها أي منا ... وبسبب النعمة التي نلناها من هذا اللقاء، هناك في الواقع إمكانية فيكم، إمكانية وضعها الروح القدس داخلكم، بطريقة سرية أو علنية، حسب تاريخ كل واحد، وهي قدرة وضعها الروح فيكم كي تعطوا شهادة للمسيح، الذي هو الشيء الوحيد الذي ينتظره العالم، لأنه حيث يوجد المسيح، فهناك تنعم العلاقات بالسلام والوحدة، وكذلك العلاقات بين المتزوجين (فالوحدة والسلام يجب أن يكونا أيضاً مسار العائلة؛ ولكن للجميع أيضاً)... على أية حال، مهما كان شكل الدعوة، أتمنى لكم أنه في هذه النعمة العظيمة، ومن أجل هذه النعمة العظيمة التي أعطاكم الرب إياها، إذا صارت دائماً أكثر خصوصية، أي أكثر طاعة (لأنه حتى إضفاء الطابع الشخصي هو طاعة معاشة بذكاء)، أن تلتقون بأب وأن تعيشوا خبرة الآب. لأن الانتماء الأول، بالمعنى الجسدي والاجتماعي، وأيضاً في كل واحد فينا، هو للأب والأم. لأن الله أُعطِيَ لنا من خلال أب وأم.

وأن يعيد كل واحد منكم اكتشاف عظمة هذا الدور، الذي هو ليس دورًا، بل هو الوضع التي ينظر فيه الإنسان، ويرى الله، ويُسند الله إليه ما يريد منه؛ الأب وبالتالي الأم، لأنهما متماثلان، وليستا وظيفتين روحانيتين مختلفتين؛ إذ تتغير الأشياء ماديًا فقط، عندما يكون لأحدهما حد وللآخر حد آخر. لهذا السبب أردت المجيء إلى هنا لأحييكم. أتمنى أن تعيشوا خبرة الأب؛ أي الأب والأم: أتمنى هذا

لجميع القادة ولجميع مسؤولي جماعاتكم، ولكن أيضًا لكل واحد فيكم، لأن كل واحد يجب أن يكون أباً لأصدقائه هناك، ويجب أن يكون أماً للناس الذين عنده هناك؛ بدون كبرياء أو استعلاء، ولكن بمحبة وود. ففي الواقع، لا يمكن لأحد أن يكون هكذا محظوظًا وسعيدًا كرجل وامرأة يشعران أن الرب صنعهما آباء وأمهات. آباء وأمهات كل هؤلاء الذين يلتقون بهم. هل تتذكرون – كما يصفه الكتاب الثاني لمدرسة الجماعة – عندما كان يسوع يمشي في الحقول مع رسله، ورأى بالقرب من قرية تدعى نايين امرأة تبكي وتنتحب خلف نعش ابنها الميت؟ وذهب إلى هناك؛ ولم يقل لها: سأعيد ابنك إلى الحياة. لكنه قال: «لا تبكي يا امرأة» بحنان يؤكد حنانًا واضحًا وحبًا للإنسان! ولاحقاً في الواقع، أعاد لها ابنها حيًا.[67] لكن ليس هذا، لأنه يمكن لآخرين صنع المعجزات أيضًا، لكن هذه المحبة وهذا الحب للإنسان الخاص بالمسيح لا مثيل لها في أي شيء! هيا نذهب.

[67] راجع لو ٧ : ١١ - ١٧.

مداخلات و تحيات
(٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٤)

توقف الأب جوساني منذ عام ٢٠٠٠ عن قيادة الرياضات الروحية لأخوية الشراكة والتحرر. وحتى مشاركته عبر الفيديو كونفرانس صار أمراً شاقاً عليه نظراً لتدهور حالته الصحية التي منعته من إلقاء «الخطاب الطويل» المطلوب لأحد التأملات أو لأحد الدروس. لقد كانت تضحية جسيمة لمن حدد من بين أسباب عدم تأثير الإيمان على حياة الإنسان المعاصر، إلى جانب عدم وجود الأسباب التي اقترحت بها الرسالة المسيحية وعدم القدرة على إيصالها باعتبارها إجابة على أسئلة الوجود الانسانية والواقعية.

ومع ذلك، وكما كانت عادته، لم يستسلم واستمر في التعبير، بأشكال مختلفة، عما كان يكتشفه في ظروف حياته، وعما في وعيه الذاتي، والتأملات التي أثارتها فيه القراءات والموسيقى والأحداث، وردود الأفعال والأحكام على الحياة المشتركة التي تَنبه لها بشدة دائمًا. لقد كانت مداخلات في مؤتمرات عَهِد بقراءتها إلى مساعديه، ومقابلات ومقالات في الصحف الوطنية اليومية، ورسائل إلى الجماعات، في مناسبات معينة أو بالتزامن مع تجمعات من أعضاء الحركة، ورسائل إلى الأخوية – تلك التي تمت كتابتها ما بين في عامي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٤ – والتقارير التلفزيونية. فبعد الهجوم على الجنود الإيطاليين في الناصرية (بالعراق)، وبعد الجنازة في روما، والتي أثارت مشاعر الجميع، طلب مدير نشرة الأخبار بالقناة الثانية بالتليفزيون الايطالي من الأب جوساني كتابة نص «الغلاف» لافتتاح الطبعة الاخبارية لنشرة الثامنة والنصف مساءً. وفي النص الذي تم بثه، علق على ديوان البكاء القديم للشاعر كاردوتشي والأنشودة الثالثة والثلاثين عن الفردوس وعلى حكم زوجة العميد كوليتا، وتمني وجود «تعليم وتربية لقلوب الناس»، من أجل إحداث هزة شعبية (للوعي): «لأنه لو كان هناك تعليمًا للناس، لأصبح الجميع أفضل حالًا».[1] وتبث القناة الثانية الايطالية مرة أخرى أحد تأملاته عن عيد الميلاد تم قراءته في سياق النشرة الاخبارية للقناة الثانية بالتليفزيون الايطالي عشية عيد الميلاد في عام ٢٠٠٤، والذي كان آخر مشاركة عامة له والتي قال فيها، من بين أشياء أخرى، أن «عيد الميلاد هو حب المسيح

[1] الأب لويجي جوساني، صدمة القلب، مجلة «آثار»، العدد ١١، نوفمبر ٢٠٠٣، الصفحات ٢٦-٢٧.

للانسان. [...] كائن جديد يدخل العالم».[2] قبل شهر كان قد اختار، كنص لبوستر عيد الميلاد، عبارة كتبها الأديب تشيزاري بافيزي: «إن الفرح الوحيد في العالم هو أن تبدأ. ومن الجميل أن تحيا لأن الحياة هي أن تبدأ دائمًا في كل لحظة».[3] نفهم على الفور ما هو أصل أنفسنا».[4]

طورت الرياضات الروحية منطقًا دقيقًا للخطاب، حول مسألة الذات والتخصيص بعناوين بليغة: ما هو الإنسان وكيف يمكن معرفته (٢٠٠٠) و إبراهيم: ولادة الذات (٢٠٠١) ورغم العيش في الجسد، أعيش في إيمان ابن الله (٢٠٠٢) وحدث الحرية (٢٠٠٣) ومصير الإنسان (٢٠٠٤).

كما شارك الأب جوساني في الاجتماعات الكبيرة من منزله موجهاً في النهاية تحياته إلى المشاركين الذين إجتمعوا في مدينة ريميني أو بالفيديو عبر الانترنت، باستثناء عام ٢٠٠٣.

إنها كلمات شبه مرتجلة، معبرة عن صدمته مما سمعه، ومليئة بالفكر والعاطفة والحب لكل من استمع إليه في القاعات الكبيرة بمعرض ريميني بفضل الاتصال الهاتفي أو شاهده يتكلم على الشاشات. إنها كلمات لا تُنسى («يا إمرأة لا تبكي»، و «تعال أيها الروح القدس» و «إيجابية الحياة»)، كررها أصدقائه كثيراً ودخلت في الوعي الفردي، تاركة فيه علامة لا تُمحى. إنها الكلمات التي جعلت الأب جوساني، مثل كل الكلمات الأخرى، يشعر بأنه قريب من حياة الجميع، آنذاك ولا يزال إلى اليوم.

وبعد مشاركته مع الآخرين، من خلال درس أو في إجتماع عام ختامي، قاد الأب جوليان كارون الرياضات الروحية للأخوية بالكامل منذ عام ٢٠٠٤. ومن خلال «مداخلاته» بالفيديو عبر الانترنت، أعرب الأب جوساني عن حماسه واقتناعه بما سمعه.

«الرجاء لا يُخيب» كان عنوان الرياضة الروحية في عام ٢٠٠٥ بعد وفاة الأب جوساني في ٢٢ فبراير من ذلك العام.

---

[2] الأب لويجي جوساني، رهان سلطة الله عبر الزمن، مجلة «آثار»، عدد ١، يناير ٢٠٠٥، ص ١٢٨.

[3] تشيزاري بافيزي، حرفة العيش. يوميات الفترة من ١٩٣٥ حتى ١٩٥٠ بالمفكرة السرية، عمل سبق ذكره، ص ٩٦

[4] الأب لويجي جوساني، المذكور في كتاب ألبرتو سافورانا، حياة الأب جوساني، عمل سبق ذكره، ص ١١٦٦.

المداخلة الختامية للأب جوساني
في الرياضة الروحية عام ٢٠٠٠
«ما هو الانسان وكيف نعرفه» *

أتحدث إليكم ... ونحن نتحدث إلى بعضنا البعض طوال اليوم وأمس وأول أمس وطوال حياتنا، لأن ما نجده في نصوص ترانيمنا الأولى هو صحيح حقاً.

١) «أنا لا أستحق ما تفعله لأجلي، أنت يا من تحب كثيراً شخصًا مثلي». [5] إنه مُرحقًا الأمر بأن الله قام بتربيتنا في محبة وفي وعي حي اللتين هما قِوام حياة الإنسان وحياة الحركة وحياة الكنيسة بأسرها ونهاية.الانسان وغايته – بتوافق.الأخيرة مع.نهاية.الإنسان –، ونحن لا نستحق ذلك.

«أنا لا أستحق ما تفعله لأجلي». فكروا كيف، مع كل يوم يمر، أزداد دهشة في داخلي مما يفعله الله! والله يفعل اليوم لأنه فعل بالأمس! لذلك هو واقع جديد في العالم والذي دخل إلى العالم. إنها وحدة جديدة دخلت عالم الكنيسة – لذا يمكن أيضاً أن نضيف أن واقعًا جديدًا داخل الكنيسة ينمو ويُشِع بحب وإشراق كبيرين ما هي الكنيسة.

أنظر، «أنا لا أستحق ما تفعله لأجلي، أنا الذي ليس عندي ما أعطيه لك». لكني أقول لك: «إن كنت تريد ذلك، فخُذني».

٢) كنت أعود بفكري هذه الأيام إلى كل هذا الكم الضخم من الحياة والفكر اللذان كانا بيننا. لأنه أمر هام وذو مغزى أن الترنيمة الأولى التي حدثت بيننا (أقول «حدثت» لأنها كذلك) تعطي بالفعل البعد الكامل للسؤال – أي السبب – الذي يحركنا؛ ومن الجانب الآخر، قدمت الجواب بالفعل.

حاولوا التفكير في ترنيمة حركتنا وفي تلك الكلمات التي أملتها ماريتا كامبي، مع الموسيقى التي ألفتها أدريانا ماسكاني: «صوت فقير لانسان لا وجود له، (هذا هو) صوتنا إذا لم يعد لديه سبب». لكن

---

* الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، ١٩-٢١ مايو ٢٠٠٠، ريميني.

[5] كلاوديو كييفو، «أنا غير مستحق»، في كتاب الترانيم، الجمعية التعاونية للنشر «عالم جديد»، ميلانو ٢٠١٤، الصفحات ٢٠١ - ٢٠٢.

«يجب أن يصرخ ويجب أن يتوسل كي لا تنتهي نسمة الحياة». إن التأثير الذي فينا والذي تحدثوا عنه جيدًا في الاجتماع العام هذا الصباح وهو التأثير الكبير للرغبة في الحياة بالعاطفة والالتزام بعاطفة المشاعر بالتزام الحرية، يمكن أن نختبره ونجتازه كضرورة يجب تحقيقها.

«صوت فقير لانسان لا وجود له»: إن لم يكن لهذا الصوت سبب، فسيكون خاطئًا وفارغًا. لذلك،إن كان عليه أن يصرخ ويتوسل كي لا تنتهي نسمة الحياة، فعليه أيضًا أن «يغني لأن الحياة موجودة». هذا هو السبب العظيم، دون مقارنة بأي كلمة أخرى. «الحياة كلها تنشد الخلود». وعند استيقاظنا في الصباح ليوم محموم الايقاع وليوم مرهق وليوم يخلو من أي اتفاقات معين، «يجب الغناء لأن الحياة موجودة؛ والحياة كلها تنشد الخلود».

الحياة كلها تنشد الخلود. حاولوا التفكير في الأربعين سنة التي ناشدت فيها الحياة الخلود! «لا يمكن أن يموت و ينتهي صوتنا بأن الحياة تنشد الحب». هذا هو السبب في أنه «ليس صوت فقير لانسان لاوجود له: بل صوتنا يغني لسبب».[6]

عندما عدت بفكري في هذه الأيام في من قام بتأليف هذه الأغنية، بالكلمات والموسيقى – كانتا صديقتين لمدة خمسة عشر أو ستة عشر عامًا – ، وتساءلت: لكن من هو القادر الآن على العثور على تعبير موجز ومفعم بالحياة، وقادر على الطلب والذي يمكن للجميع التعرف عليه كتعبير جاد وصادق؟.

٣) عندما انتهى يهوذا من بقائه مع يسوع وذهب لخيانته، يقول الإنجيل: «وكان ليلاً».[7]

إن النسيان أو التخلي عن ما قِيل ويُقال لنا ربما يكون بمثابة إغراق حياتنا كلها في ذلك الظلام الذي يبدو أنه ما ستؤول إليه حياة غالبية البشر.

إننا نتقدم في الوجود عبر أمن يحرق كل أثقالنا وكل مخاوفنا من نقص قِوانا.

فالرجاء بالنسبة لنا هو يقين ويقين بالمستقبل. وبالنسبة لمن يسير بدون يقين حول المقصِد الذي يجب عليه الوصول إليه، ربما ينتهي به الأمر كمأساة لرجل فقير.

لكننا نسمح للظلام بالاستحواذ علينا مرات عديدة، خاصة عندما يكون هناك خيبة أمل من عدم الإيمان أكثر من الرغبة في الحقيقة.

---

[6] ماريتا كامبي - أدريانا ماسكاني، «صوت فقير»، كتاب الترانيم، ص ٢٠٨.

[7] يو ١٣: ٣٠.

«قُل لي الآن كيف يمكن لإنسان في يده كل شيء أن يرجو، ولكنه لا يغفر».[8] إن هذا البيت من أغنية كلاوديو كييفو ربما يكون الملاحظة الأكثر إنسانية والأكثر استحواذاً على الإطلاق.

«كيف يمكن لمن يملك كل- شيء أن يرجو- وهو- لا يغفر»؛ ولا يعترف بالغفران الذي هو الجانب الأكثر دراميا وإقناعًا في علاقة السر (الله) معنا، إلى درجة أنه لا يعترف بالمغفرة باعتبارها الشكل الأسمى للعلاقات بينه وبين الآخرين من البشر (كما تقول الصلاة الربانية: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا»). ولكن الانسان الذي يهيمن عليه الاحساس بعدميته وبقلقه، يصبح عبداً لما يقوله العالم. ثم يقوم العالم، عاجلاً أم آجلاً، بنشر هيمنة الانكار حول يقين السعادة الانسانية.

وكان ليلاً. إننا نتبع الظلمة التي يسقط فيها منبع رجائنا وقوته، لأن هذا الرجاء ليس جواباً يظهر حياً ومتحققاً في الحال. فنحن إذن مثل ضمير الإنسان عندما يكون في مستوى الخداع. وهذا هو السبب وراء حجب كل مزايا صداقتنا وأخويتنا وكل مزايا حياة الكنيسة في التاريخ.

إذ تسود كل السلبية عندما يكون الانسان هو يهوذا، وعندما لا يستطيع تجنب هذا التوافق مع يهوذا ، أي مع الخائن؛ لكنه بدلاً من أن يصرخ، يجب أن يتوسل حتى لا تكون هناك نهاية لمصير الحياة.

ومع ذلك، لن يكون هناك شيء في العالم يمكن أن يساعدنا حقًا. ولكن بما أن هناك «حاجة إلى من يحررنا من الشر»،[9] فقد جعل الله نفسه، أي جعل السر نفسه حاضرًا بشكل ملموس، جسد من جسدنا.

إن النظرة إلى يسوع في رحم السيدة العذراء هي أكثر شيئ محرر للانسان، وأعظم شيء يمكن أن نتخيله. لنساعد بعضنا البعض على السير أكثر وأكثر في ضوء هذا، حتى لا يحجب خمول طاقتنا حقيقة النور.

---

8 كلاوديو كييفو، «رقصة السلطة»، في كتاب الترانيم، السابق ذكره، الصفحات ٢١٩ - ٢٢٠.

9 نفس المرجع المذكور أعلاه

المداخلة الختامية للأب جوساني
في الرياضة الروحية عام ٢٠٠١
«إبراهيم: ميلاد الأنا» *

استطعت متابعة مسيرتكم بالطريقة التي سمح لي بها الرب، أي بطريقة أكثر محدودية وأكثر إرهاقاً من ذي قبل. لكن كل شيء هو مسيرة الله في حياتنا. على أية حال، ليس هناك شيء سوى هذه الصيغة كي نجعل قلوبنا مستعدة أخلاقياً وقادرة دائماً على التألم من أجل ما خلقنا الله له.

لكنني، حتى لا أفرط في إطالة أمد إقامتكم هناك، أقول اليوم أن هناك شيئًا واحدًا لا يمكن إغفاله – دعونا لا ندعه يسقط في إمكانيته –: فمن الضروري الصلاة بالمعنى الحرفي للكلمة أي التضرع إلى من ننتمي إليه لأنه لم يدعونا عبثًا.

إننا مدعوين كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وكل لحظة. وفي الواقع، إن ما يميز الأنا، وما يحدد الأنا أمام كل المواقف الانسانية الأخرى، وما يميز الأنا هو تحديدًا الوعي بأنها علاقة مع اللامتناهي: فعلى سبيل المثال، تقوم إمرأة بالحياكة أو بالطهي في المطبخ، وهي علاقة مع اللامحدود. إن ما يميز الإنسان هو هذا البعد المفارق بين القليل الذي هو كذلك، والضئيل جدًا الذي هو كذلك، و"الفتيل" الذي هو كذلك، أي بين ضآلته والعلاقة الجوهرية التي هي العلاقة مع الله.

لكن الآن لا أريد العودة إلى أشياء سبق لنا تناولها معًا بالفعل. أريد ببساطة أن أقول: لنصلي ونصلي، حتى يمكن للمرء القيام بذلك حتى أثناء قيامه بأي عمل آخر. إنها نِية تنفتح على نية، مثل يحدث في يوم ممطر، تخترق الشمس الغيوم بشعاع نورها الذي تنشره، وتجعلنا ننشر النور على كل ما نحن عليه وما نفعله.

لقد طبقت واكتشفت في هذا الأزمنة بكل قلبي المتأثر المشاعر صيغة «الصلوة القصيرة الختامية» التي يمكن أن يقولها الانسان، وهي الصيغة الأكثر اكتمالا التي يمكن تصورها من وجهة النظر المسيحية: «تعال أيها الروح القدس. تعال من خلال مريم العذراء». كرروا هذه الصيغة كل يوم وكل ساعة عندما يختاركم الرب لسماعكم: إنها لحظة يتم فيها إعادة ربط كل شيء واستعادته، ويصبح كل شيء بشكل سري واحدًا وجميلًا.

* الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، ١٨–٢٠ مايو ٢٠٠١، ريميني.

تعال أيها الروح القدس، لأن الروح هو الرب، والروح هو الله (فالله هو روح والروح هو الله). الروح هو الله الذي ننتمي إليه. لأن الروح هو وعي بالذات. وإذا ترسخ فينا هذا الوعي، فإنه يجعلنا نفهم: أن الإنسان يدرك أنه ينتمي وانتماؤه هو لآخر (لله) وإنه ينتمي إلى حضور سري حتى هنا (سري لأنه ليس حضورنا، فهذا الحضور، بمعنى ما، ليس كذلك ؛ لأنه إذا كان من مصدر آخر، فهو ليس من مصدرنا).

«تعال أيها الروح القدس» في كل أفعالي و»تعال أيها الروح القدس» في كل لحظة من لحظات حياتي.

تعال من خلال مريم، وهذا هو بالتحديد ... فالسيدة العذراء هي على وجه التحديد أقوى لمسة انسانية وإقناعاً صنعها الله تجاه أعماله مع الإنسان.

تعال من خلال مريم. دعونا نفكر في تطور هذه المرأة وطريقتها في البقاء في التاريخ! لكن من الواضح أن ذلك من عند الله، فأساس انتمائها هو في الله. ولكن، من ناحية أخرى، فإن مريم هي شمولية الإنسان التي رفعها الله إلى درجة جعل منها أداة ضرورية للعلاقة مع الله (ضرورية، أي ليست بالمعنى الفوري والآني للمصطلح، بل بالمعنى النهائي له). من خلال مريم، لأنها لم ترتكب خطأً ولم يسمح لها الله أن تكون هدفًا لهجوم الشيطان المُعارِض للحقيقة. إنها عذراء نقية وجميلة: والجمال هو العلامة ، ويكاد يكون علامة سرّية للجمال الذي خلق به الله العالم.

لذلك، يسرني أن أترك لكم تذكيرًا بهذه الصلوة القصيرة أي هذا المجد الصاعد دائمًا لحياتنا المسيحية، «تعال أيها الروح القدس. تعال من خلال مريم» التي تشكل سنداً، وتكشف عن نفسها على أنها سند نفسي واضح، لأنها متجذرة بعمق في أصول الطبيعة الانسانية.

أتمنى أن تجد هذه الصلاة القصيرة وهذه القوة في الإخلاص والبساطة مساحة في قلوبكم كل يوم للتذكير بواقعنا الانساني الذي يجب تغييره وفقًا لذلك الترتيب النهائي الذي خُلِقنا من أجله. وهذا هو المصير، وهذا ما نفتقده في أغلب الأحيان، لكنه لا يتوقف للحظة: إذ لا يمكن أن يتوقف الله ولو للحظة عن أن يكون مصدر سعادتنا وتحقيق ذواتنا.

المداخلة الختامية للأب جوساني
في الرياضة الروحية عام ٢٠٠٢
«رغم العيش في الجسد أعيش الايمان بابن الله» *

في ذلك المساء، تم مقاطعة يسوع وإيقافه وهو في طريقه إلى القرية التي كان متجهًا إليها، حيث كان هناك بكاء وعويل عالي الصوت لامرأة تصرخ صرخة ألم أدمت قلوب جميع الحاضرين، ولكنها أدمت أولاً قلب المسيح.[10]

«يا امرأة، لا تبكي!» [11] التي لم يرها قط ولم يعرفها من قبل.

«يا امرأة، لا تبكي!» ما هي المساندة التي يمكن أن تحصل عليها تلك المرأة التي استمعت إلى الكلمة التي قالها لها يسوع؟

«يا امرأة، لا تبكي!»: فعندما أعود إلى المنزل وعندما أركب الترام وعندما تصعد إلى القطار وعندما ترى طابور السيارات في الشوارع وعندما تفكر في كل مزيج الأشياء التي تهم حياة الملايين والملايين ومئات الملايين من البشر ... ما مدى أهمية النظرة التي ألقاها طفل أو رجل عظيم على ذلك الرجل الذي أتى على رأس مجموعة صغيرة من الأصدقاء ولم يرى تلك المرأة قط، لكنه توقف عندما وصل إليه دوي صدى البكاء! «يا امرأة، لا تبكي!»، وكأن لم يعرفها أو يتعرف عليها أحد بطريقة قوية وشاملة وحاسمة أكثر منه!

«يا امرأة، لا تبكي!» عندما نرى – كما أخبرتكم من قبل – أن حركة العالم برمتها، التي في نهرها، وفي روافدها، يجعل جميع الناس أنفسهم حاضرين للحياة، ويجعلون الحياة حاضرة لهم، وعدم معرفة النهاية ليس شيئًا آخر سوى عدم المعرفة بكيفية الوصول إلى هذا الأمر الجديد الذي يؤدي إلى اكتشاف والالتقاء بإنسان لم يراه مطلقاً من قبل والذي يقف أمام ألم المرأة التي يراها للمرة الأولى ويقول لها: «يا امرأة، لا تبكي!». «يا امرأة، لا تبكي!»

«يا امرأة، لا تبكي!»: هذا هو القلب الذي نضع به أنفسنا أمام نظرات وأحزان وآلام كل الناس الذين نتعامل معهم في الطريق أو في رحلتنا وفي أسفارنا.

«يا امرأة، لا تبكي!» يا له من شيء لا يمكن تصوره أن الله – «الله»، الذي يصنع العالم كله في هذه اللحظة –وعند رؤيته وسماعه للانسان، يمكنه أن يقول: «يا انسان، لا تبكي!» ، «لا تبكي!» لأنني لم

---

* الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، ٣ - ٥ مايو ٢٠٠٢، ريميني.

[10] لو ٧ : ١١-١٧.

[11] لو ٧ : ١٣.

أخلقك من أجل الموت بل من أجل الحياة! لقد أتيت بك إلى العالم ووضعتك في صحبة رائعة من الناس!».

يا رجل، يا امرأة، يا فتى، يا فتاة، أنت، أنتم، لا تبكون! لا تبكون! فهناك نظرة وقلب يخترقكم حتى نخاع عظامكم ويحبكم حتى في مصيركم، فهما نظرة وقلب لا يستطيع أحد إبعادكم عنهما، ولا يستطيع أحد أن يجعلهما غير قادرين على قول ما يفكرا فيه وما يشعرا به ولا أحد يستطيع أن يجعلهما عاجزين!

«مجد الله هو الانسان الحي» Gloria Dei vivens homo[12]. إن الإنسان الذي يعيش هو مجد الله وعظمة الذي يصنع نجوم السماء ويضع في البحر قطرة بعد قطرة كل اللون الأزرق الذي يتميز به.

ليس هناك شيء يمكن أن يوقف هذا الزخم الآني للحب والتعلق والتقدير والرجاء. لأنه صار رجاءً لكل من رآه وسمعه: «يا امرأة، لا تبكي!»، ومن سمع يسوع يقول: «يا امرأة، لا تبكي!».

ليس هناك شيء يمكن أن يوقف الاطمئنان بمصير غامض وخَيِر!

ونحن معًا نقول: «وأنت، يا من لم أرك من قبل ولا أعرف من أنت: لا تبكي!». لأن البكاء هو مصيرك، فهو يبدو أنه مصيرك المحتوم: «يا انسان، لا تبكي!».

«مجد الله هو الانسان الحي» «Gloria Dei vivens homo»: إن مجد الله – الذي يحمل العالم والكون – هو الانسان الذي يعيش وكل انسان يعيش: الرجل الذي يعيش والمرأة التي تبكي والمرأة التي تبتسم والطفل والمرأة التي تموت وهي أم.

«مجد الله هو الانسان الحي» «Gloria Dei vivens homo». نريد هذا ولا شيء آخر غير هذا، أي أن ينكشف مجد الله للعالم أجمع ويمس جميع مناطق الأرض: الأوراق، وجميع أوراق الأزهار وكل قلوب البشر.

نحن لم نرَ بعضنا من قبل، لكن هذا ما نراه بيننا وما نشعر به فيما بيننا. إلى اللقاء!

---

[12] القديس إيريناوس من ليون، ضد الهرطقات، المجلد الرابع، ص ٢٠، فقرة ٧.

مداخلات الأب جوساني
في الرياضة الروحية عام ٢٠٠٤
«مصير الانسان» *

مداخلة أعقبت الدرس الأول

إن درس الأب كارون هذا هو أفضل شيء أعطاني الرب لفهمه في جميع اجتماعات رياضاتنا الروحية. وأتوسل إليكم أن تطلبوا من كهنتكم وقادتكم أن يعطوكم النسخة المصورة للخطاب الذي ألقاه الأب كارون. إنه أجمل ما سمعته في حياتي وأوضح وأجمل دعوة، حيث أن كل موضوع النعمة التي وهبنا إياها المسيح هو في حقيقة ذلك الشعب الذي في مواجهة الأشياء التي تحدث في الحياة سيقوم بالتقديم الشغوف لشيء عظيم لا مثيل له في العظمة.

وأتمنى أن يعطيني الرب نعمة المشاركة في كل اجتماعاتكم وأن أسمع فيها مرة أخرى معنى الأشياء التي سمعناها اليوم. لأننا، صدقوني – أفهم أنني لا أستطيع أن أحسن القول، لأنني يجب أن أكون قادرًا على القيام على الفور بما أحسن فعله الآن الأب كارون – نريد أن نكون أمناء للمسيح. والأمانة للمسيح هي الأمانة لحقيقة وجود معنى الحياة الذي ظهر وانكشف لكل واحد منا، حيث أن المثير للإعجاب هو أن تكون الحالة الحياتية إيجابية على أية حال.

أنا في وضع يسمح لي بـ «حساب" الاسهام الذي يمكن أن تعطيه خبرتي للمصير الذي خلقنا الله من أجله، وكرسنا له: إنه ليس فعلًا معينًا وليس انتصارًا معينًا، ولكنه الانتصار الحقيقي الذي هو الصراخ بإيجابية حياتنا. لأن انتصار المسيح في موته يأتي من هذا: من قراءته للحياة التي. لا يهيمن عليها الشر، ولا تهيمن عليها صعوبة. اللغة، ولا توصف بمفردات جديدة، ولكنها مُحددة بطريقة معصومة من الخطأ – نعم، بطريقة معصومة من الخطأ – لأن هذه الطريقة وهذه الايجابية لزمننا ولوجودنا هي معصومة من الخطأ.

* الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر، ٢٣–٢٥ إبريل ٢٠٠٤، ريميني.

وحتى دعوة الوثني لإعطاء شهادة للحق ولانتصار المسيح في حياته، هو بالتأكيد شيء سنحتاج إلى استدعائه وتذكره. إذ ينبغي أن نتذكره فيما بيننا كل يوم، ويجب أن نتذكر كل يوم انتصار الصحة وانتصار النصر وانتصار قيامة المسيح؛ إن انتصار المسيح الذي سيحني قلوبنا ليكون وسيطًا لتلك المعرفة بأن رفاقنا من الشعب، ورفاق جماعتنا، ورفاقنا في الشركة سيكون لهم الحق والواجب في إبلاغنا بجعل إيجابية الحياة خلاصًا لما أردناه على الدوام.

فالمشكلة ليست انتصارًا باعتباره ارتياح داخل موت، بل هو معنى الموت في حماسة حياة.

أرجو منكم الاتصال بي في أسرع وقت ممكن واعطائي فرصة الإعجاب بأمانتكم، وبأمانة قراركم، وبالاخلاص في رفقتكم، وفي رفقتنا، لأن هذه هي الرفقة التي تنقذ العالم.

المداخلة الختامية

اسمحوا لي أن أحييكم مرة أخرى. فكلما ازداد تفكيري في الأمر، كلما شعرت برغبة أكبر في أن أشكر الرب وأن أشكر كل واحد منكم، لأن موضوع الرياضة الروحية هذا العام هو من أجمل الموضوعات وأكثرها رحابة الذي يمكننا تخيله. لأن انتصار المسيح هو انتصار على الموت. والانتصار على الموت هو انتصار على الحياة. فكل شيء له إيجابية، فكل شيء هو خير مُلِح إلى درجة أنه عندما يعطينا الرب إشعارًا ونهاية سيُشّكِل الإيحاء العظيم الذي من أجله خلق هذا العالم.

لذلك هناك الشجاعة التي يجب على كل منا أن يجلبها لإيجابية الحياة، لدرجة أن أي تناقض أو أي ألم يكون له رداً إيجابياً في "عربة" هذه الحياة.

وكمثال معين، أتمنى أن نتمكن من التعايش في توافق مع الرب حتى ينيرنا في كل شيء سيضعه لنا في الظروف "الجديدة" للعمل، حتى نرى كيف أن حياة الإنسان هي كلها إيجابية وأنها إيجابية بطريقة عميقة في مقصدها النهائي.

لأن الحياة هي جميلة: الحياة جميلة، فهي وعد قطعه الله بانتصار المسيح. لذلك، كل يوم ننهض فيه من نومنا – مهما كان وضعنا الذي يمكننا إدراكه في الحال وتوثيقه، وحتى أكثره ألماً، والذي لا يمكن تصوره – هو خير على وشك أن يُولد في حدود أفقنا كبشر.

وسيتعين علينا أيضاً أن نحاول ترجمة هذا إلى انسجام وتوافق تاريخي. يجب أن نتأكد من أن نفس تاريخ حياتنا معني بحياة جميع شعوب العالم، من بدايته إلى أقصى حد - وكما قلنا من قبل - إلى أقصى حدود ذلك الواقع الذي هو حياة الانسان. لأنها تتطلب اهتمامًا جديدًا، واهتمامًا يحمل في حد ذاته الجائزة الكبرى - الجائزة الكبرى! - أنه يحمل في داخله بالفعل الجائزة الكبرى التي هي في نهاية كل شيء لكل انسان. ما يجب أن نساعد فيه بعضنا البعض، وما يجب أن نساند فيه بعضنا البعض، وما يجب أن نكون إخوة فيه هو هذه الإيجابية النهائية في مواجهة كل ألم: إنه الهدوء الذي يضع اتباعنا في سلام.

و تصبح "دراسة" تاريخ البشرية بهذه النية البرهانية وسيلة جديدة لشكر أولئك الذين يجعلوننا ننفجر فرحين أمام صلاح الله وخيره.

مع أطيب تمنياتي لكم جميعاً، حتى يجد كل واحد في طريق حياته ظهور الخير الذي هو المسيح القائم من بين الأموات، ويجد المساعدة مما يوقظ الإيجابية للبشر التي تجعل الاستمرار في العيش أمراً معقولاً.

لنسبح الرب المنتصر على الموت وعلينا! وتحياتي لكم جميعاً!

المصادر

تم تحرير ومراجعة النصوص المُجمعة في هذا الكتاب لنشر هذه الطبعة بدءاً من التسجيلات الصوتية والمرئية المحفوظة في دار محفوظات أخوية الشراكة والتحرر.

منشورات سابقة جزئية:

١٩٩٧

«المقدمة والجزء الأول»، من كتاب الأب لويجي جوساني، الانسان ومصيره. في مسيرة، مارييتي ١٨٢٠، جنوا ١٩٩٩، الصفحات ٧ - ٦٠.
أنت أم عن الصداقة. مدونات من تأملات الأب لويجي جوساني و الأب ستيفانو ألبرتو. ريميني، ١٦-١٨ مايو ١٩٩٧؛ ملحق مجلة «آثار»، العدد ٦، يونيو ١٩٩٧، الصفحات ٤٣-٤٦.

١٩٩٨

«الجزء الثالث»، من كتاب الأب لويجي جوساني، الانسان ومصيره. في مسيرة، كتاب سبق ذكره، الصفحات ١٠٣ - ١٥٤.
معجزة التغيير. مدونات من تأملات الأب لويجي جوساني. ريميني ٢٤-٢٦ إبريل ١٩٩٨؛ ملحق مجلة «آثار»، العدد ٧، يوليو-أغسطس ١٩٩٨، الصفحات ٤٩-٥٦.

١٩٩٩

المسيح هو كل شيء في كل شيء. مدونات من تأملات الأب لويجي جوساني. ريميني، ٢٣-٢٥ ابريل ١٩٩٩؛ ملحق مجلة «آثار»، العدد ٧، يوليو-أغسطس ١٩٩٩، الصفحات ٤٧-٥٤.

٢٠٠٠ - ٢٠٠٤

٢٠٠٠

«المداخلة الختامية للأب لويجي جوساني»، في كتاب ما هو الانسان وكيف يمكن معرفته. ريميني، ١٩-٢١ مايو ٢٠٠٠؛ تعاونية عالم جديد للنشر، ميلانو، يونيو ٢٠٠٠، الصفحات ٤٧-٤٩.

٢٠٠١

«المداخلة الختامية للأب لويجي جوساني»، في الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي عقدها الأب ستيفانو ألبرتو و الأب يوليان كارون، إبراهيم: ميلاد الأنا. ريميني، ١٨-٢٠ مايو ٢٠٠١؛ ملحق مجلة «آثار»، العدد ٦، يونيو ٢٠٠١، الصفحات ٤٨-٤٩.

٢٠٠٢

«المداخلة الختامية للأب لويجي جوساني»، في الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي عقدها الأب ستيفانو ألبرتو و الأب يوليان كارون، رغم عيشي في الجسد، أعيش في إيمان ابن الله. ريميني، ٣-٥ مايو ٢٠٠؛ تعاونية عالم جديد للنشر، ميلانو، يونيو ٢٠٠١، الصفحات ٤٧-٤٨.

٢٠٠٤

«المداخلة الختامية للأب لويجي جوساني»، في الرياضة الروحية لأخوية الشراكة والتحرر التي عقدها الأب ستيفانو ألبرتو و الأب يوليان كارون، مصير الانسان. ريميني، ٢٣-٢٥ ابريل ٢٠٠٤؛ تعاونية عالم جديد للنشر، ميلانو، مايو ٢٠٠٤، الصفحات ٣٠-٣١ و ٤٨-٤٩.

فهرس الكتاب

استهلال الأب يوليان كارون: «المسيح هو حياة حياتي»	5
أنت أم عن الصداقة – ١٩٩٧	22
المقدمة	24
«الله هو الكل في الكل»	25
١) انطلاقة جديدة: علم طبيعة الوجود	25
٢) اثنين من الاغراءات: العدمية ووحدة الوجود	26
٣) وجود الأنا	28
٤) الطلب بأن أكون	31
٥) إختيار الغربة	32
«المسيح هو كل شيء في كل شيء»	34
١) طبيعة الانسان ومصيره	34
٢) الاقتداء بالمسيح	35
٣) الله هو آب	37
٤) سلوك يسوع تجاه الآب	38
٥) من الصداقة، الأخلاق	41
٦) نور وقوة وعون للانسان	42
٧) داخل تاريخ العالم: المسكونية والسلام	45
الاجتماع العام	50
المسيح حياة الحياة	54
١) «فعل وعلم»	54
٢) حدث حاضر	56

معجزة التغيير – ١٩٩٨	61
الله والوجود	64
١) مشكلة معرفة	64
٢) الخبرة والعقل	65
٣) ثلاثة اختزالات خطيرة	68
٤) فساد التدين	73
٥) التقليد والكاريزما	76
الايمان بالله هو الايمان بالمسيح	79
١) عقلية جديدة	79
٢) إيمان مُفرغ: الخمسة «بدون» للمذهب العقلاني الحديث	83
٣) الأخلاق الجديدة	90
الاجتماع العام	95
«الدهشة فقط هي التي تعرف»	103
المسيح هو كل شيء في كل شيء – ١٩٩٩	107
كلمة فاصلة من أجل الوجود	109
١) الاحتياج إلى الانتماء والدليل عليه	109
٢) انكار الانتماء وعواقبه	113
٣) تاريخية الانتماء	118
من هو في المسيح هو خليقة جديدة	126
١) حدث لانسانية مغايرة	126
٢) الهدف من الانتماء	132
الاجتماع العام والخلاصة	141
مداخلات وتحيات – ٢٠٠٠ – ٢٠٠٤	149

المداخلة الختامية للأب جوساني في الرياضة الروحية عام ٢٠٠٠	151
«ما هو الانسان وكيف نعرفه»	
المداخلة الختامية للأب جوساني في الرياضة الروحية عام ٢٠٠١	154
«إبراهيم: ميلاد الأنا»	
المداخلة الختامية للأب جوساني في الرياضة الروحية عام ٢٠٠٢	156
«رغم العيش في الجسد، أعيش الايمان بابن الله»	
المداخلة الختامية للأب جوساني في الرياضة الروحية عام ٢٠٠٤	158
«مصير الانسان»	
المصادر	161
الفهرس	163